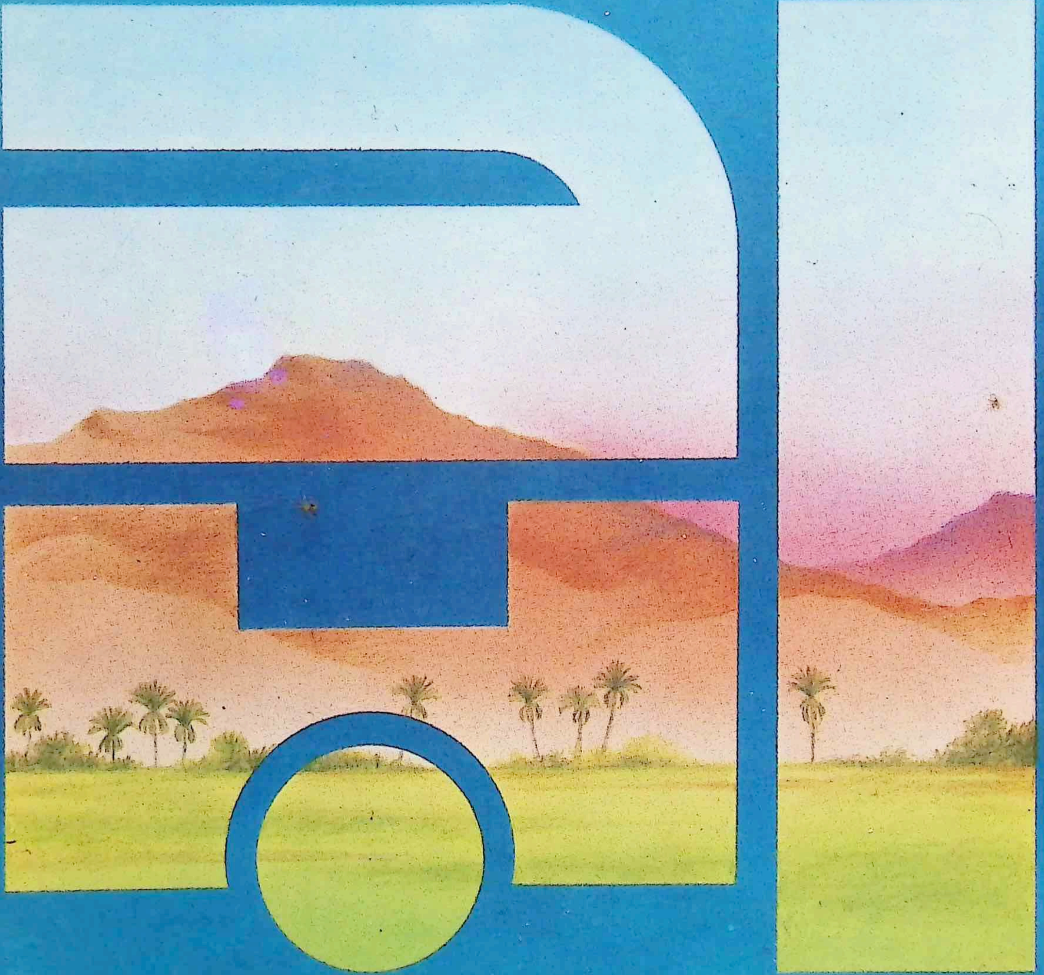
الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد



حققه وصحّحه وعلّق عليه

الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الجزء الأول

الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ

محمّد بن عبد الله بن بليهد

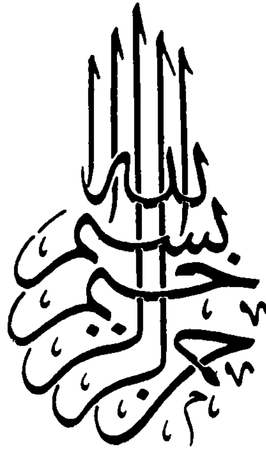
الجزء الأول

حققه وصححه وعلق عليه

الأستاذ الدكتور/ محمّد بن سعد بن محمّد بن حسين

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣
٤٨٢٤٨٦٥
الملز ٤٧٨٨٥١٠



مقدمة

بقلم: عبدالله بن محمد البليهد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فلقد حفل كتاب (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) لوالدى/محمد بن عبد الله البليهد ــ رحمه الله ــ بالكثير من الشواهد الشعريه لشعراء هذه البلاد المباركة في العهد الجاهلى وصدر التاريخ الاسلامي والتي أوردوا فيها أسماء الأماكن والبقاع، وذكروا فيها الوديان والموارد والجبال والسهول.

ولقد كان ما ورد في ذلك الكتاب من الشعر العربي على جانب كبير من الأهمية لكثرته وجودته الأمر الذي دفعني إلى التفكير في جمعه في كتاب مستقل، وذلك خدمة للغة العربية وآدابها، إلى جانب ما فيه من قضاء بعض الحق لآثار والدى ــ رحمه الله ــ ولكن شغلنى عن هذا العمل من شئون الحياة ماشغلنى، فوكلت هذه المهمه إلى أحد المختصين بعلوم اللغة العربية وأدابها وهو الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين لصلته المباشرة بآثار والدى، وعنايته بها.

وقد تصدى لهذه المهمة فأنجز العمل علي أحسن ما يكون الانجاز، وصدر هذا الكتاب المسمى: الجغرافيا الأدبية والمنتزع من كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار وأنني اذ أقدمه لك أيها القارى الكريم لأرجو أن يكون نافعاً لأبناء العربية وعشاقها، ومفيداً لطلاب العلم والمعرفة. وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير أنه سميع مجيب.

مقـــدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾

(آيه (١) سورة الكهف)

انزله بلسان عربي مبين اختاره واصطفاه وشرفه بنزول الكتاب به قال تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آية ٢ سورة يوسف)

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ (اية ١٩٥ سورة الشعراء).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آيه ٣ سورة الزخرف)

أحمده سبحانه وأشكره على ما منَّ به عليّ من خدمة لغة الكتاب وآدابها.

وأصلي وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد الذي قال ـــ مفاخراً أو مخبراً ـــ (أنا افصح العرب بيد أنّي من قريش).

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم، آمين.

ثم إن اللغة العربية في الجاهلية، وصلت إلى أعلى درجات الترقي التي تمتلكها اللغات الكبيرة، ولا سيما الساميّة، فلا تعادلها لغة آراميّةٌ كانت أو

عِبْريَّةٌ، ولا غيرهما من اللغات، وسمت حتى امتازت من اللغات الآرية بسعة اشتقاقها، ومرونتها، واستيعابها، فإذا افترضنا ما يمكن تسميته علم الاشتقاق المقارن، لوجدنا اللغة العربية، أوفرَ وأوسع وأغنى، ولكانت أكثر مرونة، وتلبية للمعاني.

هذا إلى جانب ما تزخر به اللغة العربية من المعاني المجازية وما عرفت به من الاختزال اللغوي، وأمور أخرىٰ كثيرة يطيل اللغويون وفقهاء اللغة الحديث عنها لا سيما في الاشتقاق والنحت والتركيب، إلى آخر ما تحفل به لغة القرآن الكريم.

وفي حياة العرب صور كثيرة وكبيرة في لغتهم : فقد كان لهم ملاحظات دقيقة فيما يقع عليه حسّهم، فالإبل والخيل والأرض، لكل شيء منها اسم؛ فإذا طرأ أي تغيير وضعوا له اسماً خاصاً، فإذا قصّرت اللغة في شيء، ففي ما لم يكن يقع تحت حسّهم، كمستخرجات البحار، وأنواع النباتات والحيوانات التي تنتج في غير إقليمهم[1].

★ ★

هذه المرونة التامة، وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والإبدال والنحت؛ هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وما فيهما من معانٍ في منتهى السمو والرفعة، وما فيهما من تعبيرات دينيّة واجتماعيّة وتشريعيّة، لا عهد للعرب بها في جاهليتهم، كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الأمم الأخرىٰ[2].

وقد حفظوا لكل مكان من الأرض اسمه ولقبه، ووصفه أحياناً فكان ارتباطاً رائعاً بين الإنسان العربي وأرضه دعاه إلى حفظه وتسجيله شعراً ما له فيها من أهل وأحباب وذكريات وعشيرة ومودّة. وتكرر ذكر المواضع من

(١) انظر أحمد أمين، فجر الإسلام ص ٦٢، ومابعد.

(٢) وانظر أحمد أمين، ضحىٰ الإسلام جـ ١ ص /٢٩١ ومابعد.

الأرض لدى الشعراء، حتى صار ارتباط الشاعر بالأرض يحدد لنا مسار حياته، وحياة قبيلته، وصرنا ــ معشر المعاصرين ــ من العرب نعرف منازل كل قبيلة عربية كانت في الجاهلية أو الإسلام من خلال الأمكنة والمواضع التي ذكرها شاعر القبيلة أو غيره كما وردت في المعلقات أو في غيرها.

كما أن ذكر هذه المواضع يجعلها وثائق علمية صحيحة يمكن الاعتماد عليها في دراسة الحياة العربية اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً على ضوء من تحديد أماكن تجمّعهم، وعيشهم، ويفسّر لنا كثرة أيام العرب وما دار فيها من صراعٍ دامٍ، كما يفسّر لنا علاقة القبائل العربية مجتمعة مع غيرها من الأمم المجاورة للجزيرة العربية.

فهي ليست مجرد أسماء لمواضع وأمكنة، ولكنها ذات صلة وأبعاد ثقافية متعددة الوجوه والجوانب. وقد أغنى ذكرها الثقافة العربية بما اقترن به هذا الذكر من أحداث اجتماعية، كما أغنى المكتبة الجغرافية العربية بما ألقاه من أضواء صارت صوىً ومعالمَ يهتدي بها الباحثون فلا غرابة إن قلنا عن مجموع المواضع والأمكنة التي ذُكرتَ في شعر المعلقات، وغيره من الشعر الجاهلي أنها تكون (دائرة معارف) جغرافية خاصة بالأمكنة العربية التي كانت تعج بالحياة، موسميّةً كانت أو عامة دائمة، حاضرة كانت أو بادية.

كما أن ذكر هذه الأماكن والمواضع يسهّل على الدارسين والشارحين فهم المعاني والألفاظ، مما يجعل اتصالنا بتراث الأجداد عبر القنوات اللفظية الجغرافيه سهلاً ميسورا.

★ ★

وحين قام الشاعر الأديب والباحث الجليل الشيخ محمد بن عبد الله البليهد (رحمه الله)، بإصدار كتابه (صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب

من الآثار) الذي اعتمد فيه تحديد المواضع والأمكنة التي ورد ذكرها في المعلقات، وغيرها من مشهور الشعر الجاهلي، فإنه قد قام بأمر جلل يعد عند اللغويين دراسةً جادةً لمتابعة حياة الألفاظ العربية والتاريخ لها، والوقوف على الدارس منها وتمييزه من الحي الباقي.

ويعده الجغرافيون دراسة ميدانيّةً لمعرفة المواضع والأمكنة العربية في جزيرة العرب، والوقوف على الأماكن التي انعدمت فيها سبل الحياة، وكانت في الجاهلية آهلةً بالسكان عامرة بالحياة، وتمييزها مما هو قائمٌ باقٍ باسمه إلى أيامنا هذه.

وتعد عند دارسي الأدب وباحثيه ثروة عظيمة تتصدر بحوث الأدب العربي، اهتماماً ومكانةً، ولها في الجغرافيا الأدبية قصب السبق. وهذا ما حدا بى أن أعود إلى هذا الكتاب، لأقدّمهُ بحلّة جديدة، وأضفي عليه عملاً جديداً، وهو جدير باهتمام الباحثين والدارسين، لأنه عمل جليل فيه جهد جهيد، وفيه سد لفجوة كبيرة كانت ناقصة في الأدب العربي جاء هذا البحث ليسدّها.

ثم إن ابن بليهد رحمه الله خص بعض أرباب المعلقات بشئ من العناية فتحدث عما في شعرهم من الأماكن إلى جانب ما في معلقاتهم، ومن هؤلاء امرؤ القيس. وأعرض عن شعر بعض الشعراء خلا المعلقة كمثل لبيد، على أنه عاد في آخر الكتاب، فتحدث عن بعض شعر أولئك.

ولا شك أن هذا البحث ـــ كما ذكرت ـــ يحتاج إلى خدمات أخرىٰ كثيرة، وقد سألت الله أن يأخذ بيدي لأشارك المؤلف ـــ يرحمه الله ـــ في خدمة هذا الاتجاه المتمثل بالجغرافيا الأدبية، ولابد لي من الاعتراف في بداية عملي أنني كنت أمام عمل شاق ومتعب ذلك أنني وجدت نفسي أمام عمل ميداني كبير، وأمام مكتبة كاملة، ومازالت أقوال المؤلف

رحمه الله بعد مرور (٣٧) سنة على ظهور الكتاب في طبعته الأولىٰ، ثابتة راسخة.

ومن باب خدمة هذا البحث، جاءت دراستي فيه وتعليقاتي عليه وما وضعته في متنه وهوامشه، ويمكن إجمال الجديد الجاد في عملي بالآتي:

١ ــ **بيان ما فات بعض من كَتَب في الأماكن والمواضع.**
وذكره المؤلف رحمه الله (مثل كشف محل جو ناعط الذي ذكره ابن بليهد ج ١/٦٣).

٢ ــ تخليص البحث من بعض الإشكال الذي فيه بين المتن والحاشية.

٣ ــ البحث عن الأماكن التي لم يعرف مكانها المؤلف رحمه الله، في كتب الجغرافية والأدب. مثل كتب ابن خميس، وحمد الجاسر، والعبودي. وكتب : الحماسة، وجمهرة أشعار العرب، وشرح القصائد العشر صنعة التبريزي، وشرح القصائد التسع المشهورات صنعة أبي جعفر النحاس.

٤ ــ ما لم يعرفه ابن بليهد ووجدته عند حمد الجاسر أو ابن خميس أو غيرهما.

٥ ــ ما بينته مصادر أخرىٰ ومراجع ضافيه.

٦ ــ أتدخل أحياناً فأضطر إلى رفع ما جاء في المتن، فأنقله إلى الحاشية.

٧ ــ أُخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية غير المُخرّجة.

٨ ــ تصحيح بعض الآيات وتخليصها من أخطائها المطبعية.

٩ ــ شرح بعض الأبيات معتمداً الشروح الشهيرة التي تناولت المعلقات.

١٠ ــ إضافة علامات ترقيم أحياناً مما وقع في الطبع.

١١ ــ ترجمة بعض الشخصيات الأدبية من كُتَّاب وشعراء، مما ورد

ذكرهم دون ترجمة، ورأيت أنهم بحاجة إلى ترجمة إمّا لكونهم مغمورين، وإما لضرورة يتطلبها البحث.

١٢ ــ وضع مصادر ومراجع عن بعض التراجم.

١٣ ــ حذف ما تكرر طبعه والإشارة إلى بعض المكرر.

١٤ ــ تصحيح بعض ما وقع في البحث من أخطاء، وتعديل بعضها من العامي إلى الفصيح، إلا ما غلب على الذهن روايته عن العامة بنصه فقد تركته كما هو.

١٥ ــ تحقيق بعض الأبيات الشعرية، وبيان الروايات المختلفة للبيت الواحد أحيانا، ورد بعض الأبيات الشعرية إلى أصحابها الذين عرفوا بها.

١٦ ــ حدث أثناء الطبعات السابقه أنّ أرقاماً سقطت حواشيها فكان عليّ أن أبحث عن هذه الحواشي وأثبتها في مكانها.

١٧ ــ الوقوف في عملنا عند الصفحة ١٣٧ من الجزء الثاني. وذلك لانتهاء ذكر أسماء الأماكن والمواضع الواردة في المعلقات وفي شعر غير أصحاب المعلقات مما يكون مسحاً لأغلب الأمكنة والمواضع المعنية في ديار أصحاب المعلقات وسواهم، داخل الجزيرة العربية.

١٨ ــ صنع الفهارس الفنية المتعددة التي تساعد الباحث والدارس، ومعلوم لدىٰ القارىء أن الدراسة الجادة تحتاج إلى الفهارس التوضيحيّة اللازمة.

١٩ ــ وكنت نويت تحلية الكتاب بمصورات (خرائط) الأماكن والبقاع ووضعها حيث يكون الحديث عن المكان، غير أن الأستاذ الدكتور اسعد عبده صنع في ذلك مالا مزيد عليه.

من هنا أثرت إحالة القارىء على ماصنع الأستاذ الدكتور اسعد عبده في كتابه (معجم الاسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية).

ولا يفوتنى في نهاية هذه الكلمة أن أقدم الشكر لابن المؤلف الشيخ عبد الله بن محمد بن البليهد، فلولاه بعد الله ما كان هذا العمل الذي أرجو من الله تبارك وتعالى أن يثيبني وإياه على إنجازه ونشره خدمة لتراث أمتنا، وفكر رائد من رواد هذه الأمة في عصرها الحديث. رحم الله الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ونفع بهذا العمل طلاب العلم والمعرفة.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ..

ا.د محمد بن سعد بن محمد بن حسين

١ من محرم سنة ١٤٠٧هـ

٤ من سبتمبر سنة ١٩٨٦م

في حي الملز بمدينة الرياض العامرة

مُقدّمَة الطبْعَة الثانيَة[1]

حظيت الجزيرة العربية باهتمام الباحثين والدارسين، إذ أنها منبع الفصاحة ومصدر الالهام لكثير من الشعراء الذين وقفوا على أطلالها وناجوا شعابها ووديانها وجبالها، وخلدوا في شعرهم كثيرا من معالمها.

غير أن كثيراً مما كتبه الأقدمون عنها كان لا يخلو من نقص بالإضافة إلى الأوهام الجمة التي تابع فيها بعض اللاحقين من سبقهم.

لذا فعندما قام والدي ــ رحمه الله ــ بإصدار كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» ذلك الكتاب الذي اعتمد فيه في تحديده للمواضع بالإضافة إلى المؤلفين الثقات ــ على الدراسة الميدانية وذهب في التحقيق بعيداً مما كلفه الكثير من الجهد وهو جهد لا أسترسل في الحديث عنه وإنما أدع الحديث عنه لغيري.

أقول : للمنهج الذي سار عليه المؤلف رحمه الله استُقْبِلَ الكتَابُ من القراء بتشجيع وإقبال كبيرين. ولم يمض إلا وقت يسير حتى نفدت الكمية المطبوعة وتوالت علينا الطلبات من القراء الكرام لاقتناء نسخ منه مما اضطرنا إلى إعطاء الكمية القليلة التي كنا قد احتفظنا بها لأنفسنا ثم لم نجد أخيراً بُداً من الاعتذار.

ولقد كان ذلك الإقبال الذي نعتز به والتشجيع الذي نشكره ونقدره خير ثمن تقاضاه مؤلف الكتاب مقابل ما بذله من جهود في تأليفه.

منذ ذلك الحين عقدت العزم على أن أعيد طبع الكتاب تلبية لرغبة القراء الكرام ورأيت أن يزود بخرائط جغرافية تحدد المواضع الهامة التي يتناولها بجانب بعض الاضافات الأخرى ليكون النفع أعم والفائدة أشمل وأكبر.

---

(١) من كتاب (صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار).

ولكن ظروفاً دراسية ـــ آنذاك ـــ وطبيعة العمل ـــ بعد ذلك حالا بيني وبين ما أريد ووجدت أنني أمام أحد أمرين :

فإما أن أؤجل صدور الطبعة الثانية حتى استكمال مانوهت عنه وهذا قد يكون سبباً في تأخرها بعض الوقت، وإما أن نعيد طبع الكتاب كما هو على أن ينفّذ ما ارتأيته من إضافات في الطبعة الثالثة.

وأخيراً وأمام اهتمام جلالة الملك المعظم ـــ حفظه الله ـــ بإعادة طبع الكتاب، وأمام الاهتمام الكبير من صاحب السمو الملكى الأمير سلمان ابن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بذلك، واستجابة للإلحاح المتواصل من القراء الكرام لم نجد بُدًّا من الإسراع في طبع الكتاب كما هو.

وإنني إذ أضع الكتاب في طبعته الثانية بين يدي القارئ الكريم لأجدد الوعد بتنفيذ ما نوهت عنه من إضافات في الطبعة الثالثة ـــ إن شاء الله ـــ شاكراً للقراء الكرام اهتمامهم وتشجيعهم، والله ولي التوفيق.

عبد الله بن محمد بن بليهد

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

أحمد الله تعالى على نعمائه، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأحبائه.

أما بعد؛ فإن الدوافع التي أثارت همتي إلى تصنيف هذا الكتاب، والاصطبار على ما بذلت من جهد في تحقيق مباحثه، واحتمال العناء المضني والنصب المبرح في سبيله، ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : أنه كان من سوالف الأقضية أن سافر مولاى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المعظم فيصل آل سعود نائب مولاي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ووزير خارجية المملكة العربية السعودية إلى أمريكا لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو في عام (١٣٦٦هـ) (١٩٤٥) الميلادي وهناك تشرف بالسلام على سموه كثيرٌ من رجالات الأدب العربي في المهجر، ولما آنسوا من سموه صفات العربى النبيل والحرص الشديد على مفاخر العرب ومآثرهم أبدوا لسموه ــ حفظه الله ــ ما يشعرون به من حاجة ملحة إلى معرفة ماورد في الأشعار الجاهلية ــ وخاصة للمعلقات ــ ومن الأودية، والجبال، والمياه، والتلول، والرمال، والرياض، والبلدان العامرة، والدارسة، ومعرفة ما بقى منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول، وما اعترى اسمه شئ من التغير، وذكروا أن في هذه المعرفة عونا للأديب الذي يتمرس بدراسة آثار أولئك الشعراء الخالدة آثارهم، الباقية على الدهر أسماؤهم.

وإنما دعاهم إلى إبداء هذه الرغبة ما أدركوه من أنّ دراسة البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشاعر أو الأديب أحد العوامل التي تعين على فهم شخصيته، وعلى تلمس بعض دواعي القول الذي فاض على لسانه، ثم ما قد يجر ذلك ــ إذا ما توغل الباحثون في الاستقصاء والتتبع ــ من معرفة

---

(١) مقدمة المؤلف رحمه الله.

شيء من خصائص لغات القبائل المختلفة ولهجاتها، فإن لم يؤد هذا إلى تمييز تام بين لغات القبائل فقد يؤدى إلى نوع من التمييز يهون في سبيله بذل الجهد والوقت والمال، وإن بدا اليوم هذا بعيد المنال فسيظهر بتتابع الجهود ميسوراً قريب الجنى، إن شاء الله، وإن لم يتيسر باديء الأمر التمييز بين لغات القبائل المختلفة في مفرداتها وتراكيبها جميعاً، فلن يعدم البحث الدائب الظفر بأحد هذين، ولو أن علماءنا الأوائل ــ رحمهم الله ــ قد جعلوا بعض عنايتهم مصروفاً إلى بيان ما كان من المفردات من لغة قوم دون قوم لكان ذلك أقرب إليهم وأدنى إلى اليسر، ذلك بأنهم كانوا يشافهون القبائل العربية في مساكنها؛ ولو أنهم فعلوا لكانوا قد أسدَوْا يداً إلى العربية مشكورة، ولكنا قد حصلنا على مغنم أي مغنم، ولكنهم لم يبالوا ذلك ولم يحفلوا به، إذ كان أعظم وكدهم أن يجمعوا المفردات العربية، غير عابئين بمن تكلم بها، فاجتمع لنا تراث عظيم، لكنه كحبات اللؤلؤ الغالية القيمة، لا يضمها نظام، ولا يؤلف بين ما تشابه منها ثم ينخله فيميزه أنواعاً وفصائل عرفان جوهري بارع، وليس من المعقول عند أحد أن تكون هذه الكثرة الفائقة الحد من المترادفات والأضداد، وهذه الأنواع الكثيرة من الاشتقاق والقلب والإبدال من لغة قبيلة واحدة. والله سبحانه المستعان.

ومن النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى مجهولة تلك الأماكن التي انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء التي سبحت فيها أخيلتهم، وسلس لهم فيها قياد القول، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم، هذه الأماكن التي تكون البيئة الطبيعية التي درج فيها العربي الأول : يناغم كثبانها، ويضرب في صحاريها الفسيحة، ويستظل بسمائها الصافية، ويهتدي بنجومها الزاهرة، راضياً بذلك، قرير العين به، صابراً على ما يكابد من شظف العيش وقلة وجوه الاكتساب، مكتفيا بأنه يعيش في منازل آبائه وأجداده وفيها مجالس

أنسهم، ومسارح لهوهم، ومعترك حروبهم، وفيها نواديهم التي كانوا يتنافرون فيها ويتفاخرون.

من النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأماكن مجهولة، وما فيها مكان إلا له ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم، وتبعث في نفسه ألواناً من البطولة والمغامرة والإقدام، لأنها تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم. والعرب هم أولئك الذين نزل كتاب الله تعالى بلغتهم، وبُعِثَ أشرفُ الخلق صلى الله عليه وسلم من أنفسهم، فطافوا بأرجاء العالم المعروف لهم يومئذ، يحملون مشاعل النور رسلاً للإنسانية، وزعماء للإصلاح في مختلف نواحي الحياة، بما أوحي إليهم دينهم وما حباهم الله به من فطرة صافية، ومنطق عذب، وقوة دائبة يباركها الإخلاص في نشر ذلك المبدأ السامي العظيم، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، واحدثوا ذلك التطور الخطير المفاجئ في العقيدة، والتفكير، والاجتماع.

قال عطاء بن أبي رباح فقيه الحجاز، لما وفد على سليمان بن عبد الملك: «يا أمير المؤمنين، إن أهل الحجاز ونجد هم أصل العرب، ومادة الإسلام دوخوا الجبابرة، وفتحوا الأمصار، وأعز الله بهم الإسلام، وأحب أن تضع صدقاتهم في فقرائهم» فأعطاه ذلك.

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة على ما وصلت إليه الأمم من تقدم في الصناعة، والذوق، ومقاييس الحياة، فيجدر بنا أن ننقب عن البيئات الطبيعية بقدر الإمكان ــ بل نشاهدها عياناً ــ اذا استطعنا ذلك ــ لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور، ولنكشف تلك المساتير المغلقة، فلا تظل مطوية على تعاقب الأجيال، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيحائها ثروة فكرية لا يقدر قدرها، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد، يجد كل واحد منهم بغيته في بحثها، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر وقد

اكتشف في أحشائها من معادن مطمورة لفتت إليها الأنظار بعد أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام.

وقد استجاب مولاي سمو الأمير فيصل لرغبة أولئك الأدباء المهجريين فأمر ــ حفظه الله ــ أن أكتب في هذا الموضوع ــ على صعوبته ــ مبينا كل ماء، أو جبل أو وادٍ، أو كثيب، وأبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم، وما تغير اسمه. لكثرة تجوالي في نجد، ودراستي معالمها وآثارها دراسة وافية، وفي المثل السائر «قتل كل أرض خبيرها».

على أني لم أكتف بمعلوماتي الخاصة، فقد أنشأت أسفاراً جديدة؛ حباً في الوقوف على الحقيقة إلى بلاد مختلفة منها «الشَّعْراء» وهي بلدة متوسطة في عالية نجد، يختلف إليها الأعراب من كل ناحية. وبلغ بي الأمر ــ إذا اشتبه عليّ موضــع لم أذهب إليه ــ أن أرسل بعض الأعراب الذين يعرفون البقاع في بلاد العرب إلى المكان الذي أتحرى وجوده فيه، ليبحثوا عنه ويأتوني بالخبر، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبهم. وأضرب لذلك مثلاً واحدا، فقد أشكل عليَّ اسم «راكس» هل هو باق بهذا الاسم أو دارس؟ لأنه مقرون في بعض الأشعار «بَرحْرِحَان» ورحرحان معروف بهذا الاسم إلى عصرنا هذا، فطلبت من بعض الأعراب أن يبحث عن ذلك، وحددت له الأرض التي تحريت وجوده فيها؛ فركب راحلته، وبعد شهر من ذلك وصل إليَّ فأخبرني أنه وجد جبلا أسود، قرب وادي الرمة ــ كما حددت في هذا الكتاب ــ وحوله كثيب من الرمل يقال له الآن «أبرق راكس» والأبرق هو كثيب الرمل، وراكس : هو الجبل.

الامر الثاني : أني رأيت كثيراً من الباحثين في الأدب والتاريخ ــ حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب ــ يخطئون في تحديد بعض تلك المواضع وعذرهم في ذلك واضح؛ لأنهم يعولون على المعاجم العربية القديمة، وتلك المعاجم ــ مع احترامي لمؤلفيها، واعترافي بفضلهم ــ لا

تخلو من نقص؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عن مشاهدة، بل عن نقل.

ويستثنى من ذلك :

١ ــ الاصمعي في كتابه (مياه جزيرة العرب) وهو كتاب مخطوط، يوجد منه ــ فيما بلغني ــ نسختان : احداهما لدى الأستاذ «رشدى ملحس» والثانية في مكتبة الشيخ «محمود الألوسي» رحمه الله!.

٢ ــ رسالة عرام بن الاصبغ السلمى الأعرابي (جبال تهامة ومحالها[1]» التي رواها عنه أبو الأشعث الكندي. وقد نقل عنها أبو عبيد عبد الله البكري في «معجم ما استعجم» كما نقل عنها ياقوت الحموى شيئاً كثيراً، وتوجد قطعة من أصل تلك الرسالة في إحدى مكاتب الهند، استنسخ منها فضيلة الشيخ «محمد نصيف» نسخة، وقد شرع في طبعها الآن، كما ذكر لي فضيلته.

٣ ــ كتاب محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي عن نجد، وهو كتاب تدل النقول التي نقلها عنه ياقوت على تحقيق، ومعرفة جيدَة، ولم أطلع على أصل هذا الكتاب، ولا عثرت له على ذكر في المكاتب.

٤ ــ كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني، وهو كتاب جليل القدر، مفيد جداً، ولا سيما في ذكر المواضع الجنوبية من الجزيرة، وقد طبع الكتاب بمدينة بريل سنة ١٨٩١م في مجلد أضاف إليه طابعه المستشرق مللر Miiller مجلداً ثانياً لفهارسه وغيرها[2].

وأما بقية المعاجم العربية ــ كمعجم البلدان، ومعجم أبي عبيد البكري، وأمثالهما ــ فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت في النقل منها.

---

(١) حققه ونشره عبدالسلام هارون في مجموعة نوادر المخطوطات.

(٢) تم طبعه مرتين، الأولى بتحقيق ابن بليهد نفسه، والثانية بتحقيق (الاكوع).

وإنك لترى العجب العجاب حين ترى ما وقع فيه بعض رجالات الأدب العربي وتاريخ الحضارة العربية من أغاليط، سببها الثقة البالغة بما سطره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع، ولَكَم تملكني العجب ــ كما تملك غيري ــ عندما قرأت مقدمة كتاب «محاضرات الأمم الإسلامية» الذي دبجه يراع الأستاذ محمد الخضري بك ــ رحمه الله تعالىٰ ــ وكتاب «تاريخ الإسلام السياسي» الذي وضعه الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بك، والبحثين الطريفين اللذين كتبهما الدكتور محمد صبري بك عن امرئ القيس، وذي الرّمة، وكتاب «مهد العرب» الذي صنّفه الدكتور عبد الوهاب عزام بك، وغير هذه الكتب مما يتوفر على اخراجه جماعة من زعماء الأدباء والمؤرخين[1].

والأمر الثالث : إن قوماً ممن أشرب الله قلوبهم حب العرب والعربية ما فتئوا يثيرون اهتمامي لهذا البحث، ويتقاضونني الانقطاع له، ومن هؤلاء الأماثل الأستاذ الفاضل «رشدي ملحس» فلقد كتب إليّ كتابا يقول فيه «يهمني جداًمعرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقات العشر. وقد عنيت لأجل ذلك بجمع ما تيسر تحقيقه، وبما أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث، وأن تكتب إليّ مطوّلا عما لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن، مع بيان حدود كل منها، وتعريفها تعريفاً وافياً».

وأرفق كتابه هذا بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه من بقاع وجبال ومياه، ووضع كل لفظ بين قوسين، فبعثت إليه بما عندي من المعلومات عن ذلك.

وقد رأيت يومئذ أن من الخير أن أشرك القراء معنا في هذا البحث والذي أعتقد أن كل دارس للأدب العربي ــ وللشعر الجاهلي منه بصفة

(١) يعني ماوقع فيها من خلط في اسماء الأماكن.

خاصة ــ لا يستغني عنه، فنشرت فصولاً من هذا البحث في جريدة «البلاد السعودية» الغراء التي تصدر بمكة المكرمة، وفي أثناء تلك المدة التي نشرت فيها تلك الفصول وصلني كتاب من الأستاذ الكبير المرحوم جميل داود المسلمي المستشار للوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بلندن قال فيه : بعد السلام «اطلعت في جريدة البلاد السعودية على تلك الفصول الممتعة التي تناولتم فيها بالبحث المواضع الواردة في المعلقات، وأرجو موالاة هذه البحوث النافعة، فقد تهافت علينا كثير من المستشرقين وأدباء العرب الموجودين في لندن، وسألونا : هل يجمع أمثال هذه البحوث كتاب مصنف؟ فإن عزمت على تأليف كتاب على هذا النمط فأنا أول من يساهم في طبع ذلك الكتاب».

ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بطبعه على نفقته، فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يداً كبيرة، كشأن معاليه في المسارعة إلى كل مشروع نافع، حفظ الله معاليه رائد لنهضة البلاد، وساعداً أيمن للعاملين في شتى ميادين الإصلاح!.

وها أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير ــ بعد أن تَوَفَّرْتُ على كتابته سنين طوالا ــ وأرجو أن أكون بهذا العمل قد سَدَدْتُ خللاً كان ينبغى أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل، فأكون بذلك قد أسديت إلى قومى اليد التي طالما تطلعوا إلى من يسديها إليهم. والله سبحانه المسئول أن يجعل هذا العمل نافعاً، وأن يكتبه لنا في سجل الحسنات، آمين.

القسم الأول

من الكتاب

في ذكر أماكن وردت في المعلقات العشر
وبعض أشعار أربابها

تصدير
بذكر الأماكن التي طاف بها أصحاب المعلّقات

من المعروف أن العربي الأول لم يكن يميل إلى استيطان موضع مُعَيَّن؛ فقد اضطرته عوامل التكوين، ومطالب العيش، وظروف الحياة، إلى أن ينزح من مكان إلى آخر انتجاعا لمواقع القطر، ومنابت الكلأ؛ لأن عليها مدارَ مَعَاشه.

والشاعر بصفةٍ خاصةٍ من أكثر العرب تنقلاً في البلاد، فقد دأب أكثر الشعراء على أن يَفِدَ على الملوك وسادات القبائل، مادحاً ومستجدياً، لما للشاعر من مكانة في نفوسهم، وما يلقاه عندهم من الترحيب وجزيل المواهب.

وإذ كان موضوع بحثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بيان المواضع الواردة في المعلقات فسنُلْمِعُ هنا موجزين إلى منازل أصحابها، وإلى الأماكِنِ التي طافوا بها في حياتهم، ليقف القارئ ــ قبل كل شئ ــ على إشارة عن منازلهم، وتنقلاتهم، تمهيداً للفصول التالية.

١ ـــ امرؤ القيس[١]

بلدته «ذوجرة» قرية بمخلاف «السكاسك» في اليمن، وهو رجل كان كثير التنقل في أول شبابه، ولذلك ورد في شعره كثير من أسماء المواضع في مختلف أنحاء الجزيرة؛ فذكر مواضع من حضرموت، كَدَمُّون وعَنْدَل، ومواضع في شمال نجد كأُسَيْس والطها وتَيْمَاء السَّمَوْءَل، ومواضع في عالية نجد الشمالية كمنْعِجٍ وعَاقِلٍ، ومواضع في عالية نجد الجنوبية، كالدَّخُولِ وحَوْمَلَ وتُوضِح والمِقْرَاَة.

ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة في القصيدة الواحدة. بل في البيت الواحد وقد وفد على قيصر ملك الروم، وهو يقول في هذه الرحلة :

بَكَىٰ صَاحِبي لمَّا رأىٰ الدَّرْبَ دُوْنَهُ ... وأيْقَنَ أنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

واذا كان الحديث يجر بعضُه بعضاً فإني أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير من الباحثين في المواضع، وهو الاعتقاد بأن بلد الشّاعر صاحب هذه المعلقة هي «مَراة» المعروفة في الوَشْمْ[٢].

وأوُل من علمته وقع في هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة «أم القرى» منذ ثلاث وعشرين سنة تقريباً رحلة بعنوان «الرحلة السلطانية». ثم أتى كاتب آخر فنشر رحلة أخرى في جريدة «صوت الحجاز» في سنتها

(١) انظر ترجمته في طبقات الشعراء ٤٣، الشعر والشعراء ١ /١٠٥، الأغاني ٩ /٧٦، شرح شواهد المغني ٢١، الخزانة ١ /١٦٠.

(٢) الوشم ـــ بفتح فسكون ـــ موضع في اليمامة يشتمل على قرى من أشهرها : مراة، وثرمداء، وأثيفية، وذات غسل، وهي بلد المصنف، ونسبه في بني خالد. وستذكر قريباً.

الأولى قال فيها : إن «مَرَاة» هي «المقراة» التي وردت في شعر امرئ القيس[1]. ثم جاء كاتب ثالث فقال في كتاب مطبوع معروف : ان امرأ القيس ولد في «مراة» وآخر من علمته وقع في ذلك الخطأ : الأستاذ أحمد حسين في كتابه «مُشَاهداتي في جزيرة العرب» .

ومنشأ هذا الخطأ أن «مَرَاة» قد نسبت في بعض مؤلفات القدامى إلى امرئ القيس، ولكن اسم امرئ القيس اسم شائع في العهد الجاهلي، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم، وللأستاذ حسن السندوبي بحث ممتع عن «الْمَرَاقسة» طبعه مع ديوان امرئ القيس، وفي «المزهر» للسيوطي و«شعراء النصرانية» لليسوعي تفصيل عنهم. والذي وقع في مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح. ولكن امرأ القيس الذي تنسب إليه «مَرَاة» ليس هو امرأ القيس بن حجر الكندي، صاحب المعلقة، فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر «امرئ القيس» وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم، وتميم هم سكان الوَشْم[2] في العهد القديم. فمراة لبني امرئ القيس، وثرمداء لبني سعد، وأثيفية لبني يربوع من بني حنظلة الذين منهم بلال الشاعر، وذات غسل لبنى الْعَنْبَر. وامرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مراة المعروفة في بلاد الوشم.

٢ ــ زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمىٰ المُزَنِيُّ[3]

ولد في بلاد قومه «مُزَيْنَةَ» من نواحي المدينة، وخرجَتْ به أُمُّه بعدَ وفاة أبيه ــ وكان صغيراً إذ ذاك ــ إلى بلاد قومها بني عبدالله بن غَطَفَان ونشأ فيها، وتفتَّحَتْ شاعريتُه على مراتع الْمَهَامن رُباٰ نَجْدٍ، وقد أطنبَ في مدح

(١) لعل مما يعنيه الرحلة الملكية ليوسف ياسين التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قبل عامين.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٦، والخزانة ٢ /٢٣٤.

(٣) انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٤٣، الشعر والشعراء ١ /١٣٧، الأغاني ١٠ /٢٩٨، شرح شواهد المغني ١٣١، الخزانة ١ /٣٧٥، توفى سنة ٦٣١م.

رؤسائهم، كهرَمِ بن سنان والحارث بن عَوْف.

وطَبَعى أن يكثر في قصائده ذكرُ المواطن التي نشأ فيها من بلاد عَطَفَان وهي من القصيم إلى قرب المدينة، فمن ذلك : غِمَارٌ، والْمَرَوْرَاة، ونَخْل، والرَّسُّ، والرَّسيس، والْقَصِيم، وجُرْثُم، والمُتَثَلّم، والرّقْمَتَانِ، وغيرهما مما ذكرناهُ مفصّلاً عند دراسَة أثر الشاعر.

قال أحد الشعراء يهجو زهيراً[1].

وَأنْتَ أمْرَؤٌ من أهْلِ قُدْسٍ وآرَةٍ　　أحَلَّتْكَ عَبْدُالله أكْنَافَ مُبْهِلِ.

قلت : البيت لمزرد، وقد جاء في ذيل ديوانه ص ٨٠ — ٨١. تحقيق د . خليل العطيه. طبع بغداد، مطبعة أسعد ١٩٦٢م : ورواية البيت في الديوان :

وَأنْتَ امرؤٌ مِنْ أهْلِ قُدْسٍ أُوَارَةٍ　　أحَلَّتْكَ عَبْدُالله أكْنَافَ مُبْهِلِ

وجاء في حاشيته قدس أوارة : جبل لمزينة، وهو في واقع الحال، كما ذكره ابن بليهد.

والبيت من مقطوعة في أربعة أبيات وحكايته أن الحطيئة طلب من كعب بن زهير أن يذكره في شعره، ففعل هذا ناكرا أباه في قصيدته التي منها :

(فَمَنْ للقَوافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوْكهَا) (الخ)

فغضب المزّرد لعدم ذكره، وقال هذه الأبيات، وهي :

وَبَــاِسْتِكَ إذ خَلفْتَنِـــي خلْـــفَ شَاعـــرٍ
مِنَ النَّـــاس لم أكفـــئْ وَلَـــمْ أتنحّـــلِ

---

(١) البيت لمزرد بن ضرار الغطفانى يهجو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزنى.

فَإِنْ تجشبــــا أجشبُ وإن تتنخّـــــلا
وَإن كُنْتُ أفتــى منكمــا ــ أتنخَّـــلِ

ولستُ كحسان ــ الحسام ــ بن ثابتٍ
ولسَتُ كَشَمّـــــاخ ولا كالمخبَّـــــلِ

وَأَنْتَ امــروٌ من أهـــل قُدْسِ أُوَارَةٍ
أحلّــتْكَ عَبْـــدُ الله أكنـــاف مُبْهِـــلِ

أما «قدس[1] وآرة» فهما في بلاد مزينة قرب المدينة يعرفان بهذا الاسم إلى عهدنا هذا. وأما مبهل فهو واد في بلاد غطفان يصب في الجهة الجنوبية من وادي الرمة.

٣ ــ طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ البَكْرِيُّ[2]

ولد في شمال الجزيرة في بلاد ربيعة ــ وهي من العراق إلى خيبر ــ وأكثر إقامته فيها، وقد أكثر التجوال في بقاع نجد، وذكر في معلقته المشهورة بقاعا مترامية الأطراف : منها دجلة في شرقي الجزيرة، وحومل في

(١) قدس : بضم فسكون، وآرة : بهمزة فألف فراء مهملة مفتوحة، وفيهما يقول البعيث الجهني، وهو يدل على أنهما من مساكن مزينة :

ونحـــن وقعنـــا في مزينـــة وقعـــة
غداة التقينـــا بيـــن غيـــق وعيهمـــا

ونحـــن جلبنـــا يوم قدس وآرة
قنابـــل خيـــل تتـــرك الجـــو أقتمـــا

ووقع في معجم ياقوت «يوم قدس أوارة» محرفاً فإن أوارة من بلاد تميم في اليمامة، وأين غانة من فرغانة؟.

(٢) انظر مصادر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١١٥، الشعر والشعراء ١٨٥ سمط اللآلي ١ /٣١٩ الخزانة ١ /٤١٤.

غربيها، وثهمد قرب نفى في وسط نجد، وضرغد الذي يسمى اليوم ضرغط يقع بين بلاد بنى أسد وبين بلاد طى في شمال نجد الغربى، ودَدٌ في نواحي البحرين.

ووفد على عمرو بن هند[1] ملك الحيرة من قبل كسرى، وحظى بالقرب منه، ولكنه مل حياته الرتيبة، على ما فيها من مناعم الحياة، فهجاه هجاء كثيراً منه قوله :

فَلَيْتَ لَنا مكانَ المَلْك عَمْرٍو رَغُوْثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تخُور[2]

وانتهى الأمر بقتله على يد (المكعبر) عامل عمرو بن هند على البحرين فانتصر له ابن عمه عمرو بن كلثوم، فقتل عمرو بن هند.

قلت : هذا التعليل غير صحيح، وعمرو بن كلثوم لم يقتل عمرو بن هند لقتله هذا الأخير طرفة بن العبد، ويمكن الرجوع إلى جمهرة النسب لابن الكلبى الجزء الثالث ص ٣٠٠ وما بعد لمعرفة سبب مقتل عمرو بن هند.

انظر : جمهرة النسب لابن الكلبي ج ٢/ ٣٠٠ طبع دار اليقظة العربية دمشق ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م تحقيق محمود فردوس العظم.

٤ ــ لَبِيْدُ بنُ ربيعةَ الْعَامِرِيُّ[3]

ولد في عالية نجد، وكان كثير التَّجْوَال فيها في جاهليته، وبعد إسلامه،

(١) هند أم عمرو : هي بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور، وهي عمة امرىء القيس بن حجر الكندي.

(٢) الرغوث ــ بفتح الراء ــ كل مرضع، وقيل : المرضع من النعاج خاصة، وربما استعملت في النوق، وتخور : تصوت، وأصل الخوار ــ بضم الخاء، وفتح الواو مخففة ــ صوت البقر خاصة، وربما استعمل في الابل وغيرها.

(٣) انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /٢٧٤، الأغاني ١٥ /٢٩١ شرح شواهد المغنى ١٥٢، الخزانة ١ /٣٣٧. وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو صحابي توفي سنة ٤١هـ وقيل سنة٦٠هـ.

وله أشعار ذكر فيها بقاعاً كثيرة : كمنى، وغول، ورجام، وتدوم، ووجرة، وهى مواضع في عالية نجد، وكشعب جبلة في وسط نجد، قال لبيد :

* (وَنَحْنُ غَدَاةَ الشّعبِ حِيْنَ تَحَالَفَتْ)البيت*

وفي هذا الشِّعْب يوم من أيام العرب انتصرت فيه بنو عامر على بني أسد وبني ذبيان وبنى تميم، وقتل في ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بني تميم(١) :

ومن المواضع التي ورد ذكرها في شعره بيشة(٢) وتبالة في جنوبي الحجاز.

وقد وفد على النعمان بن المنذر في الحيرة ــ وهو غلام ــ مع رؤساء بني عامر، ونزل الكوفة بعد إسلامه.

★ ★ ★

٥ ــ عَمْرو بنُ كَلْثُومٍ التَّغْلِبيُّ(٣)

هو صاحب المعلقة المشهورة، وأحد فتاك العرب، ولد في بلاد قومه بني تغلب في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتجول في تلك الناحية وفي الشام والعراق ونجد. ويدل على ذلك ما ذكره في معلقته من الأماكن

(١) انظر حديث يوم جبلة في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٤٣ بولاق، وفي معجم أبي عبيد البكري ٢ /٣٦٥ وفي معجم ياقوت ٣ /٥٢ ويسمى أيضاً «يوم تعطيش النوق» وكان في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ.

(٢) بين تبالة وبيشة يوم واحد، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين مكة ثمانية أيام، وإليها ينسب أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي، سمع منه أبو حاتم الرازي.

(٣) انظر مصادر ترجمته : طبقات فحول الشعراء ١٢٧، الشعر والشعراء ١ /٢٣٤، الأغاني ١١ /٤٦، معجم الشعراء ٦، سمط اللآلي ٢ /٦٣٥، الخزانة ١ /٥١٩ توفى سنة ٥٢ ق. هـ.

كدمشق وبعلبك وقاصرين. وهذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض، وقد ذكر اليمامة، وهي الجبل المشهور : طرفه الشمالي قرب الغاط البلد المشهور، وطرفه الجنوبي قرب وادي الدواسر، ويقع في الجهة الشرقية من نجد، وقد حددته في كتابنا هذا تحديداً شافياً على شرح هذا البيت :

فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِيْنَا

وقد ذكر خزاز، وأشار في ذكره إلى ايقاد ربيعة النار في رأس ذلك الجبل، وهو في عالية نجد، وكان به يوم من أيام العرب بين العدنانيين واليمانية[١]، وهو أول يوم هزمت فيه العدنانية اليمن، ثم ذكر وراط، وهو من أودية سدير الواقع في اليمامة، وذكر ذا طلوح الذي يقال له اليوم «الطليحي»، وذكر الشامات، وهي : أكثبة بيض يقال لها اليوم «شامات زرود» تقع في شمالي زرود في شمالي نجد.

وقد وفد على عمرو بن هند مع رؤساء قومه بنى تغلب

★ ★ ★

٦ ــ عَنْتَرَةُ بنُ شدّادِ العَبْسِيُّ[٢]

ولد في بلاد قومه غطفان، وهي ــ كما ذكرنا عند كلامنا على زهير ــ من القصيم إلى قرب المدينة غرباً، يحدها من جهة الشمال بلاد بني أسد، ومن جهة الجنوب بلاد بني عامر بن صعصعة.

وقد طاف في جميع أنحاء نجد، وذكر في قصيدته مواضع بعيدا

(١) انظر بعض خبر يوم خزاز في معجم أبي عبيد البكري ٢ /٤٩٦ ومعجم ياقوت ٣ /٤٢٩ وفي تاريخ ابن الأثير ١ /٢١٣ قالوا «ولولا عمرو بن كلثوم ماعرف يوم خزاز».

(٢) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /٢٥٠، وشرح شواهد المغني ١ /٤٨١، والأغاني ٨ /٢٣٥.

بعضها من بعض كالجواء الواقع غربى القصيم، والحزن الذي يقال له اليوم «الحزل» شرقي الدهناء، وذكر الصمان؛ وهو شرقي الدهناء، والمتثلم : جبل قرب الجواء، وذكر عُنَيْزَتَيْنِ[1]، وهي بلدة «عنيزة» الآن؛ وذكر الغَيْلم وهو في جنوب اليمامة؛ وذكر ذا العشيرة؛ وهو (جو في) الصمان يقال له الآن «جو عشرى» وذكر الدُّحْرضَيْن وهما دحرض ووَشِيْع مما يلِي الخرج تفصل بينهما الدهناء، وذكر الديلَم، وَهي الآن عاصمة الخرج، ويقال لها الآن «الدلم»، وذكر الرِّدَاعَ، وهو في عالية نجد.



٧ ـ الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِيُّ[2]

ولد في بلاد قومه بني يشكر في بلاد ربيعة، وتجول في بلاد قومه، وفي عالية نجد وجنوبها وشمالها، وفي بلاد طيء، وبلاد بني أسد وبلاد غطفَان.

ذكر «الخَلْصَاءَ» وهي في الدهناء و«بُرْقَةَ شَمّاء» وهي في حمي

---

(١) من عادة شعراء العرب أن يثنوا اسم البلد أو يجمعوه، ويريدون بالتثنية جانبيه، ويريدون بالجمع عدة أجزائه وذلك كثير في كلامهم، وقد ثنى الفرزدق المربد في قوله :

* **عشية سال المربدان كلاهما** *

وجمع مطرود بن كعب غزة في قوله :

ميت برومان وميت بسلمان وميت عند غزات

فإذا اعتبرنا تثنية عنيزة من هذا القبيل فهي من البلاد الباقية على اسمها إلى اليوم. هذا، وفي عنيزة قتل مهلهل بن ربيعة جساس بن مرة قاتل أخيه كليب بن ربيعة، وفي هذه الوقعة يقول مهلهل :

كأنــا غدوة وبنــي أبينــا
بجــنب عنيــزة رحيــا مديــر

(٢) انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /١٩٧، الأغاني ١١ /٣٧، وقيل توفى سنة ٥٢٠م وقيل بل ٥٨٠م.

ضَرِيّة. وذكر «المُحَيَّاة» ويقال لها اليوم «مُحَيْوَة» جبل رفيع في بلاد غطفان بالقرب من أبان؛ وذكر «فُتَق[1]»وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد قرب بلد حائل، وذكر «رياض القطا» وهي قرب الدهناء وذكر «الشعبتين» وهي باقية بهذا الاسم في بلاد بنى أسد، فلما انقرضت[2] بنو أسد نزلها قسم من قبيلة الأسلم من شمر، وذكر «أبلى» وهي في عالية بلاد بني عبد الله بن غطفان، وذكر «العقيق» وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد : أعلاه قرب عشيرة، وينتهي بالقرب من المدينة، وذكر «شخصين» وهما جبلان في شمالي جبل كشب المشهور، وذكر «ملحة» بالقرب من «بيشة» في عالية نجد الجنوبية، وذكر «الصاقب» وهو جبل في عالية نجد باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذكر «البحرين ، والحساء» والبحرين يطلق على مقاطعة هجر، إلى غير ذلك من المواضع التي سنذكرها مفصلة مع بيان حدودها عندما نتعرض لقصيدة الشاعر.

وقد وفد على عمرو بن هند بالحيرة، شاعراً لبكر، وقصته مع عمرو مشهورة.



---

(١) قد ورد بلفظ «فتاق» بزنة الكتاب ــ في شعر الحارث بن حلزة، وفي قول الأعشى :

بكميت عرفاء مجمرة الخف غذتها عوانة وفتاق

وفي قوله أيضاً :

أتانـــي وغـــور الحـــوش بينـــي وبينـــه
كرانس من جنبـــي فتـــاق فأبلقـــا

والفتق ــ بضم الفاء والتاء جميعاً ــ جمع فتاق (وانظر الهامشة رقم ١ في ص ٣١).

(٢) لعله يريد انقراض بني أسد من الشعبتين، وأما بنو أسد اليوم فقسم منهم في العراق، وقسم في تركيا في الرها.

٨ ــ الاعشى مَيْمُونُ بنُ قَيْسٍ[١]

صاحب المعلقة المشهورة، ولد في بلدة منفوحة قرب مدينة الرياض[٢]، وكان رحالة كثير التجوال، وفد على ملوك نجران بني عبد المدان، وعلى الغسانيين بالشام، وعلى اللخميين بالعراق، ووفد على رسول الله ﷺ بقصيدة دالية قال فيها :

فَآلَيْتُ لا آرثى لها من كَلَالَةٍ وَلَا من حفاً حتّى تلاقي محمَّدا
متى ما تُنَاخِي عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ تُرَاحِي وتَلْقَىٰ من فَوَاضِلِه نَدَىٰ

فصدته قريش، ورجع إلى بلدته منفوحة، ومات بها، فلما سمع رسول الله ﷺ هذه القصيدة قال «كاد أن يسلم».

ورد في داليته ذكر «النجير»، وهو قصر في اليمن لكندة[٣]، و«صرخد» وهو من قرى الشام، فانظر إلى هذا التباعد بين الموضعين في قوله :

وَأبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيل تَغْتَدي مسافة ما بين النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[٤]

وذكر في معلقته مواضع كثيرة «كرياض الحزن»، ويقال لها اليوم

---

(١) انظر مصادر ترجمته في الشعر والشعراء ١ /٢٥٧، الأغاني ٩ /١٠٤. معجم الشعراء ٣٢٥، سمط اللآلي ٨٣/١ شرح شواهد المغني: ٢٤٠ وقد توفي سنة ٧ هـ.

(٢) احتوتها الآن مدينة الرياض.

(٣) صرخد، بلدة معروفة في بلاد الشام من أعمال محافظة السويداء السورية في جنوب سورية، وهي مازالت معروفة بهذا الاسم الجاهلي، مع تبديل طفيف حل بالراء فيقال لها: (صلخد)، وفيها آثار قديمة.

(٤) العيس : الأبل، واحدها أعيس أو عيساء، والمراقيل : جمع مرقال وهي السريعة السير.

الحزل وذكر «درنا»[١]، وهي من قرى اليمامة، وذكر «نمار» وهو في أودية اليمامة، وذكر «الخال» وهو جبل واقع على وادى الدفينة وذكر «العسجدية» وهي جبال في جبل كشب المعروف ويقال لها اليوم «العسلجيات» ومفردها عسلج، وذكر «الأبلاء» وهي واقعة في عالية بلاد بني عبد الله بن غطفان. وذكر «الرجل»[٢] وهي كثيرة في نجد، وذكر «خنزيرا» وهو جبل في عالية نجد الجنوبية، وذكر «روض القطا» وذكر «كثيب الغينة»[٣] وهو في شرق اليمامة يقال له في هذا العهد : «عريق بيان» والغينة هي القرية المسماة الآن «غيانة» وذكر «يوم الحنو»[٤] وهو في شمالي الحجرة وكان يقال له «حنو قراقر» ولا يزال له هذا الاسم إلى اليوم. وبه يوم من أيام العرب لربيعة على قسم من العرب والفرس، وفي ذلك اليوم قال رسول الله ﷺ «هذا هو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم، وبي نصروا».

---

(١) وذكر «درنا» في غير المعلقة أيضاً، في قوله :

حل أهلـــي مابيـــن درنـــا فبـــادو
لي وحـــلت علويـــة بالسخــــال

(٢) الرجل ــ بكسر الراء وفتح الجيم ــ مسايل الماء، واحدها رجلة.
(٣) الغينة : يروى بكسر الغين وفتحها.
(٤) يوم الحنو : هو المشهور بيوم ذي قار (تاريخ ابن الأثير ١ /١٩٦)، وفيه يقول الأعشى :

فَصّبحَهُـــم بالحنْـــوِ حَنْـــو قَرَاقِـــرٍ
وَذِي قَارِهَـــا منهـــا الجنـــودُ فَقَـــلَّتِ

علــــى كلّ مِحبـــوكِ السّراةِ كأنّـــهُ
عقـــــابٌ سَرَت من مرقبٍ إذ تدلّتِ

وقال من معلقته :

نحـــنَ الفـــوارسَ يَوْمَ الحنـــو ضاحيـــةٍ
جَنْبَـــى فُطَيْمـــةَ لا مِيْـــلٌ ولا عُزُلُ
=

٩ ـ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ[١]

ولد في بلاد غطفان، وتنقل في جميع بلاد العرب، ووفد على الملوك اللخميين، وآثر النعمان بن المنذر على جميع الشعراء، ولما غضب عليه وفد على الغسانيين.

وذكر في قصائده مواضع كثيرة في نجد وغيرها : ذكر «الجليل»[٢] وهو جبل بالشام يمتد إلى قرب حمص، وذكر «وجرة» وهي في عالية نجد، وذكر «تَدْمُرَ» وذكر «تُوضِحَ» وهي أرض متسعة يقال لها اليوم «التوضحيات» بعالية نجد الجنوبية، وذكر «جِلَّق» وهي دمشق، وذكر «الملح» إشارة إلى أملاح عبد الله بن غطفان، وهي عالية بلادهم، وذكر «الأمرار» وهو الملح المذكور يقال لها في هذا العهد «أملاح عبد الله» وذكر «حُساً» ويعرف الآن «بحِسِي عَليا» في عالية نجد الشمالية وذكر «لصاف» وهو منهل باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذكر «ثَبْرَةَ» وتسمى في هذا العهد «وبرة» ويقع الموضعان في شرقي الصمّان، وذكر «لابَة ضَرْغَد» التي يقال لها اليوم «ضرغط» وغير ذلك من المواضع المفصلة في هذا الكتاب.

* * *

= وفي رواية (يوم العين) انظرَ شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس تحقيق أحمد خطاب القسم الثاني ص /٧٢٧. والحنو : واد يبعد عن السليّل ٤٠ كيلا جنوباً للوداعين.

(١) انظر مصادرترجمته في : الشعر.والشعراء ١ /١٥٧ الأغاني ١١ /٢٣ سمط اللآلي، ١ /٧٩، شرح شواهد المغنى : ١ /٧٨، الخزانة ١ /٢٨٧، توفي سنة ١٨ قبل الهجرة.

(٢) وذكر «ذا الجليل» في قوله :

كأن رحلـــي وقـــد زال النهـــار بنـــا
بذي الجليـــل علـــى مستـــأنس وحـــدِ

١٠ ـ عبيْدُ بنُ ٱلأبْرَصِ ٱلأسَدِيُّ[(١)]

ولد في بلاد قومه بني أسد، ويحدها بلاد عبد الله بن غَطَفَان جنوبا وبلاد طيئ شمالاً. وجبال بني أسد : رَمَّان وحَبَشِي، وغِمَار الذي يقال له اليوم الغَيْمَار.

ذكر «مَلْحُوب» وهو في بلاد بني أسد يقال له اليوم «مكحول» قرب سَمِيْرَاء[(٢)] وذكر «القُطَبِيات»[(٣)] وذكر أنها قرب جبل سُوَاج، ويقع في عالية نجد الشمالية، وذكر «الذُّنوب» وهي باقية بهذا الاسم إلى عهدنا هذا، وتقع في عالية نجد بالقرب من الدفينة[(٤)]، وذكر «راكسا» وهو باق

= وأصل الجليل الثمام ــ بضم الثاء ــ وهو نبت يحشى بها خصائص البيوت، وذكر صاحب اللسان أن ذا «الجليل» وادٍ لبني تميم ينبت الجليل الذي هو الثُّمَامُ.

(١) انظر مصادر ترجمته في مقدمة قصيدته.

(٢) سميراء ــ بفتح فكسر ممدودا ــ وردت في خبر طليحة الأسدى لما ادعى النبوة، وذلك «أنه عسكر بسميراء» وقال مرة بن عياش الأسدي ــ

جلت عن سميـــــراء الملـــــوك، وغـــــادروا
بهاشرقـــــــن لايضيـــــــف ولا يقـــــــرى

فأما الذين ذكر أنهم رحلوا عن سميراء فهم بنو حبيب بن أسامة من أسد، وأما الذين ذكر أنهم استوطنوها فقبيلة من بني نصر يقال لهم بنو حجران وهو يهجوهم بأنهم عبيد لاينزلون الضيفان عندهم، ولا يقرونهم إن طرقوهم.

(٣) في اللسان ما معناه : أراد عبيد القطبية فجمع كأنه يعني الماء وماحوله (وانظر الهامشة رقم ١ ص ٣١).

(٤) وقد ورد الدفين أيضاً في شعر عبيد مكرراً، فمن ذلك قوله :

تغيـــــــرت الديـــــــار بذى الدفيـــــــن
فأوديـــــــة اللـــــــوى فرمـــــــال ليـــــــن

ومن ذلك قوله :

ليس رسمٌ من الدّفيـــــــن بِبـــــــاَلِ
فَلِـــــوَىٰ ذَرْوَةَ فَجَنْبَـــــى ذيـــــالِ.

بهذا الاسم إلى هذا العهد، ويقع في شمالى نجد، وذكر «ذات فرقين» وهو جبل له رأسان، تراه إذا كنت في بلدة نفي، ويعد من جبال المخامر، وذكر «ثعَيْلَبَات» ويقال له الآن «الثعيلبى» من مياه طي، وذكر «عَرْدَةَ» وهي باقية بهذا الاسم إلا أنها ذكرت وثنيت فقيل لها «عردان» وتقع في عالية نجد، وذكر (حِبِرّاً) وهو جبل أسود في عالية نجد الشمالية.

وهؤلاء الشعراء العشرة كلهم من نجد، ما عدا امرأ القيس، أربعة منهم من ربيعة وهم : عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، والأعشى. وأربعة من قيس عيلان وهم : زهير بن أبي سلمىٰ، ولبيد بن ربيعة العامري، والنابغة الذبياني، وعنترة بن شداد العبسي، وعبيد بن الأبرص من بني أسد، وامرؤ القيس من اليمن، وأكثر إقامته في نجد.

* * *

ذكر الأماكن التي وردت في المعلقات

١

امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجر الكِنْديّ

امرؤ القيس
مات سنة ٨٠ قبل الهجرة (٥٦٥ للميلاد) تقريباً

هو امرؤ القيس بن حجر، نسبه في بني مرتع بن كندة من كهلان[١] نذكر أولاً : المواضع الواردة في معلقته، وهذا مطلعها:

١ ــ قِفا نَبْك مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ، وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَىٰ، بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٢]

فَتُوضِحَ،فَالِمقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا، من جَنُوبٍ، وَشَمْأَلِ

ونبادر قبل أن نتحدث عن الأماكن فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع في اليمامة، قال ياقوت في معجمه[٣] : توضح والمقراة قريتان من قرى اليمامة، وتبعهم حسن السندوبي في شرحه لهذه القصيدة وذكر أن جميع هذه المواضع في اليمامة.

ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم، إلا عبارة واحدة وردت في معجم البلدان أثناء ذكر الدخول. قال : إن الدَّخُول[٤] بئر ثم

---

(١) لامرىء القيس بن حجر ترجمة في الأغاني ٨ /٦٣ وفي طبقات الجمحي ١٥ أوربة وفي خزانة الأدب ١ /١٦٠ وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة ٣٧ أوربة. وانظر الشعر والشعراء ١ /١٠٥ وشرح شواهد المغنى ٢١ ورجال المعلقات ٥٢.

(٢) القصيدة من البحر الطويل، وقافيتها من المتدارك.

(٣) المعجم ٢ /٤٣٠.

(٤) المعجم ٤ /٤٥.

عزز هذا القول بقوله : حكى نصر أن الدخول موضع في ديار بنى بكر بن كلاب.

سقط اللوى

سقط اللوى[1] : السقط لغة : يطلق على طرف كل كثيب، أما الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، فهو سناف يقال له اليوم مشرف، واسمه في الجاهلية شراف، كأنه كثيب من الأبارق والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حومل، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

الدخول

أما الدخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالي الهضب المعروف بين وادي الدواسر ووادى رنية، وذلك الماء تحت يد ابن نوير الشيباني اليوم؛ وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي :

فَلَوْ أسْمَعَ القومَ الصّراخُ لقُوْرِبَتْ   مصارِعُهم بَيْنَ الدَّخُولِ وَعَرْعَرَا

---

(١) سقط اللوى : وهو اليوم (مشرف) وفي الجاهلية (شراف) وانظر حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية القسم الثالث : ص /١٣٤٧ ــ ١٣٤٨ مادة (شرف) وانظر المعجم الجغرافي شمال المملكة القسم الثاني ص/٧١٠مادة(شراف)،ص١٢٣١ مادة /مشرفة.

والجديد الفريد فيما ذكره ابن بليهد هنا أنه أوضح شكلاً كان غامضاً عند الذين تطرقوا إلى هذه اللفظة من شراح المعلقات، ذلك أنهم لجأوا إلى التعريف اللغوي لهذه العبارة (سقّط اللّوَىٰ) فذهبوا إلى أن السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه، والسقط أيضاً مايتطاير من النار، والسقط أيضاً المولود لغير تمام، وفيه ثلاث لغات سِقْط وسَقْط وسُقْط واللوىٰ : رمل يعوج ويلتوي.

انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني، وشرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس، وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي، وغيرهما. فقد كان حديث الشراح عن سقط اللوى لغوياً، وذلك لجهلهم مكانه مع قرب زمانهم وبعد زمان المؤلف، ومع هذا كان عليهم أن يذكروه كما ذكروا ما بعده الدخول وحومل مع أنهما موضعان، ولكنهم لم يفعلوا ولم يقولوا وانظر لسان العرب مادة (سقط) فانك لن تجده اسماً لمكان.

وعرعر : ماء ببطن الهضب بينه وبين الدخول مرحلتان للإبل، يسمى اليوم «عراعر».

أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول.

والمقراة : واد ينصب إلى جهة الجنوب بين الهضب والسوادة، وقد حرف اليوم إلى القمرا، فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم «القمرا» في ألسن جميع أهل نجد؛ وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة.

وتوضح : أرض قريبة من الهضب يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع عن جبل الحمل جنوبا، والحمل : جبل يقع جنوبي الهضب، فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض : منها ما يبعد عن الثاني مرحلة، ومنها ما يبعد مرحلتين، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التى يقال لها اليوم مشرف، واسمها في الجاهلية شراف، قال الشماخ في شطر بيت[1] :

* مَرّتْ بِنَعْفَيْ شَرَافٍ وَهْىَ عاصِفَةٌ *

وقال زميل بن زامل الفزاري قاتل ابن دارة :

لَقَدْ عَضَّني بالجوَ جوَ كُتَيْفَةٍ ويوم التقينا من وراء شَرَافِ[2]
قصرت له الدعصى ليعرف نسبتي وأنبأته أنّي ابنُ عَبْدِ مَنَافِ
رفعَتُ له كفّي بأبيضَ صارمٍ وقلت الْتحفْهُ دُوْنَ كُلِّ لِحَافِ

وشراف هذا هو الذي أشار إليه امرؤ القيس بقوله «بسقط اللوى» سِقْطُهُ : طَرَفُه، واللوى : الأبارق منه أكثبة متراكمة، والدخول وحومل والمقراة وتوضح : كلها تقع من جبل السوادة في الجنوب الغربي، بينها

(١) هكذا رواه ياقوت (شراف) ونسبه للشماخ، ولكني بحثت ديوان الشماخ من أوله إلى آخره فلم أجده فيه.

(٢) هكذا رواه ياقوت، ورواه صاحب اللسان (ش ر ف) * لقد غظتني بالحزم حزم كتيفة * وذكر أن شراف ماء لبني أسد.

وبين الهضب الذي يقال له اليوم «هضب آل زايد» وآل زايد : الدواسر، وتوضح يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع جنوبي جبل الحمل، وموقعها من الهضب من جهة مطلع الشمس.

قلت : وقد ذكر ابن خميس في معجم اليمامة ج١/ ٢١٠ قال : قلت : ومن هذه الأقوال المتقدمة لابد لنا أن ندرك أنها مسميات ثلاث : توضح العادية وهي التي نص عليها ابن بليهد قرب جبل الهضب، ولا شك أنها التي عناها امرؤ القيس لقرب الأمكنة التي ذكرها في شعره معها لقربها منها ...

وتوضح قرقرى، وهي التي عناها يحيىٰ بن طالب الحنفي ونص عليها الهمداني غير أنها ليست التي عناها امرؤ القيس كما قال ... وهذه لا توجد الآن ولم نعثر لها على ذكر عند أهل المنطقة، وهذا لا ينافي وجودها سابقاً فكم من أعلام انطمست وكم من أسماء تغيرت ...

وتوضح الخرج، وهذه موجودة وتسمى (التوضحية)، تقع شرق (السهباء)فالقة جنوبي العرمة فِلقاً واقعة بين نخشيها، الشمالي والجنوبي سيلهما يدفع فيهما مع سيل وادي (التّرابي)، ووادي (وسيع) وما حولهما وتنتهي بالدهناء، ويمر الخط الحديدى من المنطقة الشرقية إلى الرياض مع شماليها، وهي الآن مزدرع كبير لمحمد ابن سعود آل سعود وأصبح جانب منها مزدرعا للأمير سلمان بن عبد العزيز في مدفع (أم العلاق) منها ... وهي روضة أجمل ما ترى من الرياض وأحسنها منظراً وأطيبها مرتبعاً ..

ولا شك أن هذه هي التي عناها الهمداني أيضاً بقوله : وكذلك توضح باليمامة بنهية بين رمل ... أهـ.

أما سبب تسمية الدخول فإنه واقع بين هضبتين والماء بينهما، ولا يُدْخَل إليه إلا من بين الهضبتين، وفي هضبة من هضابه ماء ليس بالكثير

في عرض الهضبة يجتمع من الأمطار، فلا ينقطع أبداً، ولا يصل إليه الرجل إلا وهو جاث على ركبتيه، فتسميه البادية اليوم «الدخل» أعني هذا الرس الذي في الهضبة نفسها، قال سعيد بن عمرو الزبيدي يذكر هضاب الدخول :

وإن يَكُ لَيْلي طَالَ بالنِّير أوْ سَجَا فقد كان بالجَمَّاء غير طَوِيلِ[1]
ألَا لَيْتَنِي بُدِّلْتُ سَعْياً وأهلَهُ بِدَمْخ وأضراب بِهَضْبِ دَخُوْلِ

سجا والنير ودمخ

والنِّير وسَجَا ودَمْخ كلُّها باقية بهذه الأسماء. سجا: ماء يحميه سمو الأمير فيصل لإبله وخيله، وهو من أحسن مياه البادية، والنِّير ودَمْخ : جبلان عظيمان في عالية نجد، فإن مرَّ لهما ذِكْرٌ في إحدى القصائد زدناهما إيضاحاً.

أما هضب آل زايد فهو يقرب من الدخول مسافة يوم تقريباً، ومن مياهه: الضيران والغُبِّيَّة، وسَقْمان، وصلاصل[2]، ومشينه، وعَرَاعِر، ومَأْسَل ومُوَيْسِل.

فأما عراعر وصلاصل ومأسل ومويسل فهذه أسماؤها في الجاهلية، وما تغيرت إلى يومنا هذا، غير أنهم جمعوا «عرعرا» على نهج أسلافهم فقالوا «عراعر» وقد قال امرؤ القيس في ذكر عرعر :

سَمَا بك شوقٌ بعْدَمَا كان أقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَىٰ بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

---

(١) الجماء المذكورة في هذا البيت : هي ماء الجمانية المعروفة في جهة النير في غربيه الشمالي.

(٢) صلاصل : ماء لبني أسمر من بني عمرو بن حنظلة، قاله السكري في شرح قول جرير :

عفا جو، وكان لنا محلاً
إلى جوى صلاصل من لبينى

وقال شاعر من بني كلاب في سَقْمَان :

رعــىٰ الــقسورَ الجونــيَّ من حَوْل أشْمُسٍ
ومــن بطــن سَقْمَــان الدعــادِعَ سِدْيَمَــا[١]

وقال تليد العبشمي على ذكر صلاصل :

أَتَتْنَا بنَوُ قَيْس بِجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ وشنّ وأبناءُ العمودِ الأكَابِرُ

إلى أن قال :

سَقَيْنَا القليلَ من سَمير (وجَعْوَنٍ) وأفلتنا ربُّ الصَّلاصِل عَامِرُ

ربه : يعني راعيه الذي يسكنه، وموقعه في الهضب، والهضب في القديم لبني عامر ابن صعصعة، ومأسل : يأتي عليه الكلام إن شاء الله، وفي مويسل يقول راجز من بني عقيل بن عامر :

ظَلَّتْ علـى مُوَيْسِلٍ حَيَامَىٰ ظَلَّتْ عليـه تَعْلكُ الزُّمَامَـا

★ ★ ★

٢ ــ وقال امرؤ القيس :

كَدَأْبِكَ، مِن أُمِّ (الحويرِثِ)، قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا، أُمِّ الرَّبَابِ بِمَـأْسَلِ

مأسل : ماء في الهضب مجاور لتلك المواقع التي ذكرها، وهذا الاسم مأسل

---

(١) وقد أنشده ياقوت ولم ينسبه، ووقع في ياقوت «الدعادع ديما» ووقع في لسان العرب «الدعادع سديما» وذكر عن ابن بري أنه أنشده «الدعاع» بدال واحدة بزنة الغراب (المديما) أي الذي جادته الديمة وهو المطر الدائم، والدعادع في الرواية الأخرى : نبت يكون فيه ماء في الصيف، وسديم : بزنة درهم وأصله السدم، وهو الحريص على الشيء ويقال : فحل سدم، إذا كان قد أرسل في الابل فهو يهدر بينها، وفي شرح القاموس «أشمس : موضع، وسديم : فحل».

يطلق على ثلاثة مواضع في جهة نجد الجنوبية.

أحدها : في وسط الهضب، وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله هذا.

والثاني : مأسل الجمح يقع شمالي عرض شمام.

والثالث: في حصاة[1] آل عليان، بين الركا والسوادة، وهي التي يقال لها اليوم الحصاة: حصاة[1] آل عليان، وحصاة آل حويل، والجميع: من قحطان؛ حصاة آل حويل : جبال سود، وحصاة آل عليان : جبال حمر، وبينهن ريعان وطرق؛ واسمها في الجاهلية : الحصاء؛ لأن جبالها خالية من النبات والشجر؛ فسميت الحصاء لذلك، فإن كل شيء خال من النبات يقال له : أحص، وهي في ديار بكر بن كلاب، وفيها يقول معقل بن ريحان :

جَلَبْنَا من الحَصَّاءِ كُلَّ طِمِرَّةٍ مُشَذَّبَةٍ فَرجاءَ كَالْجذْعِ جِيدُهَا

وهي التي ذكرها أخو عطاء حين رثى أخاه، وهو مولى لبنى بكر بن كلاب :

لَعَمْرُكَ إنّى إذ عطاء مُجَاوِرِي لزارٍ على دُنْيا مُقِيمٍ نَعِيْمُهَا

إلى أن قال :

أتَتْهُ على الحَصَّاء تهوي، وَأمْسَكَتْ مصارعَ حُمَّى تصرعنه وَمومها
فَيَا حبّذَا الحصاءُ والبرْقُ والعُلَا ورِيحُ أتانَا من هُنَاكَ نَسِيْمَهَا

---

(١) الحصاة : هي التي فيها الوادي المشهور الذي يسمى «خيم» وفيه بئر عذبة تسمى «خيم» وهي التي عناها جرير بقوله، لما وفد على أمير من الأمراء في زمن عبدالملك بن مروان فقال :

أَقْبَلْنَ من ثَهْلَان أَوْوَادِي خَيْم
على قلاصٍ مثل خَيْطَان السّلم

وخيم باقية بهذا الاسم إلى اليوم لم تتغير. ذكرها صاحب الأغاني في ترجمة جرير ج ٨ ص ٤١ بولاق.

وبلغنى أن في جبلى طيئ ماءين يقال لأحدهما : مَأْسَل، وللثاني مُوَيْسِل.

★ ★ ★

٣ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لي مِنَ الْبِيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيَّما يومٍ بدارةِ جُلْجُلِ(١)

دارة جلجل

الدارات في كلام العرب كثيرة، مضافة وغير مضافة، وأما دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس فهي باقية إلى اليوم في بطن الهضب، تقع في جهته الجنوبية الشرقية، ويقال لها اليوم «دارة جلاجل» وهو الموضع الذي عناه عمرو بن الخثارم البجلى بقوله :

وَكُنَّا كَأَنَّا أصلُ دارة جُلْجُلٍ مُدِلٌّ عَلَىٰ أشْبَالِه يَتَهَمْهَمُ

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم، وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي « دارة جلجل : من منازل حجر الكندي بنجد» وهذه العبارة صحيحة .

★ ★ ★

٤ ــ وقال امرؤ القيس :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنَ أسِيْلٍ، وَتَتَّقِي بنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وجرة

وجرة : معروفة بكثرة الظباء، وقد أطال الكلام عليها أهل المعاجم،

---

(١) قلت والرواية المشهورة لهذا البيت وهي :

ألا رُبَّ يَوْمٍ، لك منهــــــــنَّ، صالـــــــــحٍ

ولاسِيَّمـــــــــــا يومٍ، بدارةِ جُلجُــــــــــــلِ

والرواية التي أوردها ابن بليهد أقوم عروضياً.

وهي ركبة الشمالية وأما ركبة الجنوبية فهي التي يسلكها طريق السيارات من عشيرة إلى المويه، ووجرة التي يسلكها اليوم طريق السيارات من عشيرة إلى المهد هي التي يقول فيها جرير :

حييت لسْتُ غداً لَهُنَّ بصَاحِبِ بحَزيزِ وَجْرَةَ إذ يَخِدْنَ عِجالا

قلت : وهناك وجرة أخرى، وهي من قرى قنا والبحر، في إمارة بلاد عسير ووجرة من إضم بمنطقة الليث. انظر حمد الجاسر : المعجم الجغرافي القسم الثالث / ١٥٠٥.

وقال بعض العشاق :

أَرْوَاحَ نَعْمَان هَلّا نسمة سَحَرا وماءَ وَجْرَة هَلَّا نَهْلة بِفَمِ

وقال أعرابي :

وَفي الْجيْرةَ الغادِيْن مَن بَطْن وَجْرَة غَزَالٌ أحَمُّ المُقْلَتَيْن رَبِيْبُ
فَلَا تَحْسَبِى أنَّ الغرِيبَ الذي نأىٰ ولكنَّ مَنْ تَنْأيْنَ عنهَ غَرِيْبُ

وقال بعض الأعراب :

أتبْكى عَلَىٰ نَجْدٍ وريًّا ولَنَ تَرَىٰ بِعيْنَيْكَ ريًّا ما حَيِيتَ وَلَانَجْدَا
ولا مُشْرِفاً ما عِشْتَ أنقارَ وَجْرَةٍ وَلَا وَاطِئاً من تُرْبِهنَّ ثَرىً جَعْدا[1]
ألَمْ تَرَ أنَّ الليلَ يَقْصُرُ طولهُ بِنَجْدٍ، وَتَزْدَادُ الرِّيَاحُ به بَرْدَا

★ ★ ★

٥ ــ وقال امرؤ القيس لما ذكر البرق :

---

(١) الانقار : جمع نقرة، وهي الوهدة المستديرة في الأرض.

يُضْيءُ سَنَاهُ أوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ   أهَانَ السَّلِيطَ بالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ[١]
قَعَدْتُ وَأصْحَابِي لَه بَيْنَ ضَارِجٍ   وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَمَا مُتَأمَّـلِ[٢]

ضارج — ضارج : جبل في بلاد بني أسد، تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم، وقد اختص به بنو الصيداء، وهم بطن من بني أسد، وقال الشاعر :

وَقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَىٰ بَيْنَ ضَارِجٍ[٣]   ونَهْيَ الأكُفِّ صارخاً غَيْرَ أعْجَمَا

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في معلقته، فأما ضارج الذي في البيت الثاني من قوله :

وَلَمَّا رَأتْ أنَّ الشريعَةَ هَمُّها   وَأنَّ بَيَاضاً مِنْ فَرَائصها دَامِي[٤]
تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضَارِجٍ   يَفِيءُ عَلَيْهَا الظلُّ عَرمَضُهَا طَامِي[٥]

فهو من جبال الحجاز.

العذيب — فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع : اثنان منها في جهة العراق،

---

(١) السنا : الضوء، والسليط : الزيت، والذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة.
قلت : والرواية المشهورة لهذا البيت هي :
تُضِيءُ الظَّــلامَ، بالــعشاءِ، كأنّهــا   مَنَــارةُ مُمْسَىٰ راهبٍ، مُبَتّــلِ

(٢) بعد: بضم الباء وسكون العين على أنه فعل دال على التعجب، وأصله بعد ـــ بوزن كرم ـــ فنقلت ضمة العين للباء، وكأنه قال: ما أبعد ما تأملت، ويروى «بعد» بفتح الباء وسكون العين، وهذه الرواية تحتمل أن الأصل في الرواية الأولى الا أنه حذف الضمة العين ولم ينقلها إلى الباء، وتحتمل أن «بعد» ظرف، وكأنه قال: نظرت إليه بعد أن تأملته.

(٣) قلت وجاء في معجم الشيخ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثاني/٨٧٣ ضارى (ضارج) من قرى الشقة من أعمال بريدة بمنطقة القصيم.

(٤) البيتان في وصف حمر وحشية، والشريعة: مورد الماء، وهمها: مقصدها.

(٥) تيممت: قصدت، والعرمض ـــ بفتح العين والميم جميعا وبينهما راء مهملة ساكنة ـــ الطحلب.

وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص «إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس، وشرق بالناس وغرب بهم ـــ الخ» وهذا دليل على أن هناك عذيبين. والعذيب الثالث في بلاد عذرة، وهو الذي عناه كثير في شعره حين قال :

خَلِيْلَيَّ إنْ أُمُّ الحكيمِ تَحمَّلَتْ ... وَأَخْلَتْ بِخَيْمَاتِ الْعُذَيْبِ ظِلالَهَا

فَلا تَسْقِيَانِي من تِهَامَةَ بَعْدَهَا ... بلالاً، وَإِنْ صَوْبُ الرَّبِيْع أسالها

وَكُنْتُمْ تَزِيْنُونَ البلادَ فَفَارَقَتْ ... عَشِيَّةَ بِنْتُمْ زَيْنَهَا وَجَمَالَهَا

وهناك عذيب رابع بئر جاهلية قديمة يقال لها العذيب من آبار أثيفية، تقع في جنوبها عليها نخل ومزارع، وهي معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية، وهم أهل الوشم.

وظني أن امرأ القيس لم يعن في قصيدته إلا عذيباً قد تغير اسمه في عالية نجد؛ لأن المواضع التي ذكرها كلها في عالية نجد.

قلت : وجاء ذكر العذيب في كتاب بلاد العرب. قال[١] :

(ثم ترد واقصة. وهي ماء لطيئ، ثم تصير إلى العذيب وهو ماء عليه نخل لطيئ).

وهذا يدل على أن بطوناً من طيئ تسكن في أطراف العراق، وصلة طيئ بملوك الحيرة يدل على هذا أيضاً.

وفي «معجم البلدان» : العذيب تصغير العذب وهو الماء الطيب : وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة ٣٢ ميلاً، وقيل : هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة وقيل : هو حد السواد. وقال أبو عبد الله السكوني : العذيب يخرج من قادسية

---

(١) ص ٣٣٤.

الكوفة إليه، وكان مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل، وهي ستة أميال، فإذا خرجت منها دخلت البادية وقد أكثر الشعراء من ذكرها. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس، وشرق بالناس وغرب بهم، وهذا دليل على أن هناك عذيبين. انتهى.

وقال موزل[١] : عذيب الهجانات اسم كان أطلق على رأس الوادي (وادي حسم ــ حسب) حيث ينبثق نبع العذيب (عين السيد) والهجانات إحدى اناث الجمال المعدة للركوب، وهذا الموقع سمي كذلك لأن نوق الملك النعمان المعدة للركوب كانت ترعى هناك.

وقال أيضا[٢] (العذيب هو عين السيد، والمسافة التى حددها ابن خرداذبه بينها وبين القادسية ستة أميال (٢ ــ ١٠ أكيال) بينما هي ثمانية بواسطة الطريق المباشر، وتسعة ونصف إذا تحول عن هذا الطريق).

العذيب ــ أيضاً ــ قال النابلسي في رحلته : سرنا في صبح يوم الثلاثاء من عيون القصب ــ حتى وصلنا قبيل الظهر إلى واد بين أودية كثيرة، يقال له وادي العذيب ــ بصيغة التصغير ــ وهو ذو أعشاب نضيرة، وربيع وافي، وماء مطر عذب صافي ــ ثم أورد من شعره فيه :

سَقَىٰ وَادِى الْعُذَيْب هزيمُ وَدْقٍ ... يصبُّ به العَشيّةَ وَالبكُورَا
جبَالٌ بَيْنَ أَوّديَةٍ غُزَالَىٰ ... سَحَائِبُها تدرُّ بهَا درُورَا
بَدت أعْشَابُه متلوّنَاتٍ ... وقَدْ فَتَحتْ مع الصُّبْحِ الثُّغُورَا
تروقُ الخيلُ والبكرات حتّى ... نَأَتْ عَنْهَا وَقَد عظُمَتْ نحُوْرَا

---

(١) «العرب» ٧ ص ٢٦٥.
(٢) «العرب» ٧ ص ١٩٦.

نَزَلْنـاَ ذلك الـوادِي صَبَاحـاً وَقُلْنَا فيه، نَصْعَدُ منه طورَا
وَنَهْبطُ في وِهَادٍ وهو غَصٌّ ولستَ تَرَىٰ به ماءً شُهُورَا
سوى ماءَ الغمامةِ ظَلَّ يَجْرِى سيـولاً أَشْبَـهَتْ فيـه النُّهُـورَا

وقال : ثم لما دخل وقت العصر ركبنا وسرنا إلى أن وصلنا بعد العشاء الأخيرة إلى قلعة المويلح). انتهى ملخصا.

وهذا العذيب بين عيون القصب وبين ميناء المويلح.

العرادية : ــ نسبة إلى العراد الشجر المعروف : من قرى بني رشيد بقرب الحائط (فدك قديما) غرب مدينة حايل بنحو ٢٤٠ كيلا[١].

★ ★ ★

٦ ــ وقال امرؤ القيس :

عَلَا قَطَناً بِالشَّيِم أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَـى السِّتَـارِ فَيَذْبُـلِ

علا : فعل ماضٍ نَصَبَ قطنا.

وقَطَنٌ : جبل معلوم قريب الفَوَّارة، وهو جبل أحمر، وعنده أكمة بيضاء يقال لها «خيمة قطن» لبياضها، وهو في بلاد غطفان، يقع شمالي وادي الرمة وغربي أبان الأسود[٢]، وهو لبنى عبس في الجاهلية[٣]، وقال الشاعر: قطن

أَيْنَ انْتَهَىَ يابن صُمَيْعَاء السَّنَنْ ليس لِعَبْسٍ جبلٌ غَيْرُ قَطَنْ

---

(١) انظر حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الثالث ص ٨٩٠/ ــ ٨٩١.

(٢) وجاء في المعجم الجغرافي، القسم الثالث للشيخ حمد الجاسر ص ١١٦٨/ قطن بفتح القاف والفاء المهملة وآخره نون : من قرى منطقة بريدة بمنطقة القصيم.

(٣) ويسكنه اليوم بنو حرب، على اختلاف بطونهم، وحرب : قبيلة معروفة في الجاهلية ومازالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم.

وقال شاعر من الأعراب :

سَلِّم على قَطَنٍ إنْ كُنْتَ نازلَهُ ... سلامَ مَنْ كان يَهْوَىٰ مرَّةً قَطَنا
أحبُّه والذي أرْسَىٰ قواعِدَه ... حُبّاً إذا أعلنت آياته بَطَنَا
يالَيْتَنَا لا نَرِيمُ الدَّهْرَ ساحتَه ... ولَيْتَهُ حين سرنا غربةً معَنَا
ما من غريبٍ وإن أبدىٰ تجلُّدَهُ ... إلّا تذكّرَ عِنْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَا
انظر وَأنْتَ بَصيْرٌ هل تَرَىٰ قَطَنَا ... مِنْ رَأْسِ حَوْرانَ؟ مَنْ آتٍ لنا قَطَنا[1]
يَاوَيْحَهَا نظرةً لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ ... خيراً، ولَكنّها من غيرِه قَمِنَا

وقال كثير عزة[2] :

فإنَّك عَمْرى هل أريك ظَعَائِنَا ... بِصَحْنِ الشَّبَا كالدَّوْمِ من بطن تِرْيَمَا[3]
نظرت إليهَا وهي تنضو وَتَكْتَسِي ... من القفرِ آلاءً فما زالَ أقْتَما
وَقَد جَعَلَتْ أشْجَانَ بَرْكٍ يَمِيْنَهَا ... وذاتَ الشَمَال من مُرَيْخَةَ أشْأَمَا
مُولِّيَةً أيْسَارَهَا قَطَنَ الحِمَىٰ ... تَوَاعَدْنَ شِرْباً من حمامةَ مُعْظَمَا

وهو باق بهذا الاسم، وغزوة قطن مشهورة، قتل بها مسعود بن عروة، وأمير جيش رسولِ الله ﷺ سلمةُ بن عبدِ الأسدى، وذكره في المغازى كثير وفي أشعار العرب كذلك.

---

(١) وقطنا منطقة قريبة من دمشق.

(٢) هي أبيات في ديوان كثير ١ /١٦٥ وفي معجم ياقوت ٧ /١٢٦.

(٣) وقع في ياقوت «بصحن الشتا» تحريف، وصحن الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة وذكره ياقوت في أبيات أخرى لكثير ٥ /٢٢٥ على الصواب.

السيار

والستار : جبل في حمى ضَرِيَّةَ يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضَرِيَّةَ وبين شعبى الجبل المشهور في حمي ضَرِية يقع في جنوب مسكة الغربي، ويوم الستار يوم عظيم بين بكر بن وائل وبني تميم، قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر بن وائل، قتله قيس بن عاصم، وفي ذلك يقول شاعرهم :

قَتَلْنَا قَتَادَةَ يَوْم السِّتَارِ   وزيداً أسَرْنَا لدى مُعْنِق

وقال جرير :

إن كان طِبُّكم الدلَالَ فإنَّه   حَسَنٌ دلالُكِ يا أميمَ جَمِيْلُ[1]
أمّا الفؤادُ فليس يَنْسَى حُبَّكم   مادام يَهْتِفُ في الأَرَاكِ هَدِيْلُ
أيقيمُ اَهْلُكِ بالسِّتار وأصعدَتْ   بين الوَرِيْعَةِ وَالمَقَادِ حُمُولُ

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، وفي كتاب الأصمعى عن جزيرة العرب «الستار : أجْبُل سود مُنْقادة لبني بكر بن كلاب» والستار الذي ذكره الأصمعي على اسمه إلى اليوم، مازال يقال له الستار لم يتغير، وهو قريب من الدخول وحومل، والستار الأول الواقع قريب مسكة هو الذي عناه امرؤ القيس؛ لأنه ــ حين ذكره ــ ذكر قطنا معه، وهو قريب من قطن، وذلك أقرب للصواب، وهو باق على اسمه إلى اليوم.

يذبل

يَذْبلُ : جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم، وموقعه في عالية نجد الجنوبية، قال في معجم البلدان[2] : «قال أبو زياد : يذبل جبل لباهلة» وهذا صواب، وقال النابغة الجعدى وهو مخضرم :

---

(١) الطب : الدأب والعادة، وقال فروة بن مسيك :

فمـــا ان طِّبنـــاَ جُبْـــنٌ، ولكـــن   منايانـــا ودولـــة آخرينـــا

(٢) المعجم ٨ /٥٠٢.

مَرِحْتُ وَأطْرَافُ الكلاليب تتقى فقد عَبَطَ الماءُ الحميمُ وَأسْهَلا
فإَن كُنْتَ تَلْجَاه لتنقلَ مَجدْنَا لِسَبْرة فانقلْ ذا المناكِب يَذْبُلا
وإنّى لأَرْجُو إن أَرَدْتَ انتقالهَ بكفيك أن يأبىٰ عليكَ ويَثْقُلا

أما اسم هذا الجبل فقد تغير، ولم يعد يذكر بهذا الاسم، وهو الذي يسمى اليوم «صبحا» وهو واقع بين الحصاة وعرض ابنى شمام؛ وصبحا : جبل أحمر رفيع، وتسميته صبحا تسمية حديثة، حدثت عند توغل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبريه، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى يذبل، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر، فكان فارسهم عند الطعان يقول : (خَيَّال صبحا جبلى)[1] ، ويطلق هذا الاسم على يذبل، وتكرر ذلك حتى نُسِي اسمه الأول وصار اسمه صبحا،

وقال شاعر من العرب :

إذا كنتَ في الحِصَّاء أو في بجادَةٍ نظرتَ حُدوج الحي في سَفْح يذبل

والحصاء : هي المعروفة اليوم بالحصاة، والبجادة : جبل صغير منقطع من الحصاة، وإذا كنت في الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مسافة قريبة، وهي تبعد عن ثِنية ابن عصام الباهلي حاجب النعمان بن المنذر مسافة يوم ونصف يوم، ولا يوجد في جميع المعاجم «صبحا» إلا أرض مسطحة ليس فيها جبال تقع شرقي وادي سدير، وقد ذكروا أنها سميت صبحا باسم رجل من العماليق يقال له «صبح» هلك ودفن فيها فسميت صبحا باسمه، فصبحا اليوم هو الجبل المشهور في عالية نجد الجنوبية، والذي كان يسمى يذبل فيما سبق.

★ ★ ★

(١) يريد أنا فارس صبحاً الذي هو جبلي.

٧ ــ وقال امرؤ القيس :

وَأَضْحىٰ يَسِحُّ الماءَ حَوْل كُتَيْفَةٍ   يَكُبُّ علَىٰ الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

كُتَيفة التي ذكرها امرؤ القيس في هذا البيت : جبل صغير في أعلى مُبْهِل ومبهل : واد لبني عبد الله بن غطفان يصب في وادي الرمة، وهي تقع شمالي بقيعى اللهيب على مسافة ساعتين وجنوبي أبان الأحمر، على مسافة يوم، وهي التي عناها امرؤ القيس، وهي واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم في جهته الشمالية الشرقية، وكتيفة أيضاً : جبل صغير بين ثهلان ودمخ، في منازل بني عمرو بـن كلاب، قال أبو جابر الكلابي : كتيفة

أَيَا نخْلَتَيْ وادى كُتَيْفَةَ حَبَّذَا   ظلالُكُما لو كنت يوما أنالَهُاَ

وماؤكما العَذب الذي لو شَرِبْتُهُ   شفاءٌ لنفسٍ كان طال اْعتِلَالهُاَ[1]

مُعَنى على طولِ الهيَامِ غَلِيْلُهُ   بذكر مياهٍ ما يُنَالُ زلالُهَا

★ ★ ★

٨ ــ وقال امرؤ القيس :

كأَنَّ مَكَاكِيّ الْجِوَاءِ غُدَيَّةً   صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُغَلْغَلِ

الْمكَاكي : نوع من الطير يطرب عند نزول المطر، فتراه يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض في سرعة، وله تغريد، وهو المعروف بأم سالم، واشتقاقه من المُكَاء، وهو الصفير، قال تعالى : (**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**)[2].

وقال الشنفرى :

وَلَا خرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ   يَظَلُّ بهِ الْمَكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

(١) «كان» في هذا البيت زائدة، وجملة «طال اعتلالها» صفة لنفس.

(٢) الأنفال / ٣٥.

الجواء : قطعة من القصيم تقع في شماليه الغربي، وكله واقع شمالي وادي الرُّمة[١].

والجواء : قرى ومزارع ونخيل وجبال، وأغلب أسماء أماكنه اليوم هي الأسماء التي كانت لها في الجاهلية : فمن قراه المعمورة : وُثال، والروض، والعيون، والقرعى، والشقة، والشيحية، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى اليوم، فأما وثال فقال في معجم البلدان[٢] : هو بضم أوله وأطال الكلام عليه، ثم قال (هو منزل للحاج بين البصرة ومكة) وقال «هو حصن في بلاد بني عبس بالقرب من بلاد بني أسد» وكلا القولين صحيح : أنه ينزله الحاج، وأنه لعبس، قال كثير :

أَرْمِي الفِجَاجَ إذا الْفِجَاجُ تَشَابَهَتْ   أَعْلَامُهـا بِمَهَامِـهٍ أغْفَـالِ
بركَائِبٍ من بَيْنِ كلّ ثَنِيّـةٍ   سرُحُ الْيَدَيْنِ وبازِلٍ شمْـلَالِ
إِذْهنَّ في غَلَسِ الظَّلَامِ قواربُ   اعدادَ عُيْنٍ مَن عِيُون أُثَالِ

وقال مُتَمم بن نويرة اليربوعِي أخو مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد رضي الله عنه على البطاح، والبطاح باق إلى الآن بهذا الاسم، محاذ للجواء، بينهما وادي الرمة، قال متمم :

وَلَقَدْ قَطَعْتُ الْوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ   وَأخُو الصَّرِيْمةِ في الْأمُور الُمزْمِعُ
بِمُجِدَّةٍ عَنْسٍ كأنَّ سَرَاتَهَا   فَدَنٌ تطيفُ به النَّبِيْطُ مرَفَّعُ
قَاظَتْ أثالَ إلى الملا، وَتَرَبَّعَتْ   بالحـزْنِ عازبـةً تُسَنَّ وتُـوْدَعَ
حتّى إذا لَقِحَتْ وعُوْلَى فَوْقَهَا   قَرِدٌ يَهُمُّ به الغرابُ المُوقِعُ
قَرَّبْتُهَـا للرحْـلِ لمـا اعْتَادَنِـي   سَفَرٌ أهُمُّ بِهِ وَأمْرٌ مُجمَـعُ

(١) قلت قال الشيخ. حمد الجاسر في المعجم الجغرافي في القسم الأول ص /٣٣٨ الجواء بكسر الجيم وفتح الواو وبعدها ألف ممدودة : منطقة في القصيم ذات قرى منها عيون الجواء وغاف.

(٢) انظر المعجم ١ /١٠٧.

هذا المتعلق بأثال وذكره، فأما الروض المجاور لأثال فهو باقٍ على اسمه إلى اليوم، وهو اسمه القديم، قال النابغة الشيباني :

خَرَجُوا إِنْ رَأَوا مَخِيلَةَ غَيْثٍ من قصورٍ إلىٰ رياضِ أُثَالِ

قال في معجم البلدان[1] «العيون : جمع عين الماء، وهو في مواضع؛ ومن أشهرها عند العرب الذي على طريق مكة إذا خرجوا من واسط فينزلون في طريقهم العيون» وعيون الجواء المذكورة هي هذه التي على طريق مكة والقرعاء التابعة للجواء. قال في معجم البلدان[2] : «هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة» وذكر الخبراء عند ذكره القرعاء، والخبراء باقية بهذا الاسم بين الجواء والقصيم، وفي القرعاء ملازم ماء وركايا قديمة، وكان بها وقعة بين بني دارم بن مالك وبنى يربوع، وهاج بعضهم على بعض عند الماء، والشقة تسمى اليوم بهذا الاسم ومنهم من يقول لها «الشقق»، واسمها في الجاهلية الشقوق قال في المعجم[3] «هو منزل في طريق مكة» وهى كما ذكر على طريق مكة. والشيحية باقية على اسمها إلى اليوم، واسمها في الجاهلية الشيحة قال في المعجم[4] «بينها وبين النباج أربع مراحل» وهذا صحيح ثم قال «وقيل : الشيحة ببطن الرمة» وليست هي ببطن الرمة، وإنما تقع شماليه.

أما جبال الجواء فهن : صارات، وصارة، وساق، والأصابع، والموشم وجميع هذه الأسماء التي كانت لها في الجاهلية باقية إلى يوم الناس هذا،

---

(١) المعجم ٦ /٢٥٩.

(٢) المعجم ٧ /٥٥.

(٣) المعجم ٥ /٢٨٣.

(٤) المعجم ٥ /٣١٨.

وفي صارات يقول الصمة بن الحارث الجشمي[1]:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِيَّ وَمَنْ يَليهِم ... بأنَّ بيانَ ماَ يبْغُون عنْدِي
جَلَبْنَا الخَيْلَ من تَثْلِيْثَ إنّا ... أَتَيْنَا آل صاراتٍ فَرَقْدِ

«صارة» قال في معجم البلدان[2] «هو جبل في ديار بنى أسد» وهو كذلك، قال لبيد بن ربيعة العامري :

فَأَجْمَادَ ذِى رَقد فَأكْنَاف ثَادِقٍ ... فصارةَ تُوْفِى فَوْقَهَا فَالْأعَابِلَا

وقال محمد بن عبد الله الفقعسي[3] :

سَقىٰ الله حيّاً بَيْنَ صَارَةَ والْحمىٰ ... حِمَى فَيْدَ صوبَ المُدْجنَات المواطِرِ
أَمِينَ وردَّ الله من كانَ منهمُ ... إِلَيْهِمْ وَوَقَّاهم صروفَ الْمقَادِرِ
كأَنّى طَرِيْفُ الْعَيْنِ يومَ تطَالَعَت ... بنَا الرَّمْلَ سلانُ القِلاص الضَّوَامِرِ
أَقُولُ لِقَمْقَامِ بنَ زيدٍ : أماتَرَىٰ ... سَنَا البرقِ يَبْدُو للعيونِ النَّواظِرِ
فَإِنْ تَبْكِ لِلْوَجْدِ الذي هيَّجَ الجوىٰ ... أَعِنْكَ،، وَإِن تَصْبِر فَلَسْتُ بِصَابِرِ

و«ساق» باق بهذا الاسم إلى اليوم، وهي هضبة ملمومة شامخة إلى السماء، وقد أكثر الشعراء من ذكره.

وقال ياقوت[4] : «وساق الفريد في قول الحطيئة :

نَظَرْتُ إلىٰ فَرْتٍ ضُحَياً وَعَبْرتى ... لَهَا من وَكِيْف الرَّأْس شَنٌّ وَوَاشِلُ
إلىٰ الْعِيْر تُحْدَىٰ بين قَوٍّ وضَارِجٍ ... كما زالَ في الصُّبح الأَشاء الحَوَامِلُ
فَأتْبَعْتُهمُ عينىَّ حتّى تَفَرَّقَتْ ... مع الليل عن ساق الفريد الجَمَائِلُ

وساق الجواء : موضع آخر، وساق الفروين جبل في أرض بنى أسد، كأنه قرن ظبى، ويقال له ساق الفروين، وأنشد الحفصى :

(١، ٢، ٣) انظر معجم البلدان ٥ /٣٣١.

(٤) المعجم ٥ /١٠.

أَقْفَرَ مَن خَوْلَةَ ساقُ فُرْوَيْنْ فالحَضْرُ فَالرُّكْنُ من أبَانَيْنْ

وساق، والحضر، وأبانين : متقاربات من كان بأحدها يرى الآخر. وأهل نجد يسمونه إلى اليوم ساق الجواء وشاهد هذا قول زهير بن أبي سلمى :

نَشَزْنَا من الدَّهْنَاء يَقْطَعْنَ وَسْطَهَا شقائقُ رَمْلٍ بَيْنَهُنَّ خمائلُ
فلمّا بَدَت ساقُ الْجِوَاءِ وصارةٌ وفرش وَحَمَّاوَاتُهُنَّ القَوَابِلُ

الأصابع : آكام صغار متفرقة، وهي بهذا الاسم إلى اليوم، في أعلاها أحجار كالأصابع، وهي التي عناها حسان بن ثابت رضي الله عنه في مطلع قصيدته التى قالها في فتح مكة حين قال :

عَفَتْ ذاتُ الأَصَابعُ فَالجِوَاء إلى عذراءَ مَنْزِلُهَا خَلاَءُ
دِيَارٌ من بنى الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ تعفيها الروامس والسماء

ويضاف إلى الأصابع ماءة يقال لها اليوم «بقيعا أصبع» وتسمى في الجاهلية بَقْعَاء، قال جرير :

وَقَدْ كَانَ في بَقْعَاء رِىّ لشائِكُم وتلعةُ والْجَوْفَاءُ يجْرى غَدِيْرُهَا

وماؤها مُرٌّ، وهي لبني عبس، وقد تزوجت امرأة من بني عبس في بني أسد، ونقلها زوجها إلى «لينة» الماء المعروف اليوم، وماؤها عذب، وكان زوجها الأسدى عنينا، ففركته، واجتوتَ الماء، فاختلعت منه ورجعت إلى بلادها، وتزوجها رجل من أهل بقعاء فقالت :

فَمَنْ يُهْدِلي من ماء بَقْعاءَ شَرْبَةً فإنَّ له من ماء لِيْنَة أرْبَعَا
لَقَدْ زَادَنى وَجْداً ببقعاءَ أنَّنِي وَجَدْتُ مطايانا بلِيْنَة ظُلّعَاً
فَمَنْ مُبْلغٌ تِرْبَيَّ بالرَّمل أنَّنى بَكَيْتُ فَلَمْ أترك لِعَيْنَيَّ مَدْمعَا

وبقعاء المذكورة مُسمَاة اليوم «بقيعا» وقد جهز إليها أبو بكر رضي الله

عنه جيوش المسلمين لقتال أهل الردة، وهي على طريق البِطاح من المدينة[1] فكانت بعد ذلك وقعة البطاح المشهورة.

الموشم : باق بهذا الاسم إلى اليوم، واسمه في الجاهلية «موشوم» قال عبد الله بن الصمة:

أسقى الأجارع من نجد فَحُصَّ به سعدٌ فبطنُ بليات فَمَوشُومُ

وقال جرير:

وَأبْنَى شَرِيْكٍ شريكِ اللؤْمِ إذ نَزَلا بالْجَزْعِ أسفَلَ مِنْ أطْوَاءِ مَوْشُوْم
ياقَبَّحَ الله عَبْداً مِنْ بَنى لَجَإٍ يَأوي إلىٰ نسوة رُضْعٍ مَدارِيْمِ

انتهينا من ذكر الجِواء مفصلا.

وأما لفظ «الجواء» فقد أكثر الشعراء من ذكره، ولكنهم مختلفون، وسنذكر ما جاء من الصواب في ذكره، قال عنترة :

وَتحُلُّ عَبْلَةُ بالُجِوَاء وَأهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأهْلُنَا بالْغَيْلَمِ

وقال زهير بن أبي سَلمى:

عَفَا من آلِ فاطمَة الْجِوَاءُ فَيُمْنٌ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ

وكان بالجِواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة من غَطَفان وهَوَازن في أيام أبي بكر، فقتلهم خالد بن الوليد شر قتلة، وقال أبو شَجَرَةَ :

---

(١) هي تلقاء نجد، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة، وانظر تحديدها وما قيل فيها من الشعر في المعجم ١ /٢٥١. وقد ذكر ياقوت أن أبابكر رضي الله عنه ــ خرج إليها، لكن الذي في كتب التاريخ أنه أنما خرج إلى بقعاء ذي القصة (كامل ابن الأثير ١٤٣/٢ بولاق) وهي غير هذه.

وَلَو سَأَلَتْ جُمْل غداةَ لِقَائنَا كما كنتُ عَنْهاَ سَائِلاً لو نَأَيْتُهَا
نصبْتُ لَهَاَ صَدْرِى وَقَدَّمْتُ مُهْرَتِي على القوم حتى عاد وَرْداً كُمَيْتُهَا[1]
إذا هي حَالَتْ عَن كَمِيّ أُرِيْدُه عدلت إليه صَدْرَهاَ فَهَدَيْتُهَا
لقيتُ بنى فهْرٍ لِغِبِّ لِقَائِنَا غداةَ الجِوَاءِ، حاجة فَقَضَيْتُهَا

٩ ــ وقال امرؤ القيس :

وَمَرَّ عَلَىٰ الْقَنَانِ مِنْ نَفَيَانِه فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ من كُلِّ مُنْزَلِ[2]

القنان

القَنَان : جبل مشهور، في بلاد بني أسد باق بهذا الاسم إلى اليوم، وهو مما يلي بلاد بني عبد الله بن غطفان، وهو واقع بين الجواء وسميراء، وكان لبني فقعس قوم من قطاع الطريق كانوا يلجأون إلى هذا الجبل مخافة أن يفتك بهم السلطان، قال الشاعر :

ضَمِنَ القَنَانُ لِفَقْعَسٍ سوآتِها إنَّ القنـانَ لِفَقْـعَسٍ لَمُعَمَّـرُ

★ ★ ★

١٠ ــ وقال امرؤ القيس :

وَتَيْمَاء لَمْ يَتْرُك بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطُماً إلّا مَشِيْداً بِجَنْدَلِ[3]

تيماء السموأل

تيماء هذى : هي تيماء السموأل الواقعة في القطعة الشمالية من نجد، وهي بلدة قديمة جاهلية بهذا الاسم، ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع

(١) الورد ــ بفتح الواو وسكون الراء ــ الفرس الأحمر، هنا. والكميت ــ بزنة التصغير ــ الفرس بين السواد والحمرة. يريد أن ماسال من دماء اقرانه كثير، حتى انه غير لون فرسه من السمرة إلى الحمرة، يصف نفسه بالشجاعة.
(٢) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروي «من كل منزل» بزنة مسجد، ويروي الاصمعي صدره «وألقى ببسيان مع الليل بركه» وعليها شرح الأعلم.
(٣) الأطم ــ بزنة العنق ــ الحصن أو البيت المسقف، وجمعه آطام، ويروي «ولا أجما» ــ كعنق أيضاً ــ وهو كالاطم وزناً ومعنى وجمعاً.

وطئ النبي ﷺ وادي القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجِزْية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم، فلما أجْلىٰ عمر رضي الله عنه اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم، قال الأعشىٰ:

وَلَا عَادِياً لم يَمْنَع اِلْمَوْتَ مالهُ ... وَوِرْدٌ بتيماءِ اليهوديِّ أبْلَقُ

وقال بعض الأعراب :

إلى الله أشْكُو، لا إلىٰ النّاسِ، أنَّنِي ... بتَيْمَاءِ تيماءِاليهودِ غريبُ
وأني بِتَهْبَابِ الرِّياحِ مُوكَّلٌ ... طَرُوبٌ إذَا هَبَّتْ عليَّ جَنُوْبُ
وَإِنْ هَبَّ عُلْوِي الرّياح وَجَدْتَنِي ... كأنّي لِعُلْوِيّ الرّياح نسيبُ

★ ★ ★

قلت : وتيماء بلدة مشهورة قديماً، وتعد الآن تابعة لامارة تبوك، وكانت قبل بضع سنوات تابعة لاقليم حايل إدارياً، ويبلغ عدد سكانها قرابة (٣٥٠٠) نسمة[١].

١١ ــ وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ أَبَاناً فِى عَرَانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيْرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ[٢]

أبان

أبان : يثنى ويفرد، وهما جبلان عظيمان، يقال لأحدهما وهو الشمالى : أبان الأسود، ويقال للآخر : أبان الأحمر، وهو الجنوبي ومجرى وادي الرمة بينهما، يقال لذلك المسلك «الخنق» وهما في الجاهلية لبني عبس وبني فزارة[٣]، وقرية النَّبْهَانيةتحت أبان الأسود، وكان بعضُ الأعراب يقطع

(١) حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة القسم الأول /٢٧١.

(٢) يروي «كأن أبانا في أفانين وبله».

(٣) قال ياقوت «أبان الأبيض، وأبان الأسود، فأبان الأبيض شرقي الحاجز فيه نخل وماء يقال له أكرة، وهو العلم، لبني فزارة وعبس، وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان».

الطريق فحبسه والي اليمامة، فحن إلى وطنه، فقال :

أَقُوْلُ لِبوابَيَّ والسِّجْـنُ مُغْلَقٌ وقَدْ لاَحَ بَرْقٌ : ما الذى تَرَيَانِ؟
فقالا : نرى بَرْقاً يلوحُ، وما الذي يَشُوقُكَ من بَرْقٍ يَلُوحُ يَمَانِي؟
فقلت : افْتَحَا لِي البابَ أَنْظُرُ ساعةً لعلي أرىٰ البَرْقَ الذي تَرَيَانِ؟
فقالا : أُمِرْنَا بِالْوثَاق، وَمَا لَنَا بمَعْصيةِ السُّلْطَانِ فِيْكَ يَدَانِ؟
فَلَا تَحْسِبَا سِجْنَ اليمَامةِ دَائِماً كَمَا لَمْ يَدُمْ عيشٌ لنا بأبَـانِ؟

وقال بشر بن أبي خازم ذكرهما بالتثنية :

أَلَا بَانَ الخليطُ ولَمْ يُزَارُوا وَقَلْبُكَ في الظَّعُائِن مُسْتَعَـارُ
أُسَائِلُ صاحِبِي وَلَقَـد أَرَانِـي بَصِيْراً بالظَّعَائِن حَيْثُ صَارُوا
تؤمُّ بِهَا الحُدَاةُ مياهَ نَخْلٍ وَفِيْهَــا عن أَبَانَيْـــنَ ازْوِرَارُ

وأبان : هو حَدُّ القرى المعمورة من مقاطعة القصيم مما يلي الغرب على وادي الرُّمَّةِ.

قلت : وقد كتب الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في المعجم الجغرافي (بلاد القصيم) /٢٢١ كتابة مطولة عن أبان يمكن تلخيصها بالآتي، فقال : أبان جبل من أشهر جبال المنطقة في القديم والحديث، وهما جبلان : أحدهما أبان الأسمر، وكان يسمى قديماً أبان الأسود، وهو الشمالي بالنسبة لمجرى وادي الرمة، والثاني أبان الأحمر وكان يسمى قديماً الأبيض، وهو الجنوبي من مجرى الوادي،... ويقعان إلى الغرب من مدينة الرس على بعد حوالي ٥٠ كيلًا منها على تفاوت بينهما في ذلك.

١٢ ــ وقال امرؤ القيس :

كأنَّ ذُرَىٰ رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلْكَةَ مِغْزَلِ[١]

(١) الذري : الأعالي، واحدها ذروة، ويروي «من السيل والاغثاء» على أن الأغثاء جمع غثاء، وقال أبو جعفر النحاس: «من رواه من السيل والأغثاء فقد أخطأ لأن جمع الغثاء الأغثية وانما يكون أفعال جمع المقصور نحو رحي وأرحاء» أهـ ويروى «كأن قليعة المجيمر» ويروي :«كأن طمية المجيمر».

المجيمر

المُجَيمر[1]: على اسمه إلى اليوم لم يتغير، جبيل أسود صغير في أعلى مُبْهِل ومبهل : يصب في وادي الرمة، يقع في بلاد غطفان، ويقال له اليوم «المجيمير» قال عباد بن عوف المالكي، ثم الأسدي :

لِمَنْ دِيَارٌ عَفَتْ بالْجَزْعِ مِن رمَمِ إلىٰ قُصَائِرة فَالْجفْرِ فَالْهِدَمِ
إلى المُجَيْمِرِ والْوَادِى إلى قَطَنٍ كَمَا يُخطُّ بياضُ الرّقِّ بِالْقَلَمِ

★ ★ ★

١٣ ــ وقال امرؤ القيس :

وَأَلْقىٰ بِصَحْرَاءِ الْغبَيطِ بِعَاعَهُ نُزُول اليَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمّلِ

صحراء الغبيط

صحراء الغبيط : معلومة في بلاد بني يَرْبوع، والصحراء : المستوية من الأرض، وقال «صحراء الغبيط» لأنها منخفضة الوسط وطرفها مرتفع كالغبيط الذي هو من مراكب نساء البادية. وبين قَطَن ووادي الرمة أرض يقال لها اليوم « الصحراء» وهي التي عناها شاعر من بنى عبس بقوله :

تَبَدَّلْتَ بُؤْسَاً من صحُيَر وَأَهْلِهِ ومن بُرَقِ التّينَيْنِ نَوْطَ الْأَجَاوِلِ

وأما «صحراء الغبيط» فهي واقعة جنوبي وادي الرمة في بلاد بني يَرْبوع ويوم الغبيط[2] : من أيام العرب بين تميم وربيعة، قال جرير :

وَلَا شَهِدَتْ يومَ الغبيطِ مُجَاشِع وَلَا نَقَلَانَ الْخَيْل مِن قُلّتَىْ نَسْرِ

---

(١) وقد ذكره الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي /شمال المملكة القسم الثالث /١١٩٠، قال : المجمر : بكسر الميم الأولى واسكان الجيم وفتح الميم الثانية، وآخره راء. قال موزل : فأما هضبة ساق، العمودية الشكل، ويفيض مياه بيضاء نثيل فإنه يقع في سهل المجمر، الذي يحده من الغرب هضاب الشهبة، ومن الجنوب أم لحم والبويب، وأورد قول البكري وياقوت أن المجيمر أرض لفزارة، وأرى أن ماذكراه هو جبل المعروف الواقع بقرب طمية، وهو مصغر لاماذكر موزل.

(٢) انظر يوم الغبيط في ياقوت ٦ /٢٦٨ واللسان (غ ب ط) وكامل ابن الأثير ١ /٢٥٠ بولاق.

وهذا اليوم الذي أسر فيه عُتَيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام ابن قيس ففدى نفسه ثم أطلقه وجز ناصيته، فقال الشاعر :

رَجَعْنَ بهانِـئٍ وَأَصبَنَ بِشْرَاً وَبَسْطَامٌ تَعَضُّ بِه الكُبُولُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

فإنّ امرأً يَرْجُو الفلاحَ وَقَد رَأىٰ سَوَاماً وَحيّا بِالْإِفَاقَـةِ جَاهِـلُ
غَدَاةَ غَدَوْا مِنْهَا وآسر سربهم مَوَاكب يُحْدَى بِالْغَبِيْطِ وَحَامِلُ

وصحراء الغبيط لا تعرف اليوم بهذا الاسم في نجد، ولكنا إذا تتبعنا أقوال الشعراء فيها وأردنا تحديدها تبين أنها تقع بين المخامر ووادي الرمة، وتكون من القصيم في جهة الجنوب الغربية.

قلت جاء في «معجم البلدان» : الغَبِيْطُ بفتح أوله وكسر ثانيه كأنه فعيل من الغبطة وهو حسن الحال أو من الغبط، وهو قريب من الحسد، عند بعضهم وبعضهم فرّق فقال : الحسد أن يتمنى المرء انتقال نعمة المحسود إليه، والغبط أن يتمنىٰ أن يكون له مثلها، والغبيط من مراكب النساء، والغبيط : اسم واد، ومنه صحراء الغبيط.

وقال نقلاً عن ابن السكيت : الغبيط أرض لبني يربوع وسميت الغبيط لأن وسطها منخفض وطرفها مرتفع كهيئة الغبيط وهو الرحل اللطيف. وفي كتاب نصر : وفي حزن بنى يربوع ـــ وهو قف غليظ مسيرة ثلاث في مثلها وهو بين الكوفة وفيد ـــ أودية منها الغبيط واياد وذو طلوح وذو كريت[1]. ويوم الغبيط من أفضل أيامهم. ويقال له يوم غبيط المدرة وغبيط الفردوس، وهو في ديار بني يربوع يوم لبني يربوع دون مجاشع قال جرير :

وَلَا شَهِدَتْ يومَ الغَبِيْطِ مُجَاشِع وَلَا نَقَلَانَ الخَيْلِ من قُلَّتَىْ نَسْرِ

---

(١) صوابه : كريب ولكن كذا ورد في مخطوطة كتاب نصر.

وهذا اليوم الذي أسر فيه عُتَيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام بن قيس، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة، ثم أطلقه وجز ناصيته فقال الشاعر :

رَجَعْنَ بهانِـيءْ وَأصبَـنَ بِشْراً وَبَسْطَـامٌ تَعُضُّ بِهِ القِيُـودُ

وقد ذكر في يوم العظالى . وقال لبيد بن ربيعة :

فإن امرءاً يرجوُ الفلاحَ وَقَد رأىٰ سَوَاما وحيّاً بالْأفَاقَـةِ جَاهِـلُ
غدَاة غَدَوا منها وآزر سربهم مَوَاكب تُحْدَىٰ بالغَبِيْطُ وَحَامِلُ

وأقول : هما غبيطان غبيط الفردوس وغبيط المدرة كما تقدم عن البكري، وكما يفهم من النصوص المتقدمة، وهما متجاوران.

أما تحديد موقعهما فإن ما تقدم من الأقوال يمكن تلخيصه في :

١ ــ يفهم من خبر يوم الغبيط أن الغبيط يقع في الطريق بين صحراء فلج وبين بلاد عجل وشيبان من بكر بن وائل، وكانت في ذلك الوقت حول الكوفة، أي غرب فلج، حيث بلاد بني يربوع فالغزاة مروا بعد إغارتهم على الثعالب على بنى مالك فأغاروا عليهم ومعهم بنو يربوع فهزموهم بالغبيط.

٢ ــ أن الغبيط من أودية الحزن ــ كما في كتاب «بلاد العرب» وكما قال نصر. ويظهر أنه من أوديته الشمالية التي تقع في الطريق بين فلج وبين الكوفة أي في أسفل الحزن.

٣ ــ أن الغبيط أرض منخفضة الوسط مرتفعة الجوانب، كما يفهم من كلمة الغبيط وكما فسرها ابن السكيت. وكما يفهم من قول مالك بن نويرة الذي أورده ياقوت[١] ونصه : ويوم البردين من أيام العرب وهو يوم

(١) معجم البلدان ــ البردان ــ

الغبيط، ظفرت به بنو يربوع ببنى شيبان فقال مالك بن نويرة :

فأقررت عَيْنَىْ يومَ ظَلُّوا كأنَّهمُ ببطنِ الغَبِيْطِ خشبُ أُثْلٍ مُسَنَّدُ

إلى أن قال :

وأصبح منهم بَعْدَ فَلّ لِقَائِنَاَ بقيقـاءة البُرْدَيْـنِ فل مطـردُ

٤ ــ كانت وقعة يوم الغبيط في بطن الإياد[١] حيث لقيت بنو يربوع الغزاة منصرفين فهزموهم، وبطن الاياد في حزن بني يربوع ويفهم من خبر الوقعة أنه في أسفل الحزن حيث يقع طريق عجل وشبيان من صحراء فلج إلى بلادهم.

وفي «العقد الفريد» في خبر يوم مخطط أن بكر بن وائل غزوا بني يربوع حتى وردوا عليهم ماء بالفردوس، وهو بطن الاياد. بينه وبين مخطط ليلة وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بمخطط. وتقدم أن الغبيط مضاف إلى الفردوس وأن الاياد أسفل الحزن مما يلى الكوفة.

٥ ــ القول بأن يوم الغبيط هو يوم الصمد ويوم الجمد كما في كتاب «النقائض» يدل على قربة من الموضعين. وهما في حزن بني يربوع. ولهذا وقع الخلط بين الأيام التي وقعت في مواقع متقاربة.

وفي ديوان جرير[٢] :

أنَاَ ابنُ الفَوارسِ يومَ الغَبِيْطِ وما تعرفُ العوذُ أمْهَارَهَـا
لَحِقْنَـا بِأبجْـرَ والحَوْفَـزَان وَقَد مدّت الخيـلُ أعْصَارَهَا

هذا يوم أود. كذا قال شارح الديوان. وإن دل على شيء فعلى تقارب الموضعين وأود من الحزن. وقد تقدم ذكره في موضعه.

٦ ــ أن الغبيط في بلاد بني يربوع وهم الذين انتصروا في يومه على

(١) «النقائض» ١٠٦٨.

(٢) ص /٢٦٢.

بني عجل وبني شيبان ومن معهم. ولهذا كثر افتخار جرير بذلك اليوم، فقال :

أعبْتُ فوارسَ يَوْمَ الغَبِيْــــطِ وأيـام بِشْرٍ بنَـــيِ مَرْثــــدِ؟

وقال :

أحسبت يَوَمْكَ بالوقيطِ كَيَوْمِنا يوم الْغَبيطِ بِقلّة ٱلأرْحَــالِ

وقال[1] :

فَماَ شَهِدَتْ يَوْمَ الغبيطِ مُجاَشِعٌ ولا نَقَلاَن الْخَيْل مِن قُلّتَىْ نَسْرِ

هذا يوم الغبيط. وقلتاه : أكمتان عنده، ونسر موضع بالدهناء وهو نسر محرك فسكنه. وفي مخطوطة أخرى : وعنى يوم غبيط المدرة.

وقال[2] بشر بن عمرو بن مرثد :

قَادُوا الهذَيْل بِذى بهدىٰ وَهُمْ رَجَعُوا يَوْم اَلغَبِيْط بِبشرٍ وَهوْ مغلُوْلُ

وأكثر الأوصاف التي تقدم ذكرها تنطبق على صحراء واسعة من الأرض واقعة غرب وادي فلج (الباطن) بعيدة عنه، في شمال الحزن أسفله يفصل بينها وبين السهول والمنخفضات الواقعة جنوب العراق مرتفعات الحجرة التي هي امتداد للحزن، تلك الصحراء تدعى البطن، وليس من المستبعد أن تكون ما يعرف قديماً باسم بطن الغبيط، وبطن الاياد فنُسِيَ الاسمان الأخيران، واستعيظ عنهما باسم (البطن). والبطن أرض منخفضة خالية من الجبال، ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي بمحاذاة الحزن، تلب به من الشمال من أنصاب إلى المعانية. ويحف بها من الشمال الشرقي مرتفعات أرض الحجرة ومن الشمال الغربي والغرب مرتفعات تدعى ظهرة البطن.

(يقع البطن بين خطي الطول ٠٠ ــ ٤٣° و ٠٠ ــ ٤٥°

(١) ديون جرير ص ٤٢٣.

(٢) انظر حمد الجاسر : المعجم الجغرافي، شمال المملكة، القسم الثالث ص /٩٧٧ ــ ٩٧٩.

وخطي العرض ٣٠ ــ ٢٩°و ٠٠ ــ ٣٠° تقريباً)[١].

قلت: هذه أماكن أخرى وردت في قصائد أخرى لامرئ القيس وقد عقب على ذلك المؤلف ــ رحمه الله ــ فقال:

انتهى ما ورد في معلقة امرئ القيس من أسماء البقاع، وقد وضحنا كل شئ على قدر الإمكان.

ونبتدئ الآن في قصائد امرئ القيس الأخرى، وما ورد فيها من البقاع والجبال والمياه والتلول، وسنوضح الذي يظهر لنا توضيحه وتحديده في جهته.

١٤ ــ وقال امرؤ القيس :

سَالَتْ بِهِنِ نَطَاعِ في رَأْدِ الضُّحَىٰ   وَالْأمْعَــــزَانِ وَسَالَت الْأَوْدَاءُ

نطاع — نَطَاع : ماء معروف إلى اليوم بهذا الاسم في بلاد عبد القيس، لم يتغير وهو واقع في مياه الطف بين الَدَّهْنَاء وساحل البحر، جميعُ أهل نجدٍ يعلمون اسمه ومكانه.

الأوداء — والأوداء ــ بالمد ــ ماء لبني تَيْم الله بن ثعلبة بن عكابة، قاله ياقوت[٢] وأنا لا أعلم موقع هذا الموضع اليوم .

أود — وأود ــ بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة ــ موضع في بلاد بني تميم، ثم لبني يربوع منهم، بنجد في أرض الحزن. قال بعضهم :

وَأعْرَض عَنىّ قَعْنَبٌ فَكَأنَّمـاَ   يَرَىٰ أهلَ أُودَ من صُدَاءَ وَسَلْهَمَا

(١) وهي قرية ذات امارة لها قرى وموارد من امارات المنطقة الشرقية ــ انظر المعجم الجغرافي (المختصر) حمد الجاسر، القسم الثالث /١٤٧٢.

(٢) المعجم ١ /٣٦٨.

وقال ابن مقبل :

للمازِنَّيِـة مُصْطَـافٌ وَمُرْتَبَـعُ مما رَأَتْ أُودُ فالْمِقْرَاةُ فَالْجَرَعُ[1]

وقال آخر :

كأنَّها ظَبْيَةٌ بِكرٌ أطَاعَ لهَا مِنْ حَوْمَلٍ تلعاتُ الجوِّ أَوْ أُودَا

ولا أعلم لهذا الاسم أيضاً ذكراً في بلاد العرب اليوم، ولكن الذي يظهر لى أن «أُودَ» واقع في شرق اليمامة، وأن اسمه قد تغير، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه في عالية نجد.

فأما قول امرئ القيس في بيته «وسالت الأوداء» فالذي يظهر لي أن الأوداء : ماء لبني تميم يقع شرقي اليمامة، وأنا لاأعرفه اليوم بهذا الاسم وأنت ترى ابن مقبل قد ذكر «اود» وقَرنَه بالمِقراة، وكذلك ترى صاحب البيت الذي بعده قرنه بحَوْمَل، والمقراة وحومل في عالية نجد الجنوبية، ولا شك أن «أود» قريب منهن، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم.

قلت : قال البكري : قال ابن حبيب : أود لبني يربوع، وأنشد لابن مقبل : (للمازنية مصطاف ومرتبع) .. (البيت).

وفي شعر جرير أود لبنى يربوع، قال :

وَاحمينـا الأيـاد وُقلّتَيْـهِ وَقَـد عرفت سنابكُهـنّ أودُ

وقال سحيم عبد بني الحسحاس :

عَفَتْ من سليمىٰ ذاتَ فِرقٍ فَأوْدهَا وَأخلَقَ مِنْهَا بَعْدَ سَلْمىٰ جَدِيْدُهَا

قلت : قال ابن خميس : هذا الموضع ليس بمعروف الآن، ويجوز أن

---

(١) رأت،، ههنا : أي قابلت.

حذاء اليمامة أود، وفي عالية نجد أود آخر[١]..

١٥ ـــ وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ لِتُقْضي لُبَانَاتُ الفُؤَادِ الْمعَذَّبِ

قال :

تَبَصَّرْ خَلِيْلى هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَى شَعَبْعَبَ؟

النقب : يطلق على كل ثنية سلكت أو لم تسلك.

شعبعب : موضع باليمامة بين وادي نساح ووادي الحائر لبني قشير، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم منه شيء، وقد قال الصمة بن عبد الله القشيري يذكر شعبعب وهو بالسند، وهي قصيدة طويلة قال فيها :

طَوَالِعُ الخَيْلِ من تِبْرَاكَ مَصعدةٌ كَمَا تتابَعَ قَيْدَامٌ مِنَ السُّفُنِ
يَالَيْتَ شِعْرِى وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ والعين تَذْرفُ أحْيَاناً من الحَزَنِ
هَلْ أجْعَلَنَّ يدى للخَدِّ مِرْفَقَة على شَعَبْعَبَ بَيْنَ الحَوْضِ والْعَطَنِ[٢]

وتبراك الذي ذكره في هذه الأبيات : يقع من المواضع التي ذكرنا أن شعبعب يقع عندها في شماليها الغربي، بينها وبينه كثيب جو اليمامة على مسافة يوم ونصف للإبل التي تحمل الأثقال وهناك موضع بين وادي نساح ووادي الحائر يقال له «الحويض» اليوم، ويمكن أن يكون هو الحوض الذي قَرَنَه الصمة بن عبد الله بشعبعب، ويكون شعبعب قد تغير اسمه، ولكنه في تلك الناحية التي فيها تبراكُ والحويض، بدليل أنهما قرنا به.

---

(١) : عبدالله بن خميس، معجم اليمامة الجزء الأول /ص ١٢١.

(٢) قد عثرنا على بئر في تلك الناحية قرب العقبة التي يقال لها «أبو القد» يقال لتلك البئر: «العطينة» ولاشك أنها هي التي يقول فيها الشاعر «بين الحوض والعطن» لأنها مجاورة لتلك المواضع.

قلت : وقال عبد الله بن خميس : قلت وما ذكره ابن بليهد هنا فيه بعد .. أما شعبعب فلا يوجد الآن له اسم. ولم يحدد موضعه بالضبط. كل ما في الأمر أنه يقع غرب رمل (الوركة) ـــ نفوذ قنيفذة الآن ـــ وشرق (الهلباء) حدباء قذلة الآن ـــ مما يحاذي (تبراك) لا يبعد عنه .. فهناك مناهل في حضن رمل (قنيفذة) غرباً. اسماؤها مستحدثة .. فيجوز أن يكون أحدها .. والله أعلم(١).

* * *

١٦ ـــ وقال امرؤ القيس :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَىٰ مِنْ تَفَرُّقٍ — أَشَتَّ وَأَنْأَىٰ من فِرَاقِ المُحَصَّبِ
فَرِيْقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بطنَ نَخْلَةٍ — وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

يعلم القارئ أن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إذا نَفَرت من مِنًى نزلت المحصبّ، وطرفُهُ الذي يلى مكة في طرف جبل الخندمة الشرقى الذي أمام بيت سمو الأمير فيصل، وتسميه العرب «المُنْحَنَى» لانحناء الطريق عنده إلى منى، وطرفهُ الثاني على حدود منى، وكانت العرب تجتمع فيه يوم النفر من منى، وتبيت هناك حتى تنتهى من مناسك حجها وغيره، ثم ينصرفون إلى أوطانهم، قال كُثيَر عزة :

فَلَمَّا قَضيْنَا من مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ — ومَسّحَ بالْأَرْكَانِ مَنْ هُو مَاسِحُ
أَخَذْنَا بأطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنا — وَسَالَتْ بِأعْناقِ المَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
وَجَدْتُ بِهَا وَجْدَ الْمضِلّ رِكَابَهُ — بِمَكَّةَ وَالركبانُ غَادٍ وَرائِحُ

فالذاهبة من الابل لا يظفر بها صاحبها إذا تفرق الناس .

ومن قال : إن المحصب في منى واستدل لما ذهب إليه بقول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) معجم اليمامة الجزء الثاني /٥٥.

نَظَرْتُ إِلَيْهَا في المُحَصّبِ مِنْ منىَ   وَلي نَظَرٌ لولا التحـرج عَارِمْ

فقد أخطأ الفهم، ولم يفرق بين اسم المكان المعين، واسم المكَان الذي يراد به المعنى الاشتقاقي.

المحصب

أما المحصب الذي ذكره امرؤ القيس فهو الواقع بين منى ومكة، ويسمى المحصب إلى اليوم، أما الذي ذكره عمر بن أبي ربيعة فهو لم يقصد مكاناً بعينه، وإنما هو رجل رأى معشوقته ترمى الجمار، والعرب تُسمى الجمار والحجارة الصغار: الَحصْبَاء، فإذا رمى احدٌ بالحجارة الصغار قالوا : حَصَب بالحجارة، فالمحصب في كلامه اسم مكان مشتق من التحصيب أي رمى الحصباء وكأنه قال : نظرت إليها في المكان الذي ترمى فيه الجمار من منى.

قلت : والمحصب يمتد حتى يقارب (الحجون) فويق (مقبرة المعلاة) ومسافته ألف واثنان وأربعون متراً. فهم يحددونه مما يلى أعلى مكة المكرمة بالمعلاة، ويمضي صعدا حتى (سبيل الست) من أعلى (المعابدة) يشكل بطحاء ممتدة ذات حصباء نقية تغسلها سيول الوادي كل آونة، وما بها من عمران ولا سكان تفقدها صفة النظافة والنقاء .. ينزل الحاج بالمحصب بعد انصرافه من (منى) اقتداء بفعله عليه السلام، واستكمالا لاستعدادات السفر من مكة، فقد جاء عن ابن عباس قال: (المحصب ليس بشيءٔ انما هو منزل نزله رسول الله ﷺ) وقال عطاء : لا تحصب ليلتئذ إنما هو مناخ الركبان وكان أهل الجاهلية يحصبون. قال ابن جريح: وكنت أسمع الناس يقولون لعطاء : إنما نزل رسول الله ﷺ ليلتئذ المحصب ينتظر عائشة فيقول : لا، ولكن إنما هو مناخ للركبان فيقول من شاء حصب ومن شاء لم يحصب. ويدعى مكان المحصب (خيف بني كنانة) وهو الذي تقاسمت فيه قريش على الكفر حينما حالفت كنانة على بني هاشم أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يوارثوهم إلا أبا لهب

فإنه لم يدخل الشعب مع بني هاشم وتركته قريش لما تعلم من عداوته للنبي ﷺ. أما بنو هاشم مسلمها وكافرها فقد احتمت للنبي عليه السلام ..)[1].

وقد أثر عنه عليه السلام أنه قال: «إذا قدمنا مكة إن شاء الله تعالى نزلنا بالخيف الذي تحالفوا علينا فيه» فنزله ﷺ حينئذ ثم نزله في حجته.

كل ذلك وعمران مكة لم يتجاوز المعلاة إلا من بعض بساتين ومنتزهات في أعلى الوادي وعلى حفافيه أما الآن فقد غمر العمران كامل المحصب وامتد إلى قرابة منى وقامت هنالك الدارات الجميلة والقصور الفخمة والشوارع المنسقة .. فالحمد لله على ما أنعم، وحقق من دعوة إبراهيم، بركة محمد .. ما نعلم وما لا نعلم ونسأله المزيد، والإعانة على الشكر. ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[2]

وموضع رمي الجمار من (منى) يقال له: (المحصب) مأخوذ من الحصب وهو الرمي بالحصباء. وإياه عنى عمر بن أبي ربيعة حينما قال:

نَظَرْتُ إليهَا بالمحصّب من منىً
وَلِي نَظَرٌ لولا التّحرُّجُ عَارِمُ

فَقُلْتُ: أشمسٌ أم مصابيحُ بيعةٍ
بَدَت لك تَحْتَ السّجفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ؟

بعيدةُ مَهْوى القرْط إمّا لنَوْفَلٍ
أبُوهَا وإمّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ

وُمدّ عليهَا السجفَ يَوْمَ لَقيْتُهَا
علـى عَجَلٍ تباَعَهاوَالْخَوَادِمُ

---

(١) اخبار مكة المكرمة ٢ص ١٥٩ وانظر، المجاز بين اليمامة والحجاز ص/٣٠٥و ٣٠٦و ٣٠٧و ٣١٠.

(٢) آيه ٣٧ سورة إبراهيم.

فَلَـمْ أستطعهَـا غَيْـرَ أنْ قَدْ بَدَا لَنَـا
عشيّـة رَاحَتْ كَفُّهَـا وَالْمَعَـاصِمُ

معـاصمُ لم تَضْرِب على البُهْـم بالضُّحـىٰ
عَصَاهَـا وَوَجْـهٌ لَمْ تلحْـهُ السَّمَائِـمُ

نَضَار تَرَىٰ فيـه أسَاريـعُ مَائِـهِ
صبيـحُ تُفَادِيـه الأكُـفُّ النَّواعِـمُ

إذا مَا دَعَتْ أتْرَابهَـا فَاكْتَنَفْنَهَـا
تَمَايَلْـنَ أوْمَـالَتْ بهـنَّ الْمَآكَـمُ

طَلَبْـنَ الصّبَـا حتّـى إذَا مَا أصَبْنَـهُ

نَزَعْـنَ وَهُـنّ الْمُسْلِمَـاتُ الظَّوَالِـمُ

المحصب والأقحوانة : ويرون ان محصب (منى) غير المحصب الذي بأعلى مكة بينها وبين (منى) ومأزما منى هما الجبلان اللذان يحفان به مما يلي جمرة العقبة فأسفل منها .. حتى تنحسر الجبال ويفضي الطريق إلى الأباطح من أعلى مكة حيث مسيل (الرباب) وغربي (ثبير غيناء) و (حراء) و (الثقبة) و (السرر) وسدرة خالد .. وغيرها من الجبال والشعاب التى تصب في وادي إبراهيم. حيث (العدل) و (الاقحوانة) و (المحصب) متنفس أهل مكة. ومرتاد سمرهم وأماسيهم الحلوة .. حيث يتذكرها مغتربهم فيقول :

مَنْ كَانَ ذَا شجن بالشّامِ يَحْبسُهُ فَإنَّ في غَيْره أمْسَىَ لي الشَّجَنُ
وّإنَّ ذا القَصْر ناءٍ مابِهِ وطَـنِي لَكنْ بِمَكّة أمْسَى الأهْلُ وَالْوَطَنُ
مَنْ ذا يُسَايِل عَنّا أيْنَ مَنْزِلنَا فَالْأقْحُوَانَـةُ مِنّـا مَنْـزِلٌ قَمِـنُ
إذ نُلْبسُ العيش صَفْواً مَا يُكَدِّرُهُ قَوْلُ الْوُشَاةِ ولَا يَنْبُو بِنَا الزَّمَنُ

ويقول آخر :

فَيَا أَيْنَ أَيَّامٌ تولّتْ على الْحِمَىٰ   وَلَيْلٌ مع الْعُشّاق فِيه سَهِرْنَاهُ
وَنَحْنُ لِجيْرَان الْمُحصَّبِ جيْرَةٌ   نُوْفي لَهُمْ حسنَ الْودَادِ وَنَرْعاهُ
فَهَاتِيْك أَيَّامُ الْحَيَـاةِ وَغَيْرُهَـا   مَماتٌ فَيَا لَيْتَ النَّوىٰ مَا عَهِدْنَاهُ

ولابن جُماعة :

يَاسَائِق اَلْأَظْعَان إِنْ جُزْتَ الْحِمىَ   سَلّمْ عَلَى مَنْ بِالْمُحصَّبِ دَارُهُ
وَاشْرَحْ لَهُ مَا يلْتقِي مُشْتَاقَهُ   مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ أَحْرَقَتْهُ نَارُهُ

ولابن الصّاحب :

عَلَى اَلْأَبْطَحِ المكىّ طِيْبُ سَلامِي   وَأَزْكَىٰ تَحِيّات كَمِسْكِ خِتَامِ
إذَا ذَكَرُوا في الحي طِيْبَ حَدِيْثِه   خَلَعْتُ على السمّار ثَوْبَ مَنَامِ
مَنَازِلُ أَفْرَاحِي وَأُنْسِي وَلَذَّتِي   وَمَوْسِمُ أَعْيَادِى وَدَارُ هِيَامِـي

حراء : ومن هذا المكان، مفضى السيول، وملتقى البطاح، ومفترق الطرق، و مخيم الحجيج ..نشاهد يميننا الجبل المبارك الأشم (حراء) جبل النور ــ ومكان التحنث، ومتنزل الوحي، مقصد نبي الإِسلام بين يدى خبر السماء، ومنتجعه يخلو بنفسه، ويعبد ربه، ويتجرد من ملذات الحياة وزهرة الدنيا.. ليتلذذ بمناجاة ربه والأنس بقربه .. عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : أول ما بدىٔ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ــ وهو التعبد والتبرر الليالي ذوات العدد ــ ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ابنة خويلد فيتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ، قال : فقلت : ما أنا بقارىٔ، قال : فأخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد

ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني، فقال : اقرأ، فقلت ما أقرأ، فقال : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١)

قال عرام بن الأصبغ : عن حراء (جبل شامخ أرفع من ثبير في أعلاه قلة شامخة زلوج ذكروا أن رسول الله، ﷺ، ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك، فقال رسول الله ﷺ : «**اسكن يا حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**». وليس بها نبات ولا في جميع بطن نخلة في الطريق السالك إلى نجد، وهما نخلتان : نخلة اليمانية، ونخلة الشامية.

قلت: ثم تابع المؤلف رحمه الله، فقال:

بطن نخلة

بطن نخلة في الطريق السالك إلى نجد، وهما نخلتان: نخلة اليمانية، نخلة الشامية.

أما نخلة اليمانية فتبتدىء من الزيمة وتنتهي على حد بهيته.

وأما نخلة الشامية فتبتدىء من عين المضيق، وتنتهي في أرض واسعة يقال لها مكة، وسيول نخلة اليمانية أعلاها من وادي قرن، وتجتمع جميع الأودية في ذلك الوادي وتصب فيه، وتأتي عن طريق بطن نخلة اليمانية، وسيول نخلة الشامية تأتي من أودية الضربية، وتسلك بطن نخلة الشامية، وسيول الواديين تجتمع في بستان ابن عامر، هذا اسمه القديم، وهو اليوم موقع عين الجديدة، وإذا اجتمعا سلكا وادي مر، المسمى اليوم وادي فاطمة حتى يصب في البحر الأحمر، قال جرير:

كَمْ دُوْنَ ميّة مَن مُستَعْمِل قُذُفٍ … ومِن بلادٍ بها تُستْوْدَ عُ العِيْسُ
حَنَّتْ إلىٰ نَخْلَةَ القُصْوىٰ فَقُلْتُ لَهَا … بَسْلٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيْسُ
أُمّي شَآمِيَّةٌ إذ لا عِرَاق لَنَا … قوماً نَوَدُّهُم إِذْ قَوْمُنا شُوسُ

وقال كُثَير عزة في نخلة الشامية :

حَلَفْتُ بِربِّ المُوْضِعِيْن عَشيَّةٍ … وَغَيْطَانُ فَلْجٍ دُوْنَهُم والشَّقَائِقُ

(١) من آيه ١ إلى آيه ٥ سورة العلق.

يحثونَ صُبْحَ الحرِّ خُوْصاً كَأَنَّهَا   بِنَخْلَةَ من دون الوَجِيْفِ المطارِقُ
لَقَد لَقِيَتْنَا أَمُّ عَمْروٍ بِصَادِقٍ   من الصَّوْم أَوْضَافَتْ عليها الخَلائِقُ

وقال ذو الرمة :

أَمَا وَالَّذِي حجَّ الملبُّونَ بَيْتَهُ   شِلالاً وَمَوْلَىٰ كُلِّ بَاقٍ وَهَالكِ
وَرَبِّ قلاصِ الخوصِ تَدْمَىٰ أُنُوْفُهاَ   بِنَخْلَةَ والدَّاعِيْنَ عِنْدَ الْمَنَاسِكِ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَىٰ الأَرْضَ ما يَسْتَفِزُّنِي   لَهَا الشَّوْقُ إِلا أَنَّهاَ من دِيَارِكِ

وفي بطن نخلة يوم من أيام الفِجَار بين قيس عَيْلان وقريش، وفيه انهزمت قريش حتى دخلت الحرم، وفي ذلك يقول ابن زهير، هكذا قالوا، وهو خداش بن زهير شاعر من هوازن :

ياشَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غير كاذبةٍ   على سَخِينَة لَولا الليلُ وَالْحَرَمُ

قال في معجم البلدان[١] في الكلام على نخلة اليمانية : وادٍ يصب فيه يَدَعَان، وبه مسجد لرسول الله ﷺ، وبه عسكرت هوازن يوم حُنَين. ويدعانُ لم يتغير اسمه إلى اليوم إلا أن جميع أهل الحجاز ونجد أبدلوا ياءه جيما فقالوا «جدعان»[٢].

ونخلة اليمانية التي طريقها على قرن المنازل هي مسلك حجاج أهل نجد في الجنوب، وأخصُّ من نجد القطعة الجنوبية والحساء وعُمان واليمن.

فأما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عِرْقٍ فيسلكها حاجّ العراق وحاج القسم الشمالي من نجد، وسكان أهل نخلتين هم : هُذَيل من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا.

---

(١) المعجم ٨ /٢٧٥.
(٢) وليس ذلك بعجيب، بل ان في لغة أسلافهم العرب الذين يحتج بكلامهم ابدال الجيم ياء، فقد قالوا في شجرة وشجرات : شيرة وشيرات، وقال الشاعر :

اذا لم يكـــن فيكـــم ظل ولا جنـــى
فأبعدكـــن الله من شيـــرات

وكبكب : هو الجبل المطل على عرفة، من جهته الشرقية، ونَجْدُهُ : الأرض المرتفعة المحيطة به قال ساعدة بن جؤيَّةَ الهُذَلي، وهو من سكان تلك الناحية : كبكب

كِيْدُوا جَمِيْعَاً بآناسٍ كَأَنَّهُـمُ أَفْنَادُ كَبْكَبَ ذاتِ الشثِّ والخَزَمِ

الأفناد : جمع فند ــ بالكسر ــ وهو الشمراخ من شماريخ الجبل، والشث والخزم : من نبات أرض الحجاز.

والمحصَّبُ ونخلة وكبكب كلها باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

قلت : وفي كبكب يقول ابن خميس :

«كبكب : أما الجبل الأشم الممتد من الشرق إلى الغرب الذي يصحبنا من اليمن فهذا هو (جبل كبكب) أبرز جبل هنالك منفك من الجبل الأكبر وهو سلسلة جبال متصلة لكل قمة منها اسم يصاحب (نعمان) شماليه حتى حدود (عرفات) فلنأخذ في ذكر هذه المسميات من (جبل كبكب) حتى نهايتها ..

يتصل بقمة (كبكب) من الغرب جبال (برم) ويليها (جبال ضلعة) ويليها غربيها أيضا (جبال برقة) ويليها جبال (الوقر) وشعبه ويلي الوقر (ريع وسيق) وهو ثنية تفصل بين (الوقر) والجبل الواقع غربيه في نفس السلسلة وهو جبل (العقم) ويتصل به جبال متداخلة تضاف إليه. ومنه تنبع (عين زبيدة) أو من قربه على ما يقال.

ومن (العقم) يأخذ الطريق ذات اليمين ويفارق (نعمان)، هنالك يقوم بينه وبينه هضاب متقاودة من الغرب إلى الشرق بمحاذاة الطريق يقال لها : (هضاب عوف).

وقبيل (عرفة) ينشعب طريق من لا يمر بمكة المكرمة ولا بالمشاعر المقدسة آخذاً ذات الشمال تجاه نعمان. أما طريقنا فلم يلبث بعد انشعاب الطريق إلا قليلاً حتى يعلو ثنية بين جبال يقال لها : (جبال

الجلية) ومنها ينحدر على عرفة ..

و(كبكب) يحمل هذا الاسم من القديم وله ذكر في كتب المنازل والديار وعلى ألسنة الشعراء. قال ياقوت : (كبكب : بالفتح والتكرير : علم مرتجل لاسم جبل خلف عرفات مشرف عليها : قيل هو الجبل الأحمر الذي تجعله بظهر له إذا وقفت بعرفة، وهما كبكبان : فكبكب من ناحية الصفراء وهو نقب يطلعك على بدر، وكبكب آخر يطلعك على العرج وهو نقب لهذيل، قال الأصمعي : ولهذيل جبل يقال له : كبكب وهو مشرف على موقف عرفة، وقال ساعدة بن جؤية الهذلي :

كِيْدواً جَمَيعاً بآناس كَأَنَّهُمُ أفنادُ كَبْكَب ذات الشثِّ وَالَخُزَمِ

أفناد، جمع فند : وهو الشمراخ من شماريخ الجبل وهو طرفه وما تدلى منه. ونجد كبكب موضع آخر، قال امرؤ القيس :

تَبَصّر خَلِيْلِي هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ سَوَالَك نَقْبِ بَيْنَ حَزْمَىْ شَعَبْعَبَ؟
فَرِيْقَان منهمُ قاطعُ بَطْنِ نَخْلةَ وآخرُ مِنهُم جازعُ نَجْدِ كَبْكَب

وقال البكري : (كبكب بفتح أوله وإسكان ثانيه بعدهما مثلهما. قال الطوسي: كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات. وقال الأخفش : هو الجبل الأبيض عند الموقف قال الطوسي وهو مؤنث. قال الأعشى:

وَتَدْفُن مِنْهُ الصَالِحاَتُ وَانْ يُسِيْءْ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النّار في رَأْس كَبْكَبَا

فلم يصرفه. قال أبو حاتم : كبكب : ثنية، ولذلك لم يصرفها. وكبكب هو الذي كان ينزله سامة بن لؤي فغاضب قومه فرحل إلى عمان، قال المتلمس :

كَانوا كسامة إن شِعْفُ مَنَازِلهُ ثم استمرّت به البُزْلُ الْقَنَاعِيْسُ

وله نجد يضاف إليه، ويقال : نجد كبكب ..) اهـ

وتشير بعض هذه الأقوال أن كبكب هو الجبل المطل على عرفات من الناحية الشرقية بحيث يكون خلف مستقبل القبلة مباشرة .. وهذا ليس بصحيح فالذي يلي عرفات من الجبال مباشرة هما جبلا (السعد) و (أبو خشبة) وإذا كنت في نمرة رأيت شماريخ (كبكب) تطل عليك من خلف هذين الجبلين يخالف لونهما وتكوينهما..

وكبكب من جبال هذيل منذ القدم في قول الأصمعي. وقال الهمداني: (منازل هذيل عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وعروان ..) اهـ

قلت وقد قال حمد الجاسر: (.. وهو جبل عظيم ذو شعاب كثيرة، وسكانه من هذيل يدعون (الكباكبة) اهـ.

ذو المجاز : وإذا ذكر ذو المجاز سوق العرب المشهورة ذكر كبكب ــ غالباً ــ لأنه بسفحه[1].

١٧ ــ وقال امرؤ القيس :

على أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ ليس بِمُعْرِبِ ... بمُجْفَرَةٍ حَرْفٍ كأنَّ قُتُودَهـاَ

يُمجُّ لعَاعَ البَقْلِ في كُلِّ مشْرَبِ ... أقبَّ رَبَاعٍ منْ حَمِيْرِ عَمَايةٍ

بِأَسْفَلِ ذِي مَاوَانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ ... عَظِيْمٍ طَوِيْـلٍ مُطْمَئِـنٍ كَأَنَّـهُ

قد اختلف أهل المعاجم والأخبار في ذكر الجبال والمياه، وقد ذكرت طرفاً من ذلك في أول كتابنا هذا، وقد اختلفوا في عَمَاية، منهم من قال أنها بالبحرين، ومنهم من قال : أنها في عالية نجد في سواد باهلة، والروايتان كلتاهما مجانبة للصواب، فعماية وعلية جبلان عظيمان في عارض اليمامة.

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز ص /٢٨١ ــ ٢٨٣.

أما عليه فهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم، وذكرها صاحب المعجم بهذا الاسم

قلت : قال عبد الله بن خميس : ويسكن مياه (علية) ومستقرتها الآن قوم من (آل شامر) يرجعون (ليام) وقوم من (القرنية) يرجعون حسب تقسيماتهم إلى قبائل شتى، ولكن الحلف جعل منهم قبيلة واحدة كشأن عادات العرب واصطلاحاتهم وفي أودية (علية) داخل الجبل مياه أثما وأوشال ومناهل معروفة ومخصصة لذويها .. وبحكم قرب (علية) من (حوطة بني تميم)، فإن لهم عليها دالة ... ويتحدث عن وهم ياقوت في ذكره العلية والعلاة. ثم قال : كما وهم بعض الباحثين حينما قال إن (علية) هي (عمايه).. وهو قول لا يؤيده الواقع ولا تقاربه الحقيقة .. وقد تعاقبت أقوام على (علية)، فمن بني هزان الوائليين آل بني قشير وحيدة العامريين، إلى بني مزيد الحنفيين. إلى آل شامر اليامبين، والقرينية الأحلاف. هذه (علية) قلعة (اليمامة) الحصينة وطودها الأشم، وهامتها المتأبية[1].

عماية وعماية وحدها جبل ذو هضبات متقاربة كان ذوبان العرب في الزمن القديم يأوون إليها، فإذا دخل أحدهما عماية عمى خَبَرهُ، ومسالكها منيعة، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى، فمن هنا سميت عماية، وقد زال اسمها اليوم فلم يبق منه شئ وهي تثنى وتفرد، قال جرير في تثنيتها :

لَوْ أنَّ عُصْمَ عَمَايتَيْنِ وَيَذْبُلِ سَمَعَتْ حَدِيْثَكَ أَنْزَلَ الأَوْعَالا

وأفردها جرير في قوله لما توعده الحجاج ودخلها :

---

(١) معجم اليمامة الجزء الثاني ص ١٧٩.

وَخِفْتُكَ حتّى اسْتَنْزَلْتَنِي مَخافتِي ... وَقَد حَالَ دُوْني من عَمَايَة نِيْقُ
يُسِرُّ لَكَ البَغْضاءَ كلُّ مُنَافِقٍ ... كَما كلُّ ذِي دَيْنٍ عَلَيْكَ شَفِيْقُ

وقال القتال الكلابي واسمه عبد الله بن مجيب، وكان كثير القتل والفتك بالناس، فهرب ودخل عماية :

جَزَىٰ الله خَيْراً والجزاءُ بِكَفِّه ... عمايـةَ عَنّـا أمَّ كلِّ طريْـدِ
فَلَا يَزدَهِيْهَا القومُ إن نَزَلُوا بِهاَ ... وَإنْ أرسَلَ السلطَانُ كلَّ بَرِيْدِ
حَمَتْنِي منها كلُّ عَيْطَاء عَيْطَلٍ ... وَكلُّ صفاً جَمِّ القِلاتِ كَؤُوْدِ

وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وكذلك أهل الأخبار، وهي جبل في عارض اليمامة الواقعة عن وادي بريك جنوباً، يقسمها وادي برك قسمين : ما كان بين بريك وبرك يقال له : عماية، وكذلك الذي بين برك والأفلاج يقال له : عماية، فسميت عمايتين أخذت هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن في بلد الحوطة الواقعة في وادي برك.

وأما ماوان فقد غلط فيه أناس كثيرة، قال حسن السندوبي عن ابن السكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة، وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة، وفيه يقول عروة بن الورد العبسي:

وَقُلْتُ لِقَوْمى في الكَنِيفِ تَرَوَّحُوا ... عشيَّةَ بِتْنَا دُوْنَ مَأْوَانَ رُزْح
تَنَالُوا الغِنَىٰ أوْتَبْلَغوا بنُفُوسِكُم ... إلىٰ مُسْتراحٍ من حَمَامٍ مُبْرِحِ
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيَالٍ ومُقْتِراً ... من المال يَطْرَحْ نَفْسَه كلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْراً أو ينال رَغِيْبَـةً ... وُمْبلِغُ نَفْسٍ عذرهَا مثلُ مُنْجحِ

ولقد أخطأ في بعض ذلك وأصاب في بعض : أخطأ في استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرئ القيس، لأن ماوان الذي عناه امرؤ القيس غير «ماوان» المذكور في هذه القصيدة، وأصاب في ذكر ماوان، أما «ماوان»

الذي ذكره عروة ابن الورد فإني أعرفه وأعرف الذي ذكره امرؤ القيس مثلما أعرف منازل بيتي، والذي أعرف أنه جبل واقع بين بلاد بني عبس وبلاد بني أسد، ويقال له «ماوان» إلى يومنا هذا، وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض، ليس بالكبير، عنده ماءة يقال لها : الماوية، أضيفت إلى هذا الجبل، تقع شمالي بلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل.

وأما «ماوان» الذي ذكره امرؤ القيس فهو واد عظيم في وسط علية الجبل المشهور في عارض اليمامة، وهو من أمنع جبال نجد، ومما يجري على لسان العامة إذا كان على أحد جُرْم والتجأ إلى بعض الرؤساء وعزم على حمايته قال له «كأنك في رأس علية» وهي واقعة بين بريك ونساح، وفي ماوان قصور ومزارع، وفي كلام أهل نجد مما يجرى مجرى المثل « لعل ماوان يكفي أهله» وسيولهُ مع سيول علية تنصبُّ إلى جهة الخرج ووادي بريك يحد العلية جنوباً، ونساح يحدها شمالاً، ومن قراه المعمورة : الحريق، والمفيجر ونعام.

قال شاعر من بنى عقيل :

فَمَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ طريقُ بَرْكٍ وإن صَعَّدَتْ في وَادِى نَعَامِ

وهو لبني هزان في الجاهلية، وفيه بقايا منهم إلى هذا اليوم، قال شاعر جاهلي من بني جُشَم :

أنْسَتْكَ هَزَّانُكَ من نَعَامِهَا وَمَن عليّة وَمِنْ آكَامِهَا

وفي بريك ــ غيرَ الحريق والمفيجر ونعام ــ قسم من قرى الحوطة المعمورة وأما «برك» فهو أعظم من بريك، وهو من أكبر أودية عارض اليمامة، وغلط فيه كثير من أهل المعاجم، قال ياقوت لما ذكر «بَرْكَ

الغماد» وذكر «برك» بغير إضافة، وقال : هو ناحية باليمن، وقال[1] في عبارته «وبرك أيضاً ماء لبني عقيل بنجد» هذا كلام ياقوت. قال أبوعبيد البكري في معجم ما استعجم[2] «برك ونعام : موضعان في أطراف اليمن» وهذا خطأ.

وبرك ينصبُّ من الغرب إلى جهة الشرق في جنوبي وادى بريك، وفيه قسم عظيم من قرى الحوطة حوطَةِ بني تميم، وفيه : الحلوة، والقويع، والعطيان، وقُرًى كثيرة. لا تحضرني أسماؤها ساعة كتابة هذا.

وفي برك وبريك من النخيل والمزارع والآبار شئ لا يحصيه إلا الله، وقد سئل رجل من أهل الحوطة : كم فيها من بني تميم؟ وكم سكانها؟ فقال فيها أربعة آلاف بئر كل بئر فيها أربعة نفرٍ من الموالى للأعمال ليسوا من بني تميم، فعدد العُمَّال ستة عَشَرَ ألف نفر غير سكانها وغير أهلها التميميين، وسيول الأودية تنصب إلى بلد الخرج.

وبرك هذا هو الذي عناه أوس بن حجر في قوله[3]:

تَنكَّرَ بَعْدِى من أُمَيْمَةَ صائِفُ　　فَبِرْكٌ فَأعْلىٰ تَوْلَب فَالْمَخالفُ
فَبطْنُ السُّلَيِّ فالسِّخَالُ تُعذَّرتْ　　فَمَعْقَلة إلىٰ مُطَارٍ فَوَاحِفُ
فَقَوٌّ فَرِهْبىٰ فالسليل فعاذب　　مطافيلُ عوذُ الوحشِ فيها عواطفُ

قد ذكر في ثلاثة الأبيات هذه مواضع باقية على أسمائها إلى يومنا هذا: برك هو الوادي المشهور، بطن السُّلَي : موضع يقال له السلي بينه وبين الرياض أقل من نصف يوم، وهو في جهته الشرقية، ولا يزال باقياً بهذا

(١) انظر معجم البلدان ٢ /١٥٠، ١٥١ وبرك في هذه العبارة بكسر الباء.
(٢) انظر معجم ماستعجم ١ /٢٤٤ وفيه ذكر برك ونعام أنهما بأطراف اليمن.
(٣) ثلاثة الأبيات في معجم مااستعجم (١ /٢٤٤) وذكر أن المواضع التي ذكرت فيها من بلاد بني تميم.

الاسم، ومَعْقَلة : ملزم ماء في أدنى الصّمان يقال له اليوم «معقلى» والسليل: بلد عظيم معمور في أسفل وادي الدواسر. وأما رهْبىٰ وعاذب ومطار وواحف فلها ذكر في الأشعار القديمة، وأغلبُها ملازم ماء في جهة الصُمان.



١٨ ــ وقال امرؤ القيس في وصف فَرَسه :

وَأسْحَمُ رَيَّانُ الْعَسِيْبِ كَأَنَّهُ غَثَاكِيْلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

سميحة

سميحة : بئر قديمة في المدينة عليها نخل، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال كثير[١]:

كأنَّ دُمُوْعَ العَيْنِ لمّا تَخَلَّلَتْ مَخَارِمَ بِيضاً من تَمَنِّى جَمالُهَا
قَبْلَنَ غُرُوباً من سُمَيْحةَ أنْزَعَتْ بِهِنَّ السَّوانِي واسْتَدَارَ مَحَالُهَا

وقد أجابه علقمة بن عَبْدَةَ التميمي على هذه القصيدة، وهو رجل جاهلي، وكلمته مذكورة في ديوان امرئ القيس، وقد عزمنا إن وجدنا بها شيئاً من المواضع أن نورده في كتابنا هذا.



١ ــ قال علقمة بن عَبْدَةَ :

لَيَالِيَ لا تَبْلى نصيحةٌ بَيْنَنا لَيَالِي حَلُّوا في السِّتّار فَغُرَّبِ

الستار وغرب

أما الستار : فقد مضي الكلام عليه في معلقة امرئ القيس[٢]. وأما

(١) البيتان في معجم البلدان ٥ /١٣٤ وديوان كثير ١ /٢٤١.
(٢) انظره في الصفحات: ٥٣ ــ ٥٥ ــ ٥٧ من هذا الكتاب

غرب فهو اسم مشترك يقع على مواضع كثيرة في بلاد العرب، والذي عناه الشاعر أقرب ما يكون لبلاد تميم واقع بين حقيل وجمران، وهي خمس أَكَمَاتٍ صغار سود، ووصفت بالسواد نسبة إلى سواد الغُرَاب، فسميت غَرّبَ، وهي على اسمها إلى اليوم، وقال مالك بن الرَّيْبِ المازني :

عليّ دِمَاءُ ٱلبُدْن إن لم تُفَارقِي أَبَا حَرْدب يوماً وأصحاب حَرْدَبِ
سَرَت في دُجَىٰ لَيْلٍ فَأَصْبَح دُوْنَهَا مفاوزُ جُمْرَان الشرّيْف فَغُرَّبِ
تطالع مِنْ وَادِى الكِلاب كَأَنهَا وقد أنجدت مِنْهُ فَرِيدَة رَبْرَبِ

أما وادى الكلاب الذي ذكره مالك فسنبينه إن شاء الله في موضعه.

وأما جمران الذي ذكرت عنده غرب في أبيات مالك بن الريب فهو جبل صغير أسود مرتفع يقع بين غُرَّب وجبلة، وجمران باقٍ باسمه الأول إلى يومنا هذا.

وقد أكثر الشعراء من ذكر جمران، قال ربيعةُ بنُ مَقْرُوم :

أَمِنْ آل هِنْدٍ عَرَفْتَ الرسُوْمَا بجمران قَفْراً أبت أَنْ تَرِيْمَا

وكان يوم من أيام العرب في وادي النشاش الذي يقع غربى جمران على مسافة نصف يوم، والنشاش : اسم جاهلى وهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ويوم النشاش كان بين بني عقيل وبنى حنيفة، فمرت حنيفة بجمران وهى منهزمة فقال شاعر بني عقيل :

وَلَوْ سُئِلَتْ عَنّا حَنِيْفَةُ أخبَرَتْ بما لَقِيَتْ مِنّا بجمران صِيْدُهَا

وحقيل المذكور : وهو جبلٌ[1] أَشْقَرٌ منقطِعٌ من جبال السر يقال له اليوم «حقيل» أيضاً فهو باق على اسمه الجاهَلي، وفيه يقول الراعى :

---

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٣ /٣٠٧) أن حقيلاً واد في ديار بني عكل بين جبال من الحلة وأنشد عليه أبيات الراعي هذه، ونحن نتكلم عن عيان ومشاهدة، وماراء كمن سمعا.

جَمَعُوا قُوىً مما تضمُّ رِحَالُهُم   شَتَّى النِّجار ترى بهن وُصُوْلَا
فَسَقَوْا صَوَادى يَسْمَعُونَ عشيَّةً   لِلْمَاءِ في أَجْوَافِهِنَّ صَلِيْلا
حتّى إذا برد السِّجَالُ لَهَاتَهَا   وَجَعَلْنَ خَلْفَ عروضُهُنَّ ثَمِيْلا
وَأَفَضْنَ بعد كظومهنَّ بحَرَّة   من ذى الأَبَارِقِ إذ رَعَيْنَ حَقِيْلا[1]

★ ★ ★

٢ ـــ قال علقمة بن عَبْدَةَ :

وَمَا أَنْتَ أَمْ ماَ ذِكْرُهَا رَبعِيَّةً   تَحِلُّ بإير أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبُبِ

إيـــر   إير هو جبل في بلاد غَطَفان، وله ذكر في أشعار العرب، وبه وقعة، قال الشّماخ[2] :

عَلَى أَصْلَابِ أَحْقَبَ أَخْدَرِيٍّ   من اللائي تَضَمَّنَهُنَّ إِيْـــرُ

وإير : يسمى الآن عيرا، وعير : جبيل في بلاد غطفان في أعلاها شمالى وادى الرمة، وقال زهير بن أبى سلمى، وهو من سكان تلك الناحية وشعرائها :

ألا أَبْلغْ لَديْكَ بَنِي سبيعٍ   وأيامُ النَّوَائِبِ قد تَدُور
فإن تَكُ صُرْمَةٌ أخذَتْ جِهاراً   لِغَرْس النَّخْلِ أَزْرَهُ الشَّكِيْرُ[3]
فإنَّ لكم مآقِط عَاسِيَاتٍ   كيوم أضَرَّ بالرؤساء إيـــرُ

(١) في ياقوت عن ثعلب أن ذا الأبارق وحقيلا اسمان لموضع واحد، وأطال في تخريج هذا البيت.

(٢) البيت في معجم البلدان ١ /٣٨٨ وفي ديوان الشماخ ٣٥ «على أصلاب جأب أخدري» والجأب : حمار الوحش، والأخدري : الأسود.

(٣) الأبيات في المعجم ١ /٣٨٨ وديوان زهير ٣٣٧، ووقع في ياقوت «أرزه الشكير» وأثبتنا مافي الديوان.

قلت : وقال البكري في معجم ما استعجم : «اير بكسر أوله وراء مهملة مثل عير ــ قال يعقوب : اير جبل بنى الصارد بن مرة، وأنشد لمزرد ابن ضرار :

فَأَيَّهْ بِكَنْدِيرِ حمارِ بن واقع رآك بإيْرٍ فاشْتَأَىٰ من عُتائد

وعتائد : هضاب أسفل من إِير لبنى مُرَّة ــ ويروى : رآك بكير».

وقال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي، شمال المملكة، القسم الثالث، بعد أن استشهد بمجموعة أشعار : «يفهم من الأشعار المتقدمة أن اير بقرب بثقب، وأنه في بلاد بني مرة من غطفان، وليس بعيداً من عوارض. وله صلة ببلاد طيئ كما في شعر الطائي الذي يتشوق إلى شرب ماء أبطح بقربه.

ثم علق الشيخ حمد على قول ابن بليهد أن ايرا يسمى الآن عيرا وهو جبيل في أعلى بلاد غطفان في أعلاها، شمالي وادي الرمة». ولعل هذا استنتاج من النصوص المتقدمة، ولم أجد من يعرف عيرا (ص ١٦٠).

وأما شربب فلم أجد له ذكراً في هذا العصر، ولكن بقرب الطائف وادياً يقال له شَرِبٌ يصب سيلهُ إلى عُكَاظ، وفيه حدثت وقعة الفِجار العظمى وفي هذا اليوم قيَّدَ حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان أبناءُ أمية أنفسهَم كيلا يفروا، فَسُمُّوا العَنَابس، وحضر هذه الوقعةَ رسولُ الله ﷺ ولم يقاتل، قال ابن هَرْمَةَ :

عَهْدي بهم وسَرَابُ البيض منصدع عنهم وقد نزلوا ذا لُجَّةٍ صَخِبَا
مُشَمِّرا بارز السافَيْن مُنْكَفتَا كأنه خافَ من أعدائه طَلَبَا
وقد رَمَوْا بهضاب الحَزْنِ ذا يَسَرٍ وخَلَّفوا بعد من ايمانهم شَرَبَا

وثمة موضع آخر يقال له شِرْب بكسر الشين وسكون الراء وفيه يقول ابن مقبل :

قد فَرَّقَ الدَّهْرُ بينَ الحي بالظَّعَنِ وبين أثناء شِرْب يوم ذى يَقَن
تَفريق غير اجتماع ما مَشَى رجل كما تفرّق بين الشَّام واليَمَن

وشُرْبُبٌ الذي ذكره علقمة : هو ــ فيما ذكر ياقوت[1] ــ وادٍ في ديار بني سُلَيم، وفيه يقول أرطاة بن سُهَّية :

أجْلَيْتُ أهلَ البرك من أوْطانِهِم والخمس من شُعبىٰ وأهل الشَّربب

ولست أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الشربب، إلا أن يكون نائياً عنّا لم نحط به علماً.

★ ★ ★

٣ ــ وقال علقمة :

فَفَاءَتْ كما فَاءَتْ من الأُدْم مُغْزِلٌ بِبِيْشَةَ تَرْعىٰ في أَرَاكٍ وَحُلَّبِ

بيشة : يأتى الكلام عليها إن شاء الله في معلقة لبيد.

★ ★ ★

٤ ــ وقال علقمة :

كأنَّ بِحَاذَيْهَا إذا ما تَشَذَّرَتْ عَثَا كِيْلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

سميحة : تقدم عليها الكلام في قصيدة امرئ القيس[2].
انتهـت قصيدة علقمة بن عبدة الفحل.

١٩ ــ وقال امرؤ القيس في قصيدته التى مطلعها :

أرانـا مُوضِعِيـنَ لِأَمْـرٍ غيبٍ ونُسْحَـر بالطّعـام وبــالشّرابِ

إلى أن قال :

وقد طَوَّفْتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمـة بالإيـاب

(١) المعجم ٥ /٢٤٨.
(٢) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ١٨.

إلى أن قال :

أَبَعْدَ الْحَارِثِ الملكِ ابنِ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذي القِبَابِ
وَأَعْلَمُ أَنَّنى عَمَّا قَلِيلٍ سَأُنْشبُ في شَبَا ظُفْرٍ وَنَابِ
كَمَا لَاقَى أبِي حُجْرٌ وَجَدِّى وَلَا أَنْسَىٰ قَتِيلاً بِالْكُلَابِ

الكلاب

قد اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم في موضع وادي الكلاب، قال صاحب معجم البلدان[1] «قال أبو زياد : الكَلَابُ : واد يسلك بين ظهري ثهْلَان، وثَهْلَان : جبل في بلاد بنى نُمَير» أهـ. والمكان الذي يقارب اسمه هذا الاسم وادٍ يقال له اليوم «وادي الكلبة» وهو واقع بين ثهلان ومجيرة، ينصب سَيْلهُ في وادي الشعراء، وتحفه سيولها بجبل ثهلان من جهته الشرقية، ويتفرع سيله من حذُنَّة، وحذُنَّة : جبل أسود صغير رفيع يقع في جهة مطلع الشمس من بلد الشعراء على مسافة ساعة ونصف ساعة بالسير على الأقدام، ويليه هضباتٌ حمرٌ في جهته الشرقية يقال لها اليوم مجيرة، وحذنه يقال لها اليوم الحذني، وكلا الجبلين حذنة ومجيرة باقيان بهذا الاسم من العصر الجاهلى إلى يومنا هذا،

قال محرز بن المكعبر الضبي :

دَارتْ رَحَانا قليلاً ثُمَّ صبَّحَهم ضربٌ تَصَيَّحُ منه حلّةُ إلهَامِ
ظَلّت ضِبَاعُ مُجيْرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِمِ وألحموهُنَّ منهم أىَّ إلْحَامِ
حتّى حُذُنَّة لم تترك بها ضَبُعَاً إلا لها جَزَر من شلْوِ مِقْدَامِ

أما وادي الكُلَاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شئ غير هذا الاسم، وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التي وقعت بين العرب وكانت به، وأنهم إنما سموه بذلك لما لَقُوا فيه من التكالب والشر، والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك

---

(١) معجم البلدان ٧ /٢٦٩.

«وادي قحقح» ووادي قحقح باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم.

ومما يؤيد هذا أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القُرِيم فارس بكر بن وائل قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حشيش بن نمران، وقد قال الشاعر :

وَنَحْنُ تَرَكْنَا ابنَ القُرَيْمِ بِقُحْقُح صَرِيْعاً مكبًّا لليدينِ وَلِلْفَمِ

فإذا قَرَنت هذا البيت بما ذكروه في أخبارهم تبين لك أن وادى الكلاب الذي كانت الوقائع به هو وادى قحقح، وهذا الاسم باقٍ إلى يومنا هذا، وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر في وادى الكلاب إنما حقيقته أنه في وادى قحقح.

ويدل لذلك أيضاً أنهم قالوا : إنه يبعد عن طرف ثهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل، وأن سيل وادي الكلاب يصب في وادى السرة ثم يندفع إلى وادى الركى، ووادى قحقح هو الذي ينطبق عليه هذا التحديد، قال لبيد بن ربيعة:

لَاقَىْ الكلابَ البَدِى فَاعْتَلَجَا سَيْلُ أَتِّيْهُمَا لِمَنْ غَلَبَا
فَدَغْدَغَا سَّرة الرّكَاءِ كَمَا دَغْدَغَ ساقِي الأعاجِمِ الغَرَبَا

ووجه ثالث يؤيد ما ذهبنا إليه، وذلك أنهم ذكروا أن وادي الكلاب تقاتَلَ العرب فيه وهم يشربون ماء العوينِد، والعوينِد باقٍ إلى اليوم يهذا الاسم، وهو ماء كثير الجم يقع بين كثيبين، وأهل قُحْقُح اليوم قاطنون على ماء العوينِد وهم يرعون إبلهم في وادي قحقح.

هذا، وقد ذكر صاحب معجم البلدان العوينِد، وذكر العوينِد الذي بأرض اليمامة، وكلا الماءين لم تتغير أسماؤهما إلى يومنا هذا.

قلت، وقال عبد الله بن خميس في معجم اليمامة[١] :

العوينِد : بضم العين، وفتح الواو، وإسكان الياء، وكسر النون، فدال .. قرية بـ (اليمامة) لبني خديج أخوة بني منصر، قاله ياقوت عن الحفصي، وقال أبو زياد : من مياه بني نمير. وذكرها الهمداني، وأثبت أنها لبني خديج. قلت: ويسكنها الآن (آل ونيان)أسرة من (الكتمة) من بني علي من (حرب). وهي قرية صغيرة بها قليل من النخل والمزارع، وواديها ينحدر من (الصفراء) التي تلب بجبل (طويق) مما يلي (أم الرحال) (والثرماني) وما حولها.

وقيل أن (العوينِد) هو (البرة السفلى) إذ كانوا يقولون (البرة العليا) (والبرة السفلى)، ويقول يحيىٰ بن طالب :

خَليْلَيّ عُوْجَا باركَ الله فِيكُمَا على البرّةِ العُلْيَا صدورَ الرِّكَائِبِ
وَقُوْلَا إذَا مانّوه القَوْمُ بالقُرَىٰ ألَا في سَبِيْلِ الله يحيى بنُ طَالبِ

وقيل : إن المراد بـ (البّرة العليا) : (الثرماني)، وبـ (البرّة السفلى) : (البرّة) الموجودة الآن.

يوم الكلاب الأول

أما وادي الكُلاب فكانت به وقعتان في الجاهلية : الوقعة الأولى[٢] بين شرحبيل بن الحارث الكندي وأخيه سلمة بن الحارث الكندي، ومع شرحبيل من قبائل العرب : ضبة، والرباب كلها، وبنو يربوع، وبكر بن وائل، ومع سلمة من قبائل العرب : تغلب، والنمر، وبهراء، ومن تبعهم من بني مالك بن حَنْظلة، وعليهم سفيان بن مجاشع، وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير، وإنما كان افتراق القبيلتين بكر بن وائل وتغلب لعداوة قديمة كانت بينهم، فدارت معركة كبيرة بين الفريقين، وانتهت بقتل شرحبيل بن الحارث الكندى، وانهزم أصحابه، قتله عُصَيم بن النعمان بن

(١) ج ٢ / ١٩٣.

(٢) انظر في يوم الكلاب الأول تاريخ ابن الأثير ١ /٢٢٦ وما بعدها.

مالك الجشمى، وانتهى إلى عصيم أن سلمة بن الحارث يسأل عنه ليكافئه عن قتل أخيه شرحبيل، ففطن عصيم إلى أنه إنما يريد قتله، فهرب، وعصيم هذا يدعى أبا حنش، فلما بلغ سلمة أنه هرب قال :

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا حَنَشٍ رَسُوْلاً فَمَا لَكَ لا تَجيءُ إِلَىٰ الثَّوَابِ
لِتَعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرّاً قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الكُلَابِ
تَدَاعَتْ حَوْلَهُ جُشَمُ بنُ بَكْرٍ وَأَسْلَمَهُ جعَاسِيْسُ الرِّبَابِ

ويروى أن أبا حنش أجابه بقوله :

أُحَاذِرُ أَنْ أَجِيْئَكَ ثُمَّ تَحْبُو حَبَاءَ أَبِيْك يَوم صُنَيِّعَاتِ
وَكَانَتْ غَدْرَةٌ شَنْعَاءُ تَهْفُو تقلَّدَهَا أَبُوْكَ إِلَىٰ الْمَمَاتِ

وقال جابر بن حُنَى التغلبى والعرب تعيّر تغلب بالنصارى :

وَقَدْ زَعَمَتْ بَهْرَاءُ أَنَّ رِمَاحَنَا رِمَاحُ نَصَارَىٰ لا تَخُوضُ إِلَىٰ الدَّمِ
فيوم الكُلَابِ قَدْ أَزِالَت رِمَاحُنَا شَرْحَبِيْلَ إِذ آلى أَلِيَّةُ مُقْسِمِ
لينزعنّا أَرْمَاحَنَا فَأَزَالَهُ أبو حنشٍ عن ظَهْر شَقَاء صَلْدَمِ

وفي قتل عصيم بن النعمان لشرحبيل يقول الأخطل وهو يخاطب جريرا:

أَبنِي كُلَيْبٍ أَنّ عَمّيَ اللّذا قَتَلا الملوكَ وَفَكَّكا الْأَغْلَالَا[1]

وذكر هذه الوقعة طويل في أخبار المؤرخين.

أما الحارث بن عمرو أبو شرحبيل فانه مات ببطن عاقل ودفن هناك،

(١) اللذا: أراد اللذان، فحذف النون استخفافاً لطول الموصول بالصلة، ونظيره كثير في شعر العرب، ومنه قول الأشهب بن رميلة وقد حذف نون «الذين» :

وان الذي حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا أم خالد

وعاقل واد قريب من الرس ولا يزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا، غير أنه يقال له العاقلى، وفيه يقول زهير :

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْيِ عافٍ مَنَازِلُهْ عَفَا الرَّسُ منه فالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُه

يوم الكلاب الثاني

وأما يوم الكلاب الثاني[1] فكان بين سعد والرباب، ورئاسة بني سعد لمقاعس، ورآسة الرباب لتيم، فرأس الناس في آخر ذلك اليوم قيس بن عاصم المنقرى، وهو اليوم الذي قتل فيه عبد يغوث بن وقاص الحارثي بعد أن أسر، فقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى منها :

أيَا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبلِّغنْ نَدامَاىَ مِنْ نَجْرَانَ ألَّا تَلاقِيَا
أبا كَرْبٍ وَالْأيْهَمَيْن كِلاهُمَا وَقَيساً بَأعْلىٰ حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأن لم تَرَىٰ قَبْلى أسيْرَاً يَمَانِيَا
أقَوْلُ وَقَد شدُّوا لِسَانِي بنَسْعَةٍ: أمَعْشَر تيمْ أطَلقُوا لِي لِسَانِيَا

وماء العويند وما يليه من وادي الكُلَاب نعده خَبْرَاء[2] من الدم؛ لما جرى فيه من الوقائع العظام، وقدمنا ذكر وقعتين على الاختصار وقد حدث عنده من الوقائع الحديثة ثلاث وقائع عظام : أما الأولى : فهي بين هادي ابن قرملة رئيس قحطان في زمنه، وقحطان جُنْدُه، وبين الحميدى الدويش رئيس مطير، فكانت معركة عظيمة انهزمت فيها مطير، أما الوقعة الثانية فكانت بين محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان وبين تركي بن حميد ومعه رؤساء من عتيبة، وكانت الهزيمة في ذلك اليوم على قحطان، وقد دامت المعارك دائرة بينهم خمسة أيام، وأما الوقعة الثالثة فكانت بين تركي ابن حميد ومعه من رؤساء عتيبة الهيظل وابن جامع وجندهم عتيبة، وبين الدويش رئيس مطير، وانتهت المعركة بهزيمة مطير بعد قتال عظيم، وهناك

---

(١) انظر خبر يوم الكلاب الثاني في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٦٠.
(٢) الخبراء في الأصل : الارض التي تمسك الماء، والكلام هنا على الاستعارة.

شجرة أعرفها بينها وبين ماء العويند كثيب الماء الذي يحيط بماء العويند، ويقال لها شجرة أبي صفرة، أضيفت إلى أبي صفرة لأنه قتل عندها، وهو من رؤساء مطير.

وقد أشار ابنُ بشر مؤرخ نجد في تاريخه إلى هذه الوقائع الأخيرة الواقعة قرب العويند(١).

---

(١) قال لي بعض أصحابنا ــ حين ذكرنا وادى الكلاب، ووادي قحقح، وذكرنا أنه هو وادي البدي، وذكرنا وادي الجلة، وذكرنا العويند ــ قال: إن ابن بشر ذكر العويند في تاريخه ونحن أشرنا إلى ماذكره ابن بشر، ولكن صاحبنا لم يتثبت، فتتبعت تاريخ ابن بشر، فلم أجد للعويند ذكرا، ولكني ذكرت في كتابي هذا أن قليلا من المواضع الذي حدث فيه يوم من أيام العرب الأقدمين أو المتأخرين ثم لم يحدث فيه يوم آخر، وقد أشرنا إلى مواضع في كتابنا هذا تكررت الأيام فيها، وهذه عبارة من عبارات ابن بشر في تاريخه، قال في سنة ١١٦٦هـ، وذكر بعض الحوادث، ثم قال: وفيها وقعة «السبلة» وهو موضع معروف بين بلد الزلفى وبين الدهنا، وهذه الواقعة بين الظفير وبين بنى خالد، وذلك أن بنى خالد ساروا إليهم وقائدهم: عبد الله بن تركى بن محمد بن حسين آل حميد، فواقعوهم، وصارت على الظفير هزيمة، وأخذوا عليهم نعماً كثيرة، وقيل: إنها بعد دخول السابعة بعد الستين، وكان في السنة السابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف وقعة «السبلة» أيضاً وهي مشهورة بين جلالة الملك وبين قوم من عتيبة وغيرهم: خرجوا عن الطاعة، وخالفوا الجماعة، واستباحوا الدماء والأموال، فشمر جلالة الملك لمناجزتهم، والتقوا في السبلة الموضع الذي التقى فيه بنو خالد والظفير، وهي بين الزلفى وبلد الأرطاوية، فانهزم البغاة، وقتلوا قتلا ذريعاً في المعركة، ولكن جلالة الملك ــ حفظه الله! ــ أمر ألا يتبع المدبر؛ وكف الفرسان عن أثرهم. وانظر عجيبة أخرى من عجائب التاريخ، الفئة التي قاتلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه في جهة النهـروان كان قتاله إياهم في اليوم التاسع عشر من شوال سنة ٣٧ من الهجرة، واليوم الذي ناجز فيه جلالة الملك هؤلاء هو التاسع عشر من شوال سنة ١٣٤٧هـ، فهذا تصادف عجيب : تاسع عشر شوال، وسنة سبع وكذا من الهجرة، كلتا الوقعتين اجتمعت في هذا اليوم، واليوم الذي بين بنى خالد وبين الظفير في هذا الموضع صادف السنة السابعة أيضاً.

التصادف الثاني : قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت السنة ١١٨٧هـ، وفيها كانت الوقعة المشهورة على حماد المديهيم ومن معه من السعيد والظفير، سار إليهم
=

أما وادي الكُلاب فقد بينا أنه هو الوادى الذي يقال له اليوم قُحقُح ــ بضم القافين واسمه جاهلى، وبينا أنه أضيف إلى الكُلاب في فترة من الزمن لكثرة القتال والتكالب فيه بين العرب، ثم زال عنه هذا الاسم، ورجع إليه اسمه الأول القديم ومازال ماء العوينة باقياً اسمه إلى اليوم.

★ ★ ★

٢٠ ــ وقال امرؤ القيس :

سَقَى وَارِدَاتٍ والْقَلِيْبَ ولَعْلَعاً — فلتّ سِماكِيّ فَهَضْبَةَ أَيْهَبَا
فَمَرَّ علىٰ الخَبْتَيْنِ خَبْتَىْ عُنَيْزَةٍ — فَذَاتِ النِّقَاعِ فَانْتَحَىٰ وَتَصَوَّبَا
فَلَمَّا تَوَلَّىٰ مِنْ أَعَالِى طَمِيةٍ — أَبَسَّتْ بِهِ رِيْحُ الصَّبَا فَتَحَلَّبَا

واردات : تقع بهذا الاسم في ثلاثة مواضع : الأول : قريب نفي في واردات

= عبدالعزيز رحمه الله تعالى، ومعه غزو أهل الرياض مع دواس بن دهام، فأغار عليهم وهم على جراب ماء معروف بين سدير والدهنا، فأستاصل جميع أموالهم، وقتل منهم نحو الثلاثين رجلاً، وفي سنة ١٣٣٢هـ الوقعة المشهورة على جراب الماء الذي كانت الوقعة عليه بين عرب نجد، ودارت فيه معارك عظيمة بين الفئتين، وتكرار الوقائع في البقاع في نجد لا يحصى.

قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت سنة ١٢٤٧هـ وفي صفر منها سار فيصل بن تركي بشوكة المسلمين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول والعجمان وبنى حسين فقصدوا عالية نجد، فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف في عالية نجد من عتيبة وغيرهم ورئيسهم سلطان بن ربيعان، فانهزم الأعراب، فسار المسلمون في ساقتهم يقتلون ويغنمون، إلى آخر عبارة ابن بشر، وبعد مضي سنين تقرب من ثلاثين سنة، وقد مات الامام رحمه الله؛ اجتمعت الأعراب على هذا الماء المعروف الذي مر ذكره طلال والأعراب القاطنون عليه يرأسهم أخو الرئيس الأول مصلط بن ربيعان وجاءهم ابن الرئيس الأول سعود بن فيصل، فشن الغارة عليهم كما شنها عليهم والده، فكانت معركة عظيمة بين الفريقين، انظر تكرار المعارك في هذه البقاع، بل نحن نقول : إن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لاتكون فيها معارك أخرى في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث.

جهته الشمالية الشرقية وهي هضاب سود تبعد عن نفى مسافة نصف يوم، وهي التي كان بها اليوم المعروف بين بكر وتغلب قُتل فيه بُجَير بن الحارث بن عُبَاد بن مرة، فقال مهلهل :

فَإنْ يَكُ بالذَّنائبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أبْكِي من اللَّيْل القَصِيْرِ
فَإنّـــى قَدْ تَرَكْتُ بِواردات بُجَيْراً في دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيْـرِ

قلت : وفي واردات، قال الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي شمال المملكة[1] : واردات : جاء في «معجم البلدان» : ـــ جمع واردة ـــ موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها. قال أبو عبيدة السكوني : الربائع عن يسار سميراء، وواردات عن يمينها، سمر كلها، وبذلك سميت سميراء.

وأقول : يطلق اسم واردات على مواضع منها هذا الذي ذكر ياقوت وقد أضافه الطرماح إلى الأريمين ... وورد في تاريخ الطبري : أن طليحة وأنصاره من بني أسد، وغيرهم من المرتدين استقروا في واردات. ويحدد موزل واردات بأنها إلى الشمال الشرقي من سميراء على بعد خمسة وعشرين كيلاً.

وأضيف : يطلق اسم واردات على جبل يقع شمال بلدة سميراء بميل نحو الغرب ـــ لا الشرق ـــ وهو يطل عليها يرى رأى العين، ويناوحه من جهة الجنوب جبل غسل ـــ غير غسل الذي في غرب شمال أجا ـــ ويمر وادي توز (التوزي) في شرقي واردات، وسيل الجهة الشرقية من واردات يدك فيه.

ويلاحظ أن الاسم قد يشمل ما يقرب من الموضع من أرض (جبل

(١) : القسم الثالث/١٣٤١.

واردات) يقع بقرب خط الطول ٢ ـــ ٤٢ وخط العرض ٣١ ـــ ٢٦). ويبعد جبل واردات عن مدينة حايل بنحو ١٦٠ كيلا في الجنوب الشرقي.

وهناك واردات موضع آخر ورد في خبر حرب البسوس وهذا في عالية نجد.

وقال ابن مقبل:

وَنحْــــنُ القَائِــــدُوْنَ بِوَارِدَاتِ   ضبابَ المَوْت حَتَّى يَنْجَلِيْنَا

وواردات الثانية : جبال سمر قريب سميراء معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

وواردات الثالثة : هضبات تقع عن وادى رنية شمالاً، مسافة نصف يوم. وكلها معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، فواردات الأولى : في بلاد غنى بن أعصر، وواردات الثانية : في بلاد بنى أسد، وواردات الثالثة في بلاد عقيل ابن عامر.

وأما القليب فمعروفة عند العرب، وقد يضاف إليها فيقال «هضب القليب[١]» وهي تقع عن جبل كشب في جهته الشمالية الشرقية في أعلى الشربّة والقليب هذه هي التي أجْرِيَتْ فيها داحس والغبراء، وكانت الحرب بين بنى فزارة وبني عبس بعد ذلك، قال الأعشى : القليب

مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ اِلقُلَيْبِ   فاضَ ماءُ السّرُوْر فَيْضَ الغُرُوْبِ[٢]

وقال مطير بن الأشيم الأسدى:

أبالصُّمِّ من هَضْبِ الْقَلِيْبِ أمَرْتِنِى   هُنَيْدَةُ ؟ لا يرضى بذاك المخيَّبُ

---

(١) وربما سموا القليب «ذات الاصاد».

(٢) الغروب : جمع غرب، وهو الدلو.

وهضب القليب بهذا الاسم قد درس، والباقي من اسمه يقال له «هضب الشرار» وليس للقليب فيه ذكر.

لعلع ولعلع : واد فيه مزارع ومياه في عرض ابنى شمام، باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وفيه قصور ومزارع. قال المسيب بن عَلَس الضُّبَعى :

بَانَ الخَلِيْطُ ورُفّعَ الخُرُقُ وفؤاده في الحي مُعْتَلِقُ
منعوا كلاَمَهُمُ ونَائِلَهُمْ يَوْمَ الفِرَاقِ، ورَهْنَهُم غَلِقُ
قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ واستتبَّ بِهِم يَوْمَ الرَّحِيْلِ لِلَعْلَع طُرُقُ

هضبة أيهب هضبة أيهب : مضافة إلى أيهب، ذكره الشعراء في بلاد بني أسد ويقرن في الأشعار والأخبار بِشَرْج، وَشَرْج : معروف إلى اليوم بهذا الاسم وهو قريب جبل رمان، قال النابغة[1] :

كأنَّ قُتُودَى والنُّسُوعَ جَرَىٰ بهاَ
مصكٌّ يبارى الْجَوْنَ جَأْبٌ مُعَقْرَبُ

رَعَى الرَّوْضَ حتّى نشت الغُدْرُ وَالْتَوَتْ
بِدِجِلاَتِهَا قِيْعَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ

الخبت أما الخَبْتُ : فهو المستوى من الأرض المنخفضة، وعنيزة : هي عنيزة الموجودة اليوم الواقعة في شرقي القصيم الجنوبي، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

تَراءَتْ لَنَا يَوْماً بِسَفْحِ عُنَيْزَةَ وَقَدْ حانَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ

قال أبو عبيدة[2] السكوني : استخرج عنيزةَ محمد بن سليمان بن

(١) المعجم ١ /٣٩٧ والديوان ٢٠.
(٢) معجم البلدان ٦ /٢٣٤.

علي بن عبد الله بن عباس وهو أمير على البصرة. وقيل : بل بعث الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة. فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل، يعني امرؤ القيس، حين قال : عنيزة

تَرَاءَتْ لنا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةَ وَبَيْنَ الشَّجَا ممَّا أحَالَ عَلَىٰ الْوَادِي

وقال جرير :

أمْسَىٰ خَلِيْطُكَ قَد أجَدَّ فِرَاقَاً هاج الحزِيْنَ وَهَيَّجَ الْأشْوَاقَا

إلى أن قال :

أنَّ الْفُؤَادَ مَع الّذيْنَ تَحمّلوُا لَمَ يَنْظُروا بِعُنَيْزَةَ الإشْرَاقَا[1]

وقال كليب أخو مهلهل :

غَدَاةَ كَأنَّنَا وَبَنى أبِيْنَا بِجَنْبِ عُنَيْزَة رَحيَاَ مُدِيْرِ

وقال رجل من الأعَرابَ وأدخل عليها الألف واللام :

لَعَمْرى لَضَبٌّ بالْعُنَيْزَة صَائِفٌ تَضَحّى عَرَاداً فهو يَنْفُخُ كاَلْقَرمِ

أحَبُّ إلَيْنَا أنْ يُجَاوِرَ أهَلُهَا
من السّمكِ اْلجرِّيْثِ وَالسَّلْجَمِ الْوَخْمِ[2]

والصحيح : أن الذي اكتشفها هو عبد الله بن عامر بن كريز الذي اكتشف النباج المسماةُ اليوم الأسياح.

(١) لم ينظروا : معناه هنا لم ينتظروا.

(٢) في معجم البلدان «من السمك الخريت والسلجم الوخم» وهو تحريف ماأثبتناه، والجريث: نوع من السمك.

النقاع النقاع : قال في معجم البلدان[1] النقايع : جمع نقيعة، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الماء، وهي خبارى في بلاد بني تميم. والباقي بهذا الاسم إلى اليوم «النقيعة» وهي : روضة تمسك الماء، وفيها قصر ومزارع، وهي واقعة بين ضَرَمىٰ[2] وبين طريف الحبل، وقد كان لها هذا الاسم قديماً، قال جرير:

خَلِيْلَيّ هِيجَا عَبْرَةً وَقِفَا بِنَا عَلَى مَنْزِلٍ بَيْنَ النَّقِيْعَةِ فَالْحَبْلِ

والنقيع : هو النقيع المجاور للمدينة، قال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :

أرقت لِبَـرْقٍ مُستَطِيْـرٍ كَأَنَّـهُ مصابيحُ تَخْبُو ساعةً ثم تَلْمَحُ
يُضيءُ سناه لي شَرَوْرَىٰ، وَدُوْنَه بقاعُ النَّقِيْعِ أَوْ سَنَاَ الْبَرقِ أَنْزَحُ

وقال ابو صخر الهذلى :

قُضَاعِيـةٌ أَدْنَىٰ ديـار تَحَلّهَـا قناةٌ، وأَنَّى من قناة المحصَّبُ؟
ومن دُوْنِهَا قاعُ النَّقِيْعِ فأسقف فبطنُ الْعَقِيْق فَالخبِيْتُ فَعَنْبَبُ

ونقيع المدينة، ونقيعة اليمامة : كلها باقية بهذه الأسماء لم تتغير إلى يومنا هذا.

قلت، في معجم اليمامة[3] : «النقيعة : بضم النون المشددة، وفتح القاف، وإسكان الياء، وفتح العين، فهاء .. روضة كبيرة من رياض (قرقرى)، تقع خلف سلسلة جبل (قرادان) من الغرب، بينها وبين رمل (الغزيز) ــ (الوركة) سابقاً وهي تزرع سقياً وَبَعْلاً ويعضد عشبها، ويصب فيها من الأودية : وادي (الأحور)، و(غدير الحصان)، وما حولها من

---

(١) المعجم ٨ /٣٠٦.
(٢) ضرمى يقال لها في العهد الجاهلي قرما انظر المعجم (ص ٦١ ج ٧).
(٣) : ج ٢ /٤٢٢.

الشعاب التي تقع عنها شمالاً وشمال غرب» .

طمية

وأما طمية فهضبة رفيعة في بلاد بني أسد، باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ويليها جبل يقال له «عكاش» وفي أخبار الأقدمين ــ إذا تزوج الرجل أمرأة، ودامت عشرتهما ــ قالوا : تزوج عكاش طمية، وعكاش وطمية : باقيان بهذا الاسم قريب الحاجر والنقرة، قال الشاعر :

تزوَّجَ عكاشٌ طِمْيَةَ بَعْدَمَا تأيَّم عكاشٌ وَكَادَ يَشِيْبُ

وقال السمهريُّ اللص :

أعنّى عَلَىٰ بَرْق أرِيْك وَمَيْضَهُ يشوقُ إذا استَوْضَحْتَ برقاً عَنَانِيَا
أرِقْتُ لَهُ، وَالْبَرْقُ دُوْنَ طِمِيَّةٍ وَذَى نجْبٍ، مَا بَعْدَهُ من مَكَانِيَا

وقال الشاعر :

أتَيْنَ عَلى طَمْيَةَ، وَالْمَطَايَا إذا اسْتُحْثِثْنَ أتْعَبْنَ الجُرُوْرَا

وقال عمرو بن لَجَأ :

تأوبنِي ذِكْرٌ لَزْولَةَ كالْخَبْلِ وما حيث يلقى بالكثيب ولا السَّهْلِ
تَحُلُّ وركْنٌ من طَمْيَةَ حَزْنُهَا وجرفاءُ مِمَّا قَدْ يَحُلُّ به أهْلى
تريدين أن أرْضَى وأنتِ بَخِيْلَةٌ وَمَن ذا الذي يُرْضِي الأخلّاءَ بالبُخْلِ

وطمية وعكاش : واقعان في ربوة مرتفعة شمالي وادي الرمة.

قال مصنف هذا الكتاب : اني قد مررت بهما كثيراً في أسفاري وتجولاتي في نجد.

* * *

٢١ ــ وقال امرؤ القيس :

وهي من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذي نحن فيه :

قَدْ أشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْواءَ تَحْمِلُنى جَرْدَاءُ مَعْرُوْقَةُ اللَّحْيَيْنَ سرُحْوُبُ
كأنَّ صاحِبَهَا إذْ قامَ يُلْجِمُهَا مَعْدٌ على بَكْرَةٍ زوراءَ منصوبُ(١)

(١) المغد ــ بالفتح ــ الدلو العظيمة.

إذا تَبَصَّرَهَا الرَّاؤُونَ مُقْبِلَةً لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وَتَجْبِيبُ[1]

إلى أن قال :

كَأَنَّهَا حِينَ فاضَ الماءُ وَاحْتَفَلَتْ
صَقْعَاءُ لَاحَ لها في المَرْقَبِ الذِّيبُ[2]

صُبَّتْ عليه وَمَا تَنْصَبُّ من أَمَمٍ
إنَّ البلاءَ على الأَشْقَيْنَ مَصْبُوبُ

كالدلو ثَبْتٌ عُرَاها وَهْيَ مُثْقَلَةٌ
إذْ خانَهَا وَذَمٌ مِنْهَا وَتَكْرِيبُ[3]

والذي دعانا إلى إيراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ووذمها والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا، والوذم : حبيلات تشد بها عراقى الدلو، والكرب : حبل في العراقي يجعل فيه الرشاء.

★ ★ ★

٢٢ ــ قال امرؤ القيس :

غَشِيْتُ دِيَارَ الحيِّ بالْبَكِرَاتِ فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةِ الْعِيَرَاتِ
فنفى فَحِلِّيتٍ فَأَكْنَافِ مَنْعِجٍ إلى عَاقِلٍ فَالْجُبِّ ذي الْأَمَرَاتِ[4]

أما البَكَرات وعَارِمة والعيراتَ، فكلها متقاربة، وهي باقية على أسمائها إلى يومنا هذا في جهة الوشم.

والبَكَرَات : بين القصب وثادق من بلدان الوشم وهي هَضَبات سود. البكرات

(١) التجبيب : ارتفاع البياض حتى يصل إلى جنب الفرس.
(٢) الصقعاء : العقاب.
(٣) الوذم ــ بالتحريك ــ السيور تكون بين آذان الدلو.
(٤) رواية الديوان «فغول فحليت فأكناف منعج» وفي معجم ياقوت «فغول فحليت فنفى فمنعج».

قال جرير :

هَلْ رَامَ جَوّ سُوَيْقَتَيْنِ مكانهُ أو أَبْكرُ الْبَكَرَاتِ أَوْ تِعْشَارُ[1]

وأعظم البكرات : هضبة يقال لها : الغرابة، وهي سوداء.

قلت : وعلّق ابن خميس على قول ابن بليهد، فقال[2] : قد جعل ابن بليهد رحمه الله ثادقا من بلدان الوشم، وجعل (الغرابة) من البكرات .. والأمر ليس كذلك، فثادق قاعدة (المحمل)، (والغرابة) منفصلة عن البكرات وليست منهن .. وهي واقعة بين (ثادق) و(رغبة).....

وتابع يتحدث عن (البكرات)، فقال : أما البكري، فقال على قول امرئ القيس المتقدم : قال الأصمعى : بين عاقل وبين هذه المواضع المذكورة مسيرة أيام .. قال : وقد أرانى أعرابى هذه المواضع، فإذا هى قارات رؤوسها شاخصة ... (وقال البكري أيضاً) البكرات قارات سود برحرحان .ا. هـ.

وذكرهن الهمداني، فقال ... ثم تنزل من نقيل طحبل إلى بطن العتك، وإلى البكرات (وقال أيضاً) : .. ثم من ضرية إلى مطلع الشمس فكبشان هضب، والبكرات هضبات فيهن بئر تسمى البكرة .. أ.هـ.

وعلى ما ذكره الهمداني أخيراً يكون المراد بقول امرئ القيس بكرات تلك الناحية من (ضرية) لا هذه ... لا سيما وقد أورد البكرى رواية البيت (فعاذمة) لا (عارمة) فيكون كل ما أراده هنالك، والله أعلم.

أما ياقوت، فقال : قال ابن أبي حفصة : البكرات : ماء لضبة بأرض اليمامة، وهي قارات بأسفل الوشم ... أ هـ.

---

(١) رام مكانه : تحول عنه.

(٢) : معجم اليمامة ج ١ /١٧٢ ـــ ١٧٣.

وما قاله ياقوت، هو عين الصواب بالنسبة لبكرات اليمامة». والله أعلم.

عارمة

وأما عارمة : فهى طرف العرمة الواقع على طرف العلك مما يلي البَكَرات، وقد أكثر الشعراء من ذكرها في الأشعار، قال الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيْرى:

أَقُولُ لِعَيَّاشٍ إذ صحبنا وجابرٍ وَقَدْ حالَ دُونى هَضْبُ عارمةَ الِفَرْدُ
قِفَا فَانظُرا نحوَ الحِمَىٰ اليومَ نَظْرَةً فإنَّ غداةَ اليوم من عُهْدَةِ الْعَهْدِ
فلمّا رَأَيْنا قُلَّةَ البشْرِ أعْرَضتَ لَنَا وجبالَ الحَزْن غَيَّبها البُعْدُ
أصابَ جهولَ القَوْمِ تَتَيُّمُ ما به فَحَنَّ ولم يملكْهُ ذو القوةِ الجَلْدُ

قلت : وذكرها ابن خميس، فقال[1]: .. جبل في (نجد) لبني عامر، عن ياقوت. وماء لبني تميم في الرمل، عن أبي زياد : ومنزل من منازل بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، عن ابن المعلى الأزدي، وفيها يقول الصمة بن عبد الله القشيرى، ثم ذكر الأبيات السابقة، وقال : ويقول أيضاً عامر بن الطفيل :

عرفت بجوّ عارمة المَقَامَا لِسَلْمَى أَو عَرَفْت لها عَلاَمَا

وقال ابن مقبل :

ألا ليت أنّا لم نَزَل مِثْل عَهْدِنَاَ بعارمةَ الْخَرْجَاء وَالْعَهْدُ يَنْزَحُ

وقال الرَّاعي :

أَلَمْ تَسْأَل بعارمةَ الدِّيــارَا عَن الْحَيّ المفارِق أيْنَ سَارَا
بِجَانِب رامةٍ، فَوَقَفْتُ فِيْهَا أُسَائِل رَبْعَهُنَّ فَمَاَ أحَارَا؟

وقال عبد الله بن الحمير أخو توبة :

تأوّبنــي بِعَارِمـةَ الهمـــوم كَمَا يَعْتَادُ ذا الدَّيْنِ الْغَرِيْمُ

---

(١) معجم اليمامة ج ٢ /١٣٠.

قلت : وعلى الرغم من أن (عارمة) هذه في (اليمامة) وفي ديار بني عامر بالذات، وأن هذه علم بارز تغنى به الشعراء وتناقل اسمه الرواة، فإنه لا يوجد الآن علم يحمل هذا الاسم حسبما وصل إليه علمي .. إلا أن تكون (العرمة) تحمل هذا الاسم أيضا، رغم أن ياقوتا رسم لـ (عارمة) و(العرمة) .. وأن الصفات التي وصفت بها (عارمة) لا تنطبق في أكثرها على صفات (العرمة).

ولكن (الهجري) قال : ان (عارمة) ردهة في وسط الحمى في حق بني جعفر ابن كلاب بين هضبات .. قال هذا على قول امريء القيس (ثم ذكر بيتيه السابقين)، أما ابن بليهد فتارة قال : أنها (طرف العرمة) مما يلي (العك)، وتارة قال أنها في بلاد (قشير) جنوب (العارض) ثم قال : أنه لا يعرفها، ولا يوجد في هذا العهد من يعرفها.

برقة العيرات

وأما بُرْقَةَ العِيرَات : فهي واقعة في الكثيب الواقع بين بلدان الوشم، ويقال له اليوم «أبرق العيرة» وهذه المواقع التي سبق ذكرها باقية على أسمائها إلى يومنا هذا، فإذا قلنا : إن الشاعر لم يقصدها بقوله؛ لأنه عطف على البكرات وعارمة وبرقة العيرات نَفْيا وحِلَّيتا وأكناف مَنْعِج ثم قال «إلى عاقل فالجب ذي الأمرات» قلنا: لا، بل ذلك مما يؤيد أنه أرادها، وهذا الذي ذكره امرؤ القيس في أبياته المذكورة تحديد متقارب جميل، أما البَكَرَات، فهي البكرات المشهورة في حدود الحمى في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تقع من ضرِيَّة على مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس، وهي هضبات حُمْر فيها بياض، ويقال لها اليوم «البكرى» ــ يعرفها بهذا الاسم اليوم جميع أهل نجد.

قلت : وقال ابن خميس[1] : أما برقة العيرات هذه، فلا يعلم أين هي

---

(١) معجم اليمامة ج ١ / ١٤٧.

الآن أو يجوز أنها تحمل اسماً غير اسمها .. ثم يأتي بقول ابن بليهد.

نفى وأما نفى فهو واد مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمه في الجاهلية، وهو واقع بين جبلة وواردات، وفيه يقول خالد بن سعيد :

كأنّي بَالْأَحِزَّةِ بيْـنَ نفْـى وَبَيْنَ مِنًى على كَتْفَيْ عُقَابِ

وأما منًى : فهي هضبة حَمْراء طويلة تقع من نفى على مسافة يوم من الجهة الغربية، وبها بئر عذبة يأتي الكلام عليها في معلقة لبيد، ونَفْى امتد إليه الحِمىٰ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان به عين عظيمة في ذلك الزمن فدفنتها غنى بن أعصر في زمن ابن الزبير أيام الاختلاف وهي على دَفْنها إلى يومنا هذا.

حليت وأما حلِّيت : فهو جبال سود تقع من نَفىْ على مسافة يوم في جهته الغربية الجنوبية، وبه معدن في جبل أسود يقال له «الغرابي» قال الراعي :

* **بِحلِّيْت أقْوَتْ منهُم وَتَبَدَّلَتْ** *

وحّليتُ باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ومن مياهه الأرطاوي يقع في شرقيه.

منعج وأما مَنْعِج، فهى جبال «دخنة» البلد المشهورة اليوم بأيدي حَرْب، ولكن هذا الاسم قد تغير اليوم، ويوم منعج[١] : من أيام العرب لبنى يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم على بني كلاب وفي منعج يقول جرير وقد ضم إليه عاقلا :

لَعَمْرُكَ لَا أَنْسَى لَيَالِيَ مَنْعِجٍ وَلَا عَاقِلًا إذ مَنْزِلُ الحى عَاقِلُ

عاقل وأما عاقل : فهو واد يصب في وادى الرمة يُنَاوح « دخنة» التي ذكرنا

(١) انظر أخبار يوم منعج في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٣٠ وفي مجمع الأمثال ٢ /٢٦٨ وفي الأغاني ١٠ /٩ ومابعدها.

أنها منعج، وعاقل باق على اسمه إلى اليوم، لكنه يقال له «العاقلي» وقالت حُمْلُ لما ذهبت الفزر بإبلها تشجع قومها[1] :

بَنِي الْفَزْر ماذَا تَأْمُرونَ بِهَجْمَةَ   تلائد لم تُخْلَطْ بِحَيْثُ نصابُهَا
تَظَلُّ لأبناءِ السَّبِيلِ مُناخةً   عَلَىٰ الماءِ يعطى درُّها وَرِقَابُهَا
أَقُوْلُ وَقَد وَلَوْا بنَهْب كَأَنَّهُ   قَداميسُ حَوْضَىٰ رَمْلُهَا وَهِضَابُهَا
أَلَهْفَىٰ عَلَى يَوْمٍ كَيَوْم سُوَيْقَةٍ   شَفَى غُلَّ أَكْبادٍ فَسَاغَ شَرَابُهَا
فإنَّ لها باللَّيث حَوْلَ ضَرِيَّةٍ   كَتَائِبَ لا يَخْفَى عَلَيْه مُصَابُهَا
إذا سَمِعُوا بالْفَزْر قَالُوا غَنِيمَةُ   وعوذَةُ ذُلٍّ لا يُخافُ انْتصَابُهَا
بَنِي عامر، لا سَلْمَ لِلْفَزْرِ بَعْدَهَا   وَلَا أَمْنَ ما حَنَّتْ لِسَفْرٍ رِكَابُهَا
فَكَيْفَ احْتِلَابُ الْفَزْرِ شَوْلِي وَصِبْيَتِي   أراملُ هَزْلَىٰ؟ لَا يَحِلُّ احْتِلَابُهَا
وَارْبَابُها بَيْنَ الوَحِيد وَمَنْعِجٍ   عُكُوفاً تراءى سَرْبُهَا وَقِبَابُهَا
أَلَمْ تَعْلَمِى يا فَزْرُ كَمْ من مُصَابَةٍ   أَهِيْنَ بها الأَعْدَاءُ نَابَ مَنَابُهَا
وَكُلّ دِلَاصٍ ذَاتِ نِيرَيْنِ أحكمت   على مرّة الْعَافِيْنَ يَجْرِى حِبَابُهَا
وَأَنْ رُبَّ جارٍ قَدْ حَمَيْنَا وراءه   بِأَسْيَافِنَا وَالْحَرْبُ يَشْرَىٰ ذُبَابُهَا

وقال النابغة :

كَأَنِّى شَدَدْتُ الكُوْر حِيْنَ شَدَدْتُهُ   عَلَى قَارِحٍ مما تَضَمَّنَ عَاقِلُ

وقال مالك بن حطان السليطى :

وَلَيْتَهِمُ لم يَرْكَبُوا في رُكُوْبِنَا   وليت سليطاً دُوْنَهَا كانَ عَاقِلُ

وقال جرير :

لِمَن الدِّيَارُ بِعَاقِلٍ فَالْأَنْعُمِ   كَالْوَحْيِ في وَرَقِ الزَّبُورِ الأَعْجَمِ

---

(١) ذكر هذه الأبيات ياقوت في معجم البلدان ٨ /١٨٠.

وقال رجل من المعمرين :

وَأعْقُل حُجْراً ذا أُوَارِ بِعَاقِلٍ وأيَّامِ بَكْرٍ إذْ تَعَادَتْ وَتَغْلِبِ

وقال زهير :

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْيِ عافٍ مَنَازِلُهْ عَفَا الرَّسُ منه فالرّسَيْسُ فَعَاقِلُهْ

وقال عميرة بن طارق اليربوعى :

وَإِنِّي أحبّ الرِّمثَ من أرض عَاقِلٍ
وصوتَ القَطَا في الطَّلِّ والمطر الضَّرْبِ

وَإِن أكُ في نَجْدٍ — سقى الله أهَلَهُ
بِمَنَّانَة منه ! — فَقَلْبِي عَلَى قُرْبِ

وقال لبيد بن ربيعة :

تَمَنَّىٰ ابْنَتَايَ أنْ يَعِيْشَ أبُوْهُمَا وَهَلْ أنَا إلا من ربيعةَ أوَ مُضَرْ
وَنائِحَتَانِ تَنْدُبَانِ بِعَاقِلٍ أخَا ثِقَةٍ لا عَيْنٌ مَنْهُ ولَا أثَرْ

وهذه أشعار متقدمة في ذكر عاقل الذي يسمى اليوم «العاقلى» .

الجب ذو الأمرات

وأما الجبُّ ذو الأَمَرَات فهو بئر يقع في طرف «إمرة» لأن الجب يطلق على البئر، وإمرة هي التي ذكرها امرؤ القيس باسم ذي الأمرات يقال لها (امرة) بهذا الاسم إلى يومنا هذا. قال في معجم البلدان(١) : «وامرة : منزل من منازل الحاج في طريق مكة المكرمة من البصرة، وهي بعد رامة» وهذا صحيح أنها بعد رامة لقاصد مكة، قال الشاعر :

ألَا هَلْ إلىٰ عَيْش بِإمَرَّة الْحِمَىٰ وتكليم لَيْلَى ما حييتُ سَبِيْلُ

---

(١) المعجم ١ /٣٣٥ وضبط إمرة هذه بكسر الهمزة وفتح الميم مشدودة بعدها راء مهملة.

وقال الراعى[1] وقد خَفَّف الميم لضرورة الشعر :

قُبٌّ سماويَّةٌ ظَلَّتْ مُحَلَّأة بِرِجْلَةِ الدّار فِالرَّوْحَاءُ فَالْأَمَرِ
كانت مَذَانِبُها خُضْراً فقد يَبِسَتْ وأخلفَتْهَا رِيَاضُ الصَّيْف بالغُدُر

وإمَّرة : هضبة يكنفها أبارِقُ بالقرب من سواج الجبل المشهور في الجاهلية بهذا الاسم، وفي بطنه مياه كثيرة، وقد غرس به أهل الشبيكية[2] بلد الذويبى الحربي نخيلاً كثيرة مشرعة في الماء، وهو واقع من امرة في الشمال الغربى على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم.

وقال شاعر أيام الفتوحات في صدر الإسلام :

أَقْبَلْنَ من نير وَمِنْ سُوَاجِ والقومَ قد مَلُّوا من الإِدْلَاجِ

وقال تميم بن أبيٍّ بن مقبل:

وَحلتْ سُواجا حلْة فَكَأَنَّمَا بِحَزْمِ سَواجٍ وَشْمُ كفٍّ مُقَرَّحُ

وقال في معجم[3] البلدان، ومنهم من يقول : سواج طخفة، وقال على ذكر سواج : النائعان جبلان بين أبان وسواج طخفة، وهذا تحديد صحيح، والنّائعان باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، يقال لأحدهما ــ «النائع» وللآخر «النويع» وهما بين أبان وسُوَاج، وقال جرير :

---

(١) جعل ياقوت شعر الراعي في موضع اسمه «أمر» بفتح الهمزة والميم جميعاً وذكر أنه موضع بالشام.

(٢) قال الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي شمال المملكة القسم الثاني /٧٠٥ ــ ٧٠٦ : قلت، والشبيكية من بلاد فزارة، ومن مجامعها «كما في معجم مااستعجم» ويفهم من خبر أورده أنها في أعلى بلادهم مما يلي المدينة.
والشبيكة أيضاً قرية تقع جنوب حائل على بعد ٦٤ كيلاً لقبيلة شمر.
والشبيكة : أيضاً ــ قال في كتاب (المناسك) (وعلى ميل ونصف من التعلبية في بطن الوادي إذا انحدرت بئران قريبتان من الأرض تسمى الشبيكة والطريفة).

(٣) انظر معجم البلدان ٥ /١٥٨.

أن العدوَّ إذا رمَوْك رميتهم بذُرَى عَماية أو بهَضْب سْواج

والاشعار فيه كثيرة.

وجميع المواضع الذي ذكرها امرؤ القيس في أبياته المتقدمة ـــ وهي البَكَرات ونفى، وحِلِّيت ، ومنْعِج، وعاقل، والأَمَرات ـــ كلها باقية بهذه الأسماء إلى يومنا هذا، أقصاها مما يلى القصيم عاقل الذي يقال له اليوم «العاقلي» وأعلاها مما يلي جنوبي الحِمى «البكرات» التي يقال لها اليوم «البكرى» والتي هي هضاب حمر يغشاها بياض، وهي واقعة في هضاب سود عنها جنوبيَّ كبشات وغيرها، وهضاب حِلِّيت سود كأنها غربان، وما كان من البَكَرات شمالاً فجبالهُ حمر كغول وطخفةَ ومنى التي يقال لها اليوم «منية» يطوف الراكب المجدُّ على هذه المواضع في يومين، وبقية المواضع المذكورة في هذه الأبيات واقعة بين البَكَرات وعاقل، أما عارمة وبرقة العيرات فموضعها كما تقدم ذكره.

★ ★ ★

٢٣ ـــ وقال امرؤ القيس، وهو في بلاد الروم في قصيدة هذا مطلعها :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِى حُجْر بْنِ عَمْرٍو وَأَبْلغْ ذَلِكَ الحَىّ اَلْجَدِيْدَا
بأنّى قَدْ هَلَكْتُ بأرْض قَوْمٍ بَعِيْداً من دِيَارِكُم بَعِيدَا
وَلَو أَنّى هَلَكْتُ بِأرْضٍ قَوْمِى لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ، لا خُلودَا
وَلَوْ صادَفْتُهُنَّ على أَسَيْسٍ وَحاقَةَ إذْ وَرَدْنَ بنَا وُرُودَا
عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَزِمَّتُهُنَّ مَا يَعْدِقْنَ عُودَا

أسيس — أما أُسَيْسٌ فقد قال في معجم البلدان[1] : أسيس في بلاد بني عامر بن صعصعة، واستشهد ببيت امرىء القيس هذا، وأنا لا أعلم في بلاد بني

(١) انظر معجم البلدان ١ /٢٥٠.

عامر موضعاً بهذا الاسم، ثم قال في المعجم عن ابن السكيت : انه في شرقي دمشق، قال هذا في تفسير قول عدي بن الرقاع :

قَدْ حَبَانِي الوليدُ يوم أُسَيْسٍ بِعِشَارٍ فيها غِنىً وَبَهَاءُ

وظني أن «أسيس» كما ذكر ابن السكيت في شرقي دمشق، وأنا لا أعرف مياه تلك الناحية فإذا صح أن أسيس في شرقي دمشق فالصواب في إنشاد البيت «حافة» في موضع «حاقة» لأنه قال في معجم البلدان[1] الحفة ــ بالفتح والتشديد ــ كورة في غربى حلب فيها عدة قرى، وقيل: أن الثياب الحفية تنسب إليها، فتكون رواية البيت :

ولو صَادَفْتُهُنَّ على أُسَيْسٍ وحافَةَ إذ وَرَدْنَ بِنَا وِرُودَا

قال أبو عبيد البكرى في معجم ما استعجم[2] : إن أسيس : قريب دمشق، واستشهد بقول عدي بن الرقاع العاملي.

ويعلم القارىء أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية ــ كامريء القيس وغيره ــ وليست من شعر الجاهلية، فإن بينها وبين أشعار الجاهلية فرقاً شاسعاً في المعنى، والعهدة في ذلك على من رواها منسوبة إلى هؤلاء الشعراء، ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الإفاضة في ذكرها.

★ ★ ★

٢٤ ــ وقال امرؤ القيس :

لله زَبْدَانُ أَمْسَى قَرْقَراً جَلَداً وَكَانَ من جَنْدل أصمَّ مَنْضُودَا

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ /٣٠٢.

(٢) انظر معجم مااستعجم ١ /١٥٢.

زبدان يعنى بذلك الزَّبدانىَّ الكورة المعروفة بين دمشق وبعلبك[1]، ومنها يخرج نهر دمشق وقد سكن الباء وحذف الياء لأجل ضرورة الشعر.

★ ★ ★

٢٥ ـــ وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَا مِّما أَحَالَ عَلَى الْوَادِى

النقا والشجا وقد تقدم الكلام على عنيزة[2] والنقا : من الأكثبة المتراكمة على جانبها الغربي، فأما الشجا : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

قلت وذكر الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي، شمال المملكة الشجي .. قال في «معجم البلدان» .. قال السكوني، والطريق من المدينة إلى البصرة يسلك من الشجي والرحيل. وحفر أبي موسى ثلاثون ميلاً.

وقيل : الشجي على ثلاث مراحل من البصرة ـــ عن نصر ـــ والشجي : ضرب قد شجي به الوادى، فلذلك سمى الشجي، وقال الراجز :

كأنها بين الرحيل والشجي ضاريـــة بخفهـــا والمـــنسج

إلى أن قال : إن أريد من هذا الموضع الوادى، فهو الشجي بالياء لأنه شجى بالربوة فهو مفعول، وإن أريد به الربوة نفسها فهو الشجا بالألف لأنه فاعل.

وعلى هذا فالشجي يقع شرق الحفر، وشرق الوقبا جهة البصرة.

★ ★ ★

(١) معجم البلدان ٤ /٣٧٤.

(٢) انظر ما ذكرناه عنها في الصفحات ٣١ ـــ ١٠٢ ـــ من هذا الكتاب

٢٦ ــ قال امرؤ القيس في قصيدته التي قالها وهو في طريقه إلى قيصر ملك الروم :

سَمَا بكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أقْصَرَا ... وَحلَّتْ سُلَيْمىٰ بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا
كِنَانِيَّةٌ بانَتْ وَفِي الصَّدْر وُدُّهَا ... مُجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَعْمُرَا
بِعَيْنَيَّ ظُعْنَ الحيِّ لمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَىٰ جَانِبِ الأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ قَيْمَرَا

عرعر

عرعر : هو ماء في الهَضْب الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، يقال ــ لهذا الهضب اليوم «هضب آل زايد» والماء يقال له «عراعر» معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد، وهو واقع في الجهات التي ذكرها امرؤ القيس في أول[1] معلقته، وقال شاعر من بني عميرة، ذكره صاحب التكملة لما ذكر عراعر وأنها أرض سبَخة :

وَلَا تُنبِتُ المرعىٰ سباخ عراعر ... ولو غُسِلَتْ بالماءِ ستَّةَ أشْهُرِ

الأفلاج

الأفلاج : أودية معروفة بهذا الاسم إلى اليوم فيها نخيل وقصور ومزارع، وهي معمورة قال في معجم[2] البلدان : الأفلاج تقع في العارض في جهة مطلع الشمس، وقد أصاب في هذا التحديد، فما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادى الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج، وهي بلد الحمر، والهدار، والستارة، والخرفة، وليلى ــ وهي عاصمة تلك الناحية ــ والسيح، والغيل، والعمار، وحراضة، وواسط ووسيلا، ومروان، والزريقية، والروضة، والبديعة، وسويدان، جميع هذه القُرىَ يقال لها الأفلاج، ولا تزال معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد إلى يومنا هذا. وقد أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان وذكرها ذكراً وافياً، وأكثره أصاب فيه، وقال رجل من بني هَزَّان :

(١) انظر ما ذكرناه عنها في الصفحات: ٤٢ ــ ٤٣ ــ ٤٥ من هذا الكتاب
(٢) انظر معجم البلدان ١ /٣٠٦ وانظر أيضاً ٦ /٣٩٢ برسم «فلج».

سَلُوا فَلَجَ الأَفْلاَجِ عَنّا وَعَنْكُمُ وأكَمةَ إذ سالت سَرَارتُها دما
عشيةَ لو شِئْنَا سَبَيْنَا نِسَاءَكُم ولكـن صَفَحْنَـا عِزَّةً وتكرُّمَـا
عشيّةَ جَاءَتْ مِنْ عُقِيل عِصَابَةٌ تَقَّدمَ مِنْ أبطَالِهَا مَنْ تقَّدمَا

وقال الْقُحَيْف العقيلى :

بَدَأْنَــا فَقُلْنَــا أثَــأبَ البحــرُ واكــتَسَتْ
أسافلـــه حتّـــى ارجَحَـــنَّ وأوّدَا

أم التَّبـــن في قُرْيانـــه ثمَّ نبتُـــه
خضيـــد ولـــولا لينُـــه ما تَخضّدا

أم النَّخْـلُ من وَادِي القُـرَىٰ انحـرَفَتْ له
يَمَانِيَّـــةٌ هنَّ القَنَـــا فَتَـــأوَّدا

سقـى فَلَـجَ الأفــلاج من كل همّـــة
ذِهَــابٌ ترويـــه دماثـــا وقـــوّدا

به نجــد الصيّــد الغــريب، وَمَنْظَـــراً
أنِيْقَـــاً، ورَحْصَاتِ الأنَامِـــل خرّدا

وقال الجعدى وتلك الناحية لبني جَعْدة وقُشَير وعقيل :

نحنُ بنو جعدة أربابِ الفَلَجْ نَحْنُ مَنَعْنا سَيْلَه حتى اعْتَلَجْ

ويوم فلج لبني عامر على بني حنيفة، قال القحيف العقيلي، وقد جمع يوم النشاش ويوم فلج في كلا البيتين :

تَركْنا على النّشاشِ بَكْرَ بنَ وَائِلِ وقد نَهَلَتْ منها السُيوفُ فعلتِ
وبالفلج العادىّ قَتْلَىٰ إذا التقتْ عليها ضباع الغيل بَائتْ وَظَلَّتِ

والغيل المذكورة في هذا البيت هي من قرىٰ الأفلاج المذكورة بهذا الاسم.

قيمر

وقَيْمُرُ : لم يبق منها اليوم شيء بهذا الاسم إلا موضعاً يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية الشرقية، جبل فيه أبارق يقال له الجنبة، أرض يقال لها الأجمر فيها مياه، وهي قريب من الجنبة بين الأفلاج ووادي الدواسر وهي التي عناها امرؤ القيس بقوله «**لَدَى جانبِ الأفلاج من بطن قَيّمرًا**».

٢٧ ــ وقال امرؤ القيس في ذكر الظعينة :

فَشَبَّهْتُهُمْ في الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِيْناً مُقَيَّرَا
أَوِ الْمَكْرعاتِ من نَخيْلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِى يَلِينَ الْمُشقَّرَا

الصفا

أما الصفا : فهو اليوم قَصَبة المبرز الواقعة في بلد الأحساء، ولا يزال بهذا الاسم على تحديد الرواة وأهل المعاجم، قال لبيد بن ربيعة :

سُحُقٌ بَمنْسعة الصَّفَاَ وسرِيّةٌ عُمٌّ نواعِــمُ بينهــن كُرُوُمُ

وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كأنَّ النَّادياتِ عن الصَّفَا مذارِعَهَا والكارِعَـات الحَوَامِـلَا
بِذي شَطَبٍ أحْداجُهم إذ تحمَّلوا وحث الحُداةُ النَّاجِيَاتِ الذَّوامِلَا

قال في معجم البلدان[1] عن ابن الفقيه : الصفا قصبة هَجَر، ويوم الصفا من أيامهم.

قال جرير :

تَرَكْتُم بِوَادِى رَحْرَحَان نِسَاءَكُم وَيوم الصَّفَا لَاقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا

---

(١) معجم البلدان ٥ /٣٦٥.

قلت : وتحدث حمد الجاسر في كتابه (المعجم الجغرافي القسم الثالث ص / ٩٧١) المنطقة الشرقية عن موضع اسمه الصفا، فقال : الصفا بالفتح في «معجم البلدان» :

والصفا أيضاً : نهر بالبحرين، يتخلج من عين مُحَلِّم. قال لبيد :

سُحُقٌ بِمَنْسعَةَ الصّفا وَسَرِيُّهُ   عُمٌّ نَوَاعِـــمُ بَيْنَهُـــنَّ كُرُومُ[١]

وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كأنَّ النّادياتِ عن الصَّفَا   مَذارِعُها والكارِعَـاتِ الحَوَامِـلَا

والصفا : حصن بالبحرين وهجر.

وقال ابن الفقيه : الصَّفا قصبة هَجَر[٢].

ويوم الصَّفَا من أيامهم. قال جرير :

تركتُمْ بِوَادِى رَحْرَحَانَ نِساءَكُمْ   وَيَوْمَ الصَّفَا لاقَيْتُمُ الشِّعْبَ أوْعَرَا[٣]

وذكر ياقوت أيضاً في «المعجم»[٤] : أن الصفا قصبة هجر.

وفي «التهذيب» للأزهرى[٥] : قول لبيد يصف نخلاً نابتاً على الماء حتى طال طواله في السماء، فقال :

سُحُقٌ يمتعها الصَّفَـا وسَرِيّـةٌ   عُمٌّ نَواعِـــمُ، بَيْنَهُـــنَّ كُرومُ

والصفا والسرى نهران يتخلجان من نهر محلم الذي بالبحرين، يسقى قرى هجر كلها. انتهى.

---

(١) في «التهذيب» سحق يمتعها الصفا وسرية. ومثله في «التاج».

(٢) وكذا في «مختصر البلدان».

(٣) انظر عن يوم رحرحان «النقائض» و«معجم ماستعجم» : ٦٣٣ ورحرحان جبل لايزال معروفاً، وفيه أودية.

(٤) رسم (هجر).

(٥) : ٢ — ٢٩٤.

وفيه[1] الصفا نهر بالبحرين، والسرى خليج يتخلج منه ... وفيه[2] :
وبالبحرين نهر يتخلج من عين محلم يقال له الصفا.
وقال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي[3]:

أَلَا أَبْلِغ بني حجر بن وهب بأَنَّ التَّمر حلوٌ في الشِّتَاءِ
فَعُودوا للنَّخِيْلِ فَأَبْرُوهَا وعيشوا بالمشَقّر فالصّفَاءِ

وهنا ورد الاسم ممدودا ولعله للوزن، فقد تقدم قول الأزهري أنه مقصور.

ومصدر النصوص المتقدمة عن الأزهرى ــ وهو ممن عرف هذه البلاد تدل على أن الصفا نهر يتخلج من محلم، ومن المعروف أن الأنهار كثيراً ما ينشأ بقربها أماكن للسكن وقصور وحصون، تسمى باسمها.
ونهر محلم أصبح مجهولاً وكذا الصفا.

وفي «تاريخ الأحساء» لا يعرف في الأحساء نهر بهذا الاسم، ولا حصن أيضاً، وإنما توجد قطعة من الأرض بين مدينة الهفوف ومدينة المبرز، تسمى الصفيا، وفيها الآن محطة توليد الكهرباء. انتهى.

وما أرى الصفيا هذه تنطبق عليها أوصاف الصّفا، فهي في مكان مرتفع ولا أثر لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين (أمّ سبعة) التي تنطبق كثير من أوصاف نهر محلم عليها ثم إن الاسم حادث. وكلمة الصّفا وما اشتق منها من كلمات يكثر اطلاقها على كثير من المواضع وسيرد ذكر للصفا في رسمي محلم والمشقر.

---

(١) : ١ ــ ١١٩.
(٢) : ١٢ ــ ٢٤٩.
(٣) : «الأغاني» : ٨ ــ ٢١ ط دار الكتب.

قلت : والصفا أيضاً: اسم موضع ورد في شعر ذي الرّمة، قال :

خَلِيْلَيَّ مُدَّا الطَّرْفَ حتى تَبَيْنَا ... أظُعْنٌ بعلياءِ الصّفَا أم نَخيْلُهَا؟
فَقَالا: على شَكٍّ تَرَىٰ أوْ نَرى ... لمية ظعنًا باللّوَىٰ نَسْتَحِيْلُهَا

نستحيلها : من حال يحول، ننظر أتتحرك أم لا .

فقلت : أعيد الطرف ما كان منبتاً ... من النخل خيشوم الصفا فأميلها

الصفا : مكان . خيشومه : طرفه. يقول : ما كان هذا من مواضع النخل.

الأميل : من الرمل حبل قدر نصف ميل(١).

الصفا هنا موضع قريب من الرمل، حيث ذكر الشاعر الأميل، وهو الحبل الممتد من الرمل، وبلاد ذو الرمة التي يذكرها في شعره متصلة بالدهناء والصمان، وهنا تلتقى جبال الرمال بالأرض الجلد التي تكثر فيها الآكام والمرتفعات الصلبة، وهو قد ذكر أن للصفا خيشوماً، أي أنفاً مرتفعاً.

وقد ذكر ياقوت أن صفا بلد هَضْبة ململمةٍ في بلاد بني تميم، ولكنه حين ذكر بلداً أبعد النجعة إذ عده في حمي ضرية.

وما أرى الصفا الذي ذكره ذو الرمة إلا في شرقي الدهنا على مقربة منها.

قلت : والصّفَاويُّ :

ماء يقع شرق مملحة نطاع، غرب جبل يدعى جبل الصّفَاوى. وهناك الصَّفَاوِيَّة :

---

(١) ديوانه : ١٦٢.

ماء يقع في منطقة الظهران، جنوب نبعة بنحو خمسة أميال على ما جاء في كتاب «دليل الخليج».

قلت: أما المؤلف رحمه الله، فقد قال عن الصفا :

والصفا الذي ذكره امرؤ القيس في هذه القصيدة لا أشك في أنه في نوَاحي هجر، لكن لم يهتد إليه أحد، ولا يُعْرف اليوم موقعه بهذا الاسم.

والمُشَقَّر : في هَجَر، ولا يعرف اليوم بهذا الاسم، وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر ابن الجارود رئيس عبدِ القيس في هجر، وكان قد أجارَهُ فَخَفَر عبيدُ الله بن زياد جوارَه، واخذُه منه فنكل به، فقال ابن مفرغ يهجو المنذر[1] : المشقر

تَرَكْتُ قُرَيْشاً أن أُجاوِرَ فِيهُمُ ... وَجَاوَرْتُ عَبْدَ القَيْسِ أهْلَ المُشَقَّرِ
أُناساً أجَارُوْنا فَكَانَ جِوَارُهم ... أعَاصِيرَ مَنْ فَسْو الْعِرَاقِ المُبَذَّرِ
فهلّا بَنِي اللَّفَّاءِ كُنتم بنى اسْتِهَا ... فَعَلْتُم فِعَال العَامِريِّ ابنِ جَعْفَرِ
حَمىٰ جَارَهُ بِشْرَ بنُ عَمرو بن مرثِدٍ ... بِألْفِ كَمِيٍّ في الْحَدِيْدِ مُكَفَّرِ

وكانت هَجَر في القديم من الزمان لإياد، ولما قدمت عبد القيس البحرين أخرجوا إيادا منها قهرا، ونزلوا فاستقروا بها إلى الآن، قال عمرو بن أسوى العَبْقَسي :

ألَا أبْلِغَا عمرو بنَ قَيْسٍ رِسَالَةً ... فَلَا تَجْزَعِنْ من نَائِبِ الدَّهْرِ وأصْبِرِ
شَحَطْنَا إيَادَاً عن وقاع وَقَلَّصت ... وبَكْرَا نَفَيْنَا عن حِيَاضِ المُشَقَّرِ

ولا يُعْلم في جهات هَجَر اليوم موضع بهذا الاسم، وأما المُشَقَّر الذي ذكره أبو ذُؤَيب الهُذَلي في قصيدته العينية :

---

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٨ /٦٥.

حتّى كأنّى للحَـوَادِثِ مَرْوَةٌ   بِصَفَا المُشَقّرِ كلّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

فهو جبل في بلاد هذيل بهذا الاسم.

* * *

٢٨ ــ وقال امرؤ القيس :

كَأنَّ دُمىٰ سَقْفٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ   كَسَا مُزْبِدَ السَّاجَومِ وَشْياً مُصَوّرَا

سقف أما سقف(١) فهو ماء معروف في جَبَل صغير منقطع من جبل رمان الواقع في بلاد طي أعرفه، وقد وردتهُ، يعد من مياه رمان الجبل المشهور، ورّمان طرفه الجنوبيُّ محاذ لبلاد بني أسد وطرفهُ الشمالي واقع في بلاد طي، وسقف : في طرف رمان الشمالي الغربى مما يلي القرية التي يقال لها الغزالة، ولم أر للغزالة ذكراً في كتب المعاجم، إلا رواية عن الأصمعي على ذكر «الغزايل» في معجم البلدان، قال : هو ماء بنَجْد لعبادة خاصة يقال له «ذو غزايل».

الساجوم أما الساجوم : فقد غلط فيه كثير من الشراح، حيث زعموا أنه موضع قريب سقف، ولكنه في هذا البيت بعينه نو ع من ألوان الصبغ، وقد قال في القاموس «والساجوم :صِبْغٌ».

قلت، ورد في لسان العرب مادة سجم، ما يخالف هذا، قال : الساجوم: صبغ، وساجوم والساجوم موضع، قال امرؤ القيس :

(كسا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وشياً مُصَوَّرا)

* * *

(١) يضبطه قوم بفتح السين ويضبطه آخرون بضمها، وذكر ياقوت (المعجم ٥ /٩٤) عن نصر أن سقفا جبل في ديار طي. وقال بعد ذلك «وقيل : ماء لطي بإزاء سميراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة» اهـ.

٢٩ ــ قال امرؤ القيس :

تَذَكَّرْتُ أهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أتَتْ عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكَابِ وأوْجَرَا
فَلمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ والآلُ دُونَهَا نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا
تَقَطَّعُ أسْبَابُ اللُّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا

خملى أما نجد : فلا أعلم فيها موضعاً يقال له خَمَلَى، ووجدت موضعا في معجم(١) البلدان يقال له « خميل» واستشهد بقول جرير :

ألا حَيِّ الديار وان تَعَفَّتْ وقد ذَكَّرنَ عهدك بالخميل
وكم لَكَ بالمُجَيْمِرِ من محلٍّ وبالعزاف من طَلَلٍ مُحِيلِ

أوجر أما أوجر فلا أعلمه في بلاد العرب، لكن قال في معجم(٢) البلدان : أوجار قرية في البحرين لبني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو، وارتفع بهذا النسب إلى عبد القيس .

حوران وأما حَوْران : فهو كُورَةَ واسعة من أعمال دمشق، مشهورة بهذا الاسم، سكنتها العرب بعد الفتوحات، وبقيت فيها إلى يومنا هذا، وتقع حَوْران من دمشق في جهتها الجنوبية أمام المصلى بدمشق المتجه إلى بيت الله الحرام، قاعدتها بُصْرَى، وفيها قُرىً ومزارع، وفيها جبل الدروز، قال جرير:

هَبَّتْ شَمَالاً فذكرى ما ذكرتكُمُ عند الصفاة التي شرقيِّ حَوْرَانا
هَل يرجعنَّ، وليس الدَّهْرُ مُرْتَجِعاً، عيشٌ بنا طالَمَا احْلَوْلَى وَمَا لاَنا

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ولّى علقمة بنُ عُلاثة حَوْران، فقصده الحطيئة الشاعر، فوصل حوران وقد انصرفوا عن قبره، فقال عند ذلك :

(١) المعجم ٣ /٤٦٦.
(٢) المعجم ١ /٣٦٨.

لَعُمْرِي لَنِعْمَ المرءُ من آل جَعْفَرٍ بِحَوْرَان أمْسَىٰ أقْصَدَتْهُ الحَبَائِلُ
لَقَدْ أقصَدَتْ مَجْدَاً وجُوْدَاً وسُوْدُدَا وحلْماً أصِيْلاً خَالَفَتْهُ المَجَاهِلُ
وَمَا كانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيْتُكَ سالما وبين الغِنَى إلا لَيَالٍ قَلائِلُ
فَإنْ تَحْىَ لَمْ أمْلكْ حَيَاتِي، وَأن تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وقد افتتحت حوران صلحا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تجد ذلك في كتب التاريخ على ذكر بصرى.

حماة وشيزر

وأما حَمَاة وشَيْزَر : فهما معلومتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان ومما قاله عنهما[1] : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ منها في سنة ١٧ هـ خلف بها عُبَادة ابن الصامت، ومضي نحو حَمَاة فتلقاه أهلها مُذْعِنين، فصالحهم على الجزية في رؤسهم، والخراج على أرضهم، ومضى إلى شَيْزَر[2] فكان حالها حال حماة، وقد ذكرها الشعراء في أشعار كثيرة.

★ ★ ★

٣٠ ــ وقال امرؤ القيس :

وَلَمْ يُنْسنِي مَا قَدْ لَقِيْتُ ظَعَائِنَاً وَخَمْلاً لَهَا كَالْقَرِّ يَوْماً مُخَدَّرا
كَأثْلٍ من الْأعْرَاضِ منْ دُوْنِ بِيْشَةٍ وَدُونَ الْغُمَيْمِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا

أما بيشة : فيأتي الكلام عليها في معلقة لبيد إن شاء الله تعالى.

وأما «الغميم، وغضور» فهما موضعان معروفان بهذا الاسم إلى يومنا

(١) المعجم ٣ /٣٣٦.
(٢) قلت : شيزر : مدينة سورية قديمة على العاصي شمال حماة. فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه تحصنت دون الصليبيين، وهي مسقط رأس : اسامة ابن منقذ وفيها الآن قلعة قائمة، وانقاض وأطلال.

هذا وأما الغُمَيم : فهو معروف في طرف أجا الغربى الجنوبي، قال شَبيبُ بن البَرْصاء : غميم

أَلَمْ تَرَ أنّ الحيَّ فَرّقَ بَيْنَهُم نَوىً بَيْنَ صَحْرَاءِ الغُمَيْمِ لَجُوْجُ
فَأَصْبَحَ مَسْروراً بِبَيْنِكَ مُعْجَباً وباكٍ لَهُ عنْدَ الدِّيَارِ نَشِيْجُ

وقد أكثر الشعراء من القول في هذا الموضع الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم، قال كثير[1]:

قُمْ تَأمَّل فأنْتَ أَبْصَرُ منّي هَلْ تَرَىٰ بالَغمِيْمِ من أجْمَالِ
قاضياتٍ لبانـةً من منــاخ وطــوافٍ وموقــفٍ بالْخَيــالِ
فَسَقَىٰ الله مُنْتَوىَ أمِّ عَمْرٍو حَيْثُ أمتّ به صدورَ الرِّحَالِ

وقال جرير، وقد صغره :

يا صَاحِبَيَّ هَل الصَّباحُ مُنِيْرُ أَمْ هَل لِلَوْمِ عَوَاذِلى تَغْيِيْـرُ
أَنَّى تَكلَّـفُ بالْغُمَيْـمّ حاجـةً نِهْيـا حَمَامـة دُوْنَهـا وَجَفِيْـرُ
لَيْتَ الزَّمانَ لَنَا يَعُوْدُ بِيُسْرِهِ إِنَّ الْيَسِيْرَ بذَا الزّمانِ عَسِيْرُ

غضور وأما «غضور[2]» : فهو ماء معروف غربي جبل رمان، يقع قريب سَقْف في جنوبيه الغربي، في طرف حَرَّةٍ سوداء، وقد وردته، وهو ماء كثير كأنه عين جارية طام عليه العَرْمَضُ والطحلب، وهو باق على اسمه إلى اليوم يعرف عند جميع الناس بغضور.

قال عروة بن الورد في قصيدة له :

عَفَتْ بَعْدَنا من أُمِّ حسَّان غَضْوَرُ وفي الرَّمل منها آيةٌ لا تَغَيَّرُ

---

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٦ /٣٠٨) أن أبيات كثير هذه في «الغميم» بفتح الغين، وأبيات شبيب بن البرصاء السابقة في «الغميم» بضم الغين.

(٢) انظر معجم البلدان ٦ /٢٩٦.

وقال رجل من بنى أسد :

تبعتُ الهَوَى ياطيبَ حتى كأننى ... من أجْلِكَ مضروسُ الجَرير قَوُودُ
تَعَجْرف دَهْراً ثم طاوع قَلْبَهُ ... فصَّرفَهُ الرُّوَّاضُ حيثُ تُرِيْـدُ
وَإنَّ ذيادَ الحُبِّ عَنْكَ وَقَد بدَتْ ... لِعَينيك آياتُ الْهَوَى لَشَدِيْدُ
وما كلُّ مَا في النَّفْس للنّاس مُظْهَرٌ ... وَلَا كُلُّ مَالَا تَسْتَطِيْعُ تَذُودُ
فَيَا أيُّها الرِّيمُ المحلَّىَ لَبَانُه ... بِكَرْمَيْـنِ كَرْمَـى فِضَّةٍ وَفَرِيْـدُ
أجِدَّىَ لا أمشى بَرَّمانَ خَالِياً ... وَغَضْورَ إلّا قيل : أينَ تُرِيْدُ؟

★ ★ ★

٣١ ــ وقال امرؤ القيس في وصف راحلته :

كَأَنَّ الْحَصَىٰ من خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا ... اذ نجلته رِجْلهاَ حَذْفُ أعْسَرَا
كَأَنَّ صَلِيْلَ الْمَرْوِ حِيْنَ تُطِيرُهُ ... صَلِيْلُ زيُـوفٍ يُنْتَقَـدْنَ بِعَبْقَـرَا[١]

عبقر ذكروا أن «عَبْقَر» مَوْضِعُ في اليمن كثيرُ الجن ، وَإليه تُنْسَبُ الحُلَلُ العبقرية، وأما «عباقر» فهو ماء في نجد لبني فزارة قال ابن عنمة :

أهلِي بنجدٍ، ورَحْلى في بيوتكمُ ... على عَبَاقِرَ من غَوْرِيَةٍّ العلَمِ

وأنا لا أعلمه بهذا الاسم اليوم.

قلت : وكتب عبد الله بن خميس في معجم اليمامة، يقول :

عبقر: بفتح العين، واسكان الباء، وفتح القاف، فراء .. موضع بنواحي اليمامة). عن ياقوت .. قال الأعشى :

كهولا وشُبْاناً كجنة (عبقر)

(١) هذه رواية ياقوت (المعجم ٦ /١١٢) وفي الديوان ٧١ «كأن صليل المروحين تشذه».

وهذه المادة لها مدلولان : أولهما بلاد في (اليمن) تنسج البرود وتجيدها جداً، ويضرب المثل بها حتى لقد قال القرآن :

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾[1] ، وقال ذو الرّمّةِ :

حَتّى كَأنَّ رِيَاضَ القفّ أَلْبسَهَا   منْ وَشْيِ (عَبْقر) تَجْلِيْلٌ وَتَنْجِيْدُ

وقال الأعشى :

أصَاحِ تَرَىٰ ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ   عَلَيْهَا العبقريَّةُ والنّجُودُ

وقال ابن عنمة :

أَهْلِي بِنَجْدٍ وَرَحْلِي في بيوتِكُمْ   على (عَبَاقِر) من عَوْرِيّة الْيَمَنِ

وفي حديث عمر : أنه كان يسجد على عبقرى.

وإذن فهذا المدلول يفيذ اتقان صنعه البرود والفرش حتى أنه ليضرب المثل بها.

أما المدلول الثاني .. فيفيد القدرة الخارقة والعظمة الفائقة. والاتيان بأعمال لا يأتي بها إلا ما يعتقدونه في الجن من الخوارق واشباه المستحيلات مما ينسب إليهم من خرق حجارة الأرض في مياه الشواجن وأمثالها، وما يحكم من بناء كقصة (سدود) و (بستل اليمامة)، وغير ذلك .. وإذا كان هذا معروفاً من أعمال الجن لديهم، فإن هناك جناً يفوقون سواهم في الحذق والمهارة والإعجاز .. هناك جن (عبقر) الذين يقف الجن أمام معجزاتهم حيارى .. وإذن فلينسب كل عمل يأتي به آت فيه إعجاز وحذق إلى (عبقر) تشبيهاً ومماثلة، فيقال هذا عبقري أي كأنه من أولئك الذين يأتون بالمعجزات ويخرقون العادات، ومضى العرب يشبهون

---

(١) سورة الرحمن /٧٦.

بهم ويسندون الأعمال الخارقة إليهم، ولم يلبثوا أن طردوا هذا التشبيه وتوسعوا في هذا المدلول، فسموا السيد والزعيم والبطل بالعبقرى، وجاءت التشبيهات الإسلامية أحياناً ناحية هذا النحى، حتى جاء في الخبر عن الرؤيا التي أريها النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر بعض خلفائه، فقال عن عمر رضي الله عنه : (فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه).

وقال ابن الأثير : ثم اتبع فيه حتى سمي به : السيد، والكبير .. ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه : فقال ﴿عَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾[1] .. وركب الشعراء هذا المدلول.

قال لبيد :

وَمَن فادَ مِن إِخوانِهِمْ وبينَهم ... كُهُولٌ وشبّانٌ كَجِنَّةِ عَبقَرِ
مَضَوْا سَلفَاً قَصْدُ السّبيلِ عَلَيهِم ... بَهِيٌّ مِنَ السُّلَّافِ لَيْسَ بجَيْدَرِ
أَقِي العِرْضَ بالمَالِ التَّلادِ وأشْتَرِي ... بِهِ الحَمدَ، إنَّ الطالِّبَ الحمدَ مُشترِي
وكَمْ مُشترٍ من مالِهِ حُسنَ صِيتِهِ ... لأيّامِهِ في كُلِّ مَبْدِيً وَمَحْضَرِ

وقال زهير :

بِخَيْـلٍ عَلَيْهَـا جِنَّـةٌ عَبْقَرِيَّــةٌ ... جَدِيْرُونَ يَوْماً أَنْ يَنَالُوا فَيُسْتَعْلُوا

وقال امرؤ القيس :

كَأنَّ صَلِيْلَ المرو حِيْنَ تطيره ... صَلِيْلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَـدْنَ بِعَبْقَرا

وقال كثير :

جَزَتْكَ الْجَوَازِى عن صَدِيْقِكَ نَظْرَةً ... وَأَدْنَاكَ رَبِّي في الرَّفِيْقِ الْمُقَرَّبِ
مَتَى تَأْتِهِمْ يَوْماً من الدَّهْر كلّه ... تَجِدْهُم إلىٰ فَضْلٍ عَلَىٰ النَّاس ترتّبِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ وَحْش جِنّ صَرِيْمَةٍ ... بِعَبْقر لَمّا وَجَّهت لم تُغَيّبِ

(١) سورة الرحمن /٧٦.

وذكر الهمداني (عبقرا) في معازف الجن .

والمرجح أن وادي (عبقر) موطن الجنة العبقرية في اليمامة وفي (الجِلْه) منها، قال ياقوت عطفا على وادى (عبقر) الذي توشّى فيه البُرُد. و(عَبْقَر) أيضاً مَوْضِعٌ بنواحى (الْيَمَامة).

وقال المرار العدوي :

أعَرفْتَ الدَّارَ أمْ أنكَرْتَهَا   بَيْنَ تِبْرَاكٍ فَشِسِي (عَبْقَرِ)

و(تبراك) في طرف (الجِلْه) من الشرق، لاصق برمل (الوركة) قُنَيْفِذه الآن.

وما بعبقر وجنّتِه تَفْخَرُ (اليمامة)، ولكن هكذا وقع(١).

٣٢ ــ وقال امرؤ القيس :

هُوَ المُنْزِلُ الْأُلّافِ مِنْ جَوّ نَاعِطٍ   بَنِى أسَدٍ حَزْناً مِنَ الْأَرْضِ أوْعَرَا

أما جوناعط فلا أعرف في نجد موضعاً بهذا الاسم، وقد ذكر أهل المعاجم أن في اليمن حصناً في رأس جبل يقال له «ناعط» ذكروا أنه لبعض الْأَذْوَاء(٢) قُرْبَ عدن. جوناعط

قلت : وهناك جو دون إضَافِتَها إلى ناعط، وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي، شمال المملكة : جو أيضاً أرض لبني ثعل بالجبلين (يريد جبلي أجا وسلمى)، قال امرؤ القيس :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍّ ومَسْطَحٍ   تُرَاعِي الْفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلِ

ثم قال : وفي كتاب نصر : جَوٌّ أيضاً في ديار طيءٍ لبني ثُعِلَ. وفي

---

(١) معجم اليمامة ج ٢ /١٣٣ ــ ١٣٥.
(٢) الأذواء : ملوك اليمن، كان يقال لواحد منهم : ذو جدن، ولآخر ذو يزن، وهكذا.

كتاب «البلدان» للحازمي ـــ وهو مأخوذ من كتاب نصر ـــ ما تقدم وزاد (جَوّ الجَوَادَةِ) ثم قال الشيخ حمد : قال ياقوت أيضاً : جَوُّ الْجَوَادَةِ في ديار طيءٍ قال عَبَدَةُ بن الطِّبيْبِ :

وَأرْحُلنَا بَالْجَوِّ، جَوِّ جَوادَةٍ بِحَيْثُ يصَيْدُ الآبِدَاتِ الْعَسَلَّقُ

ثم قال .. وأقول : جو : أكبر أودية أجا وأشهرها، ينحدر من أعلى الجبال متجهاً نحو الشمال ونرفرة شعاب من أشهرها الحمرة وصحا وصحى.

ثم يذكر موضعاً آخر اسمه (جو ما يبات به) ويذكره لغرابة اسمه. ولكنه لا يذكر جو ناعط[١].

قلت : وفي لسان العرب[٢]، ناعط حصن في رأس جبل بناحية اليمن قديم معروف كان لبعض الأذواء، وناعط جبل وقيل هاعط باليمن وناعط بطن من همدان، وقيل هو حصن في أرضهم، قال لبيد :

وَأمّننى بَنَات الدَّهْر أرباب نَاعِطٍ بمُسْتَمِعٍ دُوْنَ السّماءِ وَمَنْظَرِ
وَأعْوَضْنَ بالدّومي مَن رأسِ حِصْنِهِ وَأنْزلنَ بالأسْبَابِ ربّ المشقَّرِ

أعوضن به أي لوين عليه أمره، والدومي هو اكيدر صاحب دومة الجندل والمشقر حصن ربه أبو امرىء القيس.

★ ★ ★

٣٣ ـــ وقال امرؤ القيس :

بَكىٰ صَاحِبِي لمّا رَأىٰ الدَّرْبَ دُوْنَهُ وَأيْقَنَ أنّا لَاحِقَانِ بِقَيْصرَا
فَقُلْتُ له لَا تَبْكِ عَيْنَاك، إنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أوْ نَمُوْتَ فَنُعْذَرَا

---

(١) : انظر حمد الجاسر المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الأول مادة (جو). ص /٣٥٢ وماقبل.

(٢) الجزء التاسع: ص /٢٩٣ (نعط).

لَقَـــد أنْكَرَتْنِـــى بَعْلَـــبَكُّ وَأهْلُهَـــا
وَلَابْـــنُ جُرَيْـــجٍ كَانَ فِى حِمْصَ أنْكَـــرَا[1]

أما «الدرب» هذا فهو المَدْخَل إلى بلاد الرُّوم، ويقال له ــ «درب القُلَّة» بضم القاف وتشديد اللام، قال المتنبى : الدرب

لَقِيتُ بَدرْبِ الْقُلَّة الفَجْرِ لَقْيَة شَفَتْ كمدى والليلُ فيه قَتيلُ

وهذا الدرب هو الذي كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأنه إلى سلمان ابن ربيعة الباهلى «أن لا يَقْطَع الدرب معك إلا فرس عريب» فقال سلمان : تُعْرَض علي الخيل، فعُرِضت عليه، فقال لعمرو بن معد يكرب : هذه الفرس هجين ــ يعني فرس عمرو بن معد يكرب ــ فقال عمرو : إنها عريب أيها الأمير، قال سلمان بن ربيعة : ارْدُدَهَا فإنها هجين قال عمرو بن معد يكرب : صدقْتَ، الهجين عرف الهجين، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عمرو بن معد يكرب ألا تقدم على المدينة حتى تُرضْي أميرك.

أما بعلبك وحمص فهما معروفان، ولا تزال تذكران بهذين الاسمين، ولكل واحدة منهما ذكر في الفتوح. بعلبك وحمص

★ ★ ★

٣٤ ــ قال امرؤ القيس :

إذَا نَحْنُ سِرْنَا خمْس عَشْرَةَ لَيْلَةً وَراءَ الْحِساءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا
إذَا قُلْتُ هذا صَاحِبٌ قَدْ رَضيْتُهُ وَقرَّت لَهُ الْعَيْنَانِ بُدِّلَتْ آخرَا

(١) هذه رواية أبي سعيد السكري، وهي أظرف من رواية غيره «ولابن جريح في قرى حمص أنكرا».

كَذَلِكَ جَدِّى مَا أُرَافِقُ وَاحِداً مِنَ النَّاسِ إلا خَائِنِى وَتَغَيَّرَا

الحساء الحساء : هي المياه التي وردها امرؤ القيس لما دخل بلاد الروم أما

ومدافع قيصر مدافع قيصر : فهي المسالح الواقعة على حدوده التي يدفع الأعداء بها.

★ ★ ★

٣٥ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَاذِفَ[١] ذَاتِ التَّل من فَوْقِ طَرْطَرَا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ في قُذَارَانَ ظَلْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِى على قَرْنِ أَعْفَرَا
فَهَل أَنَا ماشٍ بَيْنَ شُوطٍ وَحَيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لاقٍ حَىَّ قَيْس بِنِ شَمَّرَا[٢]

تاذف «تاذف» قرية من قرى حلب.

طرطر و«طرطر» قال ياقوت في معجمه[٣] : قرية بوادي بطنان، وهو وادي بزاعة قرب حلب، يسمونه طلطل اليوم.

قلت : وحدثني من رآها أنها تعرف بـ (أبو طلطل) وليس بطرطر؛ وهي اليوم قرية قائمة على الطريق بين حلب والرّقة.

قذاران «قذاران» اسم رومي لقرية في نواحي حلب، كما رواه[٤] ياقوت وهذه القرية كانت موجودة إلى عهد ياقوت، وكانت معروفة بهذا الاسم وبحلب قرية يقال لها «أقذار» ملك لبني أبي جرادة.

★ ★ ★

---

(١) قلت : تاذف مازالت إلى اليوم وهي مدينة صغيرة تابعة محافظة حلب السورية وأغلب أهلها يسكنون مدينة الرقة في الجزيرة.

(٢) شوط وحية موضعان في أجا وهو الجبل الأول من جبلى طى. وشمر هم عنصر القبيلة الموجودة اليوم.

(٣) المعجم ٦ /٤١.

(٤) المعجم ٧ /٣٩.

٣٦ ــ وقال امرؤ القيس :

تَبصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ ... يُضِيءُ الدُّجىٰ بِاللَّيْلِ مِنْ سَرْوِ حِمْيَراً

«سَرْوُ حمير» أعالي بلاد اليمن، وهذا من تَوجَدُّه على بلاده. سرو حمير

★ ★ ★

٣٧ ــ وقال امرؤ القيس :

أجَادَ قُسَيْساً فَالطُّهَاءُ فَمِسْطَحَاً ... وَجَوّاً فَروَّىٰ نَخْلَ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا

قُسَيْس والطُّهَاء : هذه مواضع في جبال طيء، ولا أعلم لها ذكراً اليوم[1]، فأما جو ومِسْطَح : فإن لهما ذكراً قديماً في أشعار العرب، وهي واقعة في أجأ، قال حاتم الطائي : قسيس والطهاء

ليالِيَ نَمْشِي بَيْنَ جَوٍّ ومِسْطَح ... نشَاوَىٰ لَنَا من كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرَ

★ ★ ★

٣٨ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّ في الشِّعْبَيْنِ شِعْبٍ بِمسْطَحٍ ... وَشِعْبٍ لَنَا في بَطْنِ بُلْطَةِ زَيْمَرَا

وقال أيضاً :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍ وَمِسْطَحٍ ... تُراعى الِفرَاخ الدَّارِجاتِ مِنَ الْحَجَل

وقال أيضاً :

وَكُنْتُ إذا ما خِفْتُ يَوْماً ظُلامَةً ... فإنَّ لها شعباً بِبُلْطَةَ زَيْمَرَا

وقد ظهر لي من هذه النصوص كلها أن قسيسا والطهاء وجوا كل هذه

(١) اتضح لى بعد التحرى الدقيق أن قسيساً والطهاءومسطحا مواضع في اجا لا تزال بهذه الاسماء إلى يوم الناس هذا.

الأسماء المذكورة كائنة في نواحى أجأ، وأنا لا أعلم شيئاً بهذا الاسم في تلك الناحية.

قلت : ذكر المؤلف في حاشية الصفحة السابقة الحاشية الرابعة ـــ ما يلي (اتضح لي بعد التحري الدقيق أن قُسَيْساً والطّهاء ومِسْطَحاً مواضع في أجا لا تزال بهذه الأسماء إلى يوم الناس هذا).

قلت : وهذا هو الصحيح فمسطح موضع في جبلي طيء وقد ذكر حمد الجاسر نص صاحب معجم البلدان عن مسطح، فقال :

وفي «معجم البلدان» : مسطح بالكسر ثم السكون وفتح الطاء وحاء مهملة : موضع في جبلي طيء وقال حاتم :

ليالىَ نَمْشِي بَيْنَ جَوّ ومِسْطَحٍ ... نَشَاوَى لَنَا من كلِّ سَائِمَةٍ جزرُ

وقال امرؤ القيس :

ألا إنّ في الشّعبين شِعْبٍ بِمسْطَحٍ ... وَشِعْبٍ لَنَا في بَطْنُ بُلْطَة زَيْمَرَا

وقال امرؤ القيس أيضاً :

تَظَلُّ لَبُوني بين جَوّ ومسْطَحٍ ... تراعي الفراخَ الدَّارجاتِ مع الْحَجَل

أي ترعى معها، ولا يكون ذلك إلا في موضع أمن، وجو : ببلاد طيء أرضاً.

قلت : وقد مر ذكر جو، ثم قال : وأقول مسطح : واد يقع في أعلى وادي خرافة، في جوف جبل أجا، ويجتمع سيله بعد أن يفضي إلى خرافة في وادي حايل.

وقد ذكر الأستاذ سليمان الدخيل أن مسطحاً قرية يبلغ عدد نخلها

٧٠٠ والواقع أنه واد فيه نخل وآبار ولا سكان فيه، وقد يطلق الاسم على جبل من جبال أجا، منه تمتد فروع ذلك الوادى[١]

★ ★ ★

٣٩ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا إنَّما الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُرُ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرْ[٢]
لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ

محجر أما مُحَجر : فهو معلوم إلى يومنا هذا ولكنه يقال له اليوم «الحجرة» وهو في بلاد غنى ابن أعصر بين شُعَبَى الجبل المشهور في الحمى، وبين الكثيب الذي يقال له «عريق الدسم» تصب في مُحَجر أودية شُعَبَي ويحجرها الكثيب، وليس للسيول منفذ، فسمي مُحَجِّراً لحجرِهِ السيل، وقد سموه اليوم «الحجرة» لهذا المعنى أيضاً قال طُفَيل الغَنوي[٣]:

وهُنَّ الألى أدركْنَ تَبْلَ مُحجّر وقد جعلت تلك التنابيل تَنْشَبُ

وقال طفيل أيضاً :

فَذُوْقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحْجَر من الحَرّفِي أَكْبَادِنَا والتَّحَوُّب

وقال بشر بن أبى خازم :

مُعَالِيَة لاهــمَّ إلا مُحَجَّــرُ وحَرَّةُ لَيْلىٰ السهل منها فُلُولُها

وقال زيد الخيل :

نَحْنُ صَبَحْنَاهُمْ غَدَاةَ مُحَجَّر بالخَيْل مُحْقَبَةً علىٰ الْأَبْدَانِ

(١) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الأول /١٢٢٦.

(٢) في هذا البيت من الزحاف الكف، وهو ثقيل، ولو أنه قال * ألا إنما دهري ليال وأعصر* لخلا منه، ولكن الشعر الجاهلي قلما يخلو عن مثل ذلك.

(٣) انظر شواهد محجر كلها في المعجم ٧ /٢٩٢.

نُزْجِي المطيّ مُنْعَلًا أَخْفَافُهَا وَالْجُرْدَ مرسلــةَ بِلَا أَرْسَانِ
حتَّى وَقَعْنَا في سُلَيْم وَقْعَةً في شرّ ما يُخْشَى من الحَدْثَان
فَأَسْأَلْ غُرَابَ بَنِى فزارةَ عَنْهُمُ وَأَسْأَلْ بِنَا اَلْأَحْلَافَ من غَطَفَانِ
وَأَسْأَل غنياً يوم نَعْفِ مُحَجَّر وَأَسْأَل كِلَاباً عن بَنِى نَبْهَانِ (١)
نَرْمِى بهِنّ بِغَمْـرةٍ مَكْرُوْهَـةٍ حتّى يَغِبْنَ بِنَا إِلَى اَلْأَذْقَانِ

أما محجر الذي بيناه فهو الذي عناه زيد الخيل في كلمته التي روينا، وهو الذي عناه طُفَيل الغَنَوي في بيتَيْه.

ذات الطلح

وأما «ذاتُ الطّلح» : فجميع أودية شُعَبَىٰ أغلب نباتها الطلح، وهي معروفة بكثرة الطلح إلى يومنا هذا.

غراب

وغراب الذي ذكره زيد الخيل في مخاطبته بني فزارة وغطفان : جبل أسود كأنه الغراب، فيه ماء قد وردته، وهو أعلى الشعبة، وهو واقع في بلاد غَطَفان، ويقال له «غراب» إلى يومنا هذا، وهو في حَرَّة سوداء.

أقر

أما «أُقُرْ» فهو وادٍ معروف تحميه الملوك، وقد حماه عمرو بن الحارث الغَسَّانى وتربعته بنو ذبيان، فأوقع بهم هناك، فذلك قول النابغة :

لَقَد نَهَيْتُ بَنِى ذُبْيَانَ عن أُقُرٍ وَعَن تربُّعِهِ من بَعْد إِصْفَارِ
وَقُلْتُ ياقومُ إنَّ الليثَ مُنْقَبِضٌ على بَرَاتِنِه ذُو الْعدوة الَضّارِى

وفي معجم(٢) ياقوت عن نصر أن «أقراً» ماءٌ في ديار غطفان قريب من أرض الشربَّة، وهذا الذي عناه امرؤ القيس قريب مُحَجَّر، قال ابن مقبل :

مِنّـا خَنَاذِيْـذُ فرسانٌ وَأَلْوِيَــةٌ وكلُّ سَائِمَةٍ من سارح عَكَرِ
وثروةٌ من رجال لَوْ رَأَيْتَهُمُ لقلتَ إِحْدَىٰ حِراج الجَرِّ من أُقُرِ

---

(١) قلت وبنو نبهان اليوم من عداد قبيلة القشم العربية المنتشرة في العراق والكويت والسعودية والأردن ومصر وسوريا ولبنان.

(٢) المعجم ١ / ٣١٠.

وقال الشاعر[١] :

تَوَزَّعَنا فقيــرَ ميــاه أُقــرٍ لكـلِّ بَنِـى أبٍ مِنّـا فَقِيْـرُ
فَحِصَّةُ بَعْضِنَا خَمْسٌ وَسِتٌّ وَحِصَّةُ بَعْضِنَـا مِنْهُـنَّ بِيْــرُ

وقال المخبل بن شرحبيل البكري في بني زهيرة. وقد منعوا سعد بن مسعود المازني من التعدي في صدقات بكر وكان يليها :

فدىً لِبَني زهيـرة يوم أُقْـرٍ وَقَد خَذَلُوا بِهَا أَهْلِي وَمَالِي
فهم مَنَعوا مظالَم آل بَكْرٍ وَقَد وَرَدُوا بها قَبْلَ السؤَالِ

وأنا لا أعلم «أقر» بهذا الاسم اليوم في نجد، والذي يظهر لي أنه في بلاد غطفان، وقد تغير اسمه، لأن محجراً مجاور لبلاد غطفان ما بينهما إلا الكثيب الذي يدعى «عريق الدسم».

قلت : أقر ـــ بضم أوله وثانيه وبالراء[٢] ـــ: جبل لبني مرة، وذو أقر واد إلى جنب هذا الجبل، وهو واد نجل واسع، مملوء حمضا، كان حماه عمرو بن الحارث الغسّاني، فتربعته بنو ذبيان فأوقع بهم هناك قال النابغة الذبياني.

(لقد نهيْتُ بني ذُبْيَانَ عن أُقُرٍ) (البيتين)

وقال ابنُ مُقْبِلٍ :

وثروةٍ من رجالٍ لَوْ رَأَيْتَهم لَقُلْتَ إحدىٰ حَرَاجِ الجرّ مِنْ أُقُرِ

(١) أقر في هذين البيتين والبيتين بعدهما بضم الهمزة وسكون القاف، وهو فيما قبل ذلك بضم الهمزة والقاف جميعاً، ويظهر من مراجعة ياقوت أنهما يطلقان على شيءٍ واحدٍ وَإِنْ كان ياقوت قد أفرد كل واحد بترجمة، وعلى هذا يكون اسكان القاف للتخفيف، وذلك من سنن العرب في كلامها.

(٢) «معجم ماستعجم» و «معجم البلدان».

وهو من عدنة :

وقال البكرى[1] : (البنانة ــ بضم أوله وفتح ثانيه بعده نون أخرى على وزن فعالة ــ موضع فيما يلى أُقُر. قال النابغة :

أرى البُنَانة أقْوَتْ بَعْدَ سَاكِنِهَا   فَذُو سدَيْرٍ، فَأقْوَتْ مِنْهُمْ أُقُرُ

وقال حكم الخضري المحاربي يهجو ابن ميادة :

فرّ ابنُ ميّادَةَ الرّقطاء من حَكَم   بالصّغر مثلَ فرَارِ الأَعْقَد الدَّهِمِ
أصْبَحْت في أقُرُ تَعْلُو أطَاولَهُ   تفرُّ منّى، وقَدَ أصْبَحتَ بالرَّقَمِ

وقال ياقوت : (قال نصر : أقر ماء في ديار غطفان قريب من أرض الشربة وقيل : جبل، وقيل : جبال أعلاها لبني مرة بن كعب وأسفلها لفزارة) ــ ثم أورد عن الأزهري قوله : ماء في ديار غطفان قريب من أرض الشربة وأنشد :

توزّعنا فقيرَ مِيَاه أقُرُ   لكلِّ بَنِى أبٍ مِنّا فقيرُ
فَحصَّةُ بَعْضِنَا خَمْس وَسِتٌّ   وَحِصَّةُ بَعْضِنَا مِنهُنَّ بِيْرُ

وقد مرّ ذكرهما.

ويتضح مما ذكره المتقدمون عن أقر أن الاسم يطلق أيضاً على مواضع :

(١) موضع بين البصرة والكوفة، فقد نقل ياقوت[2] عن كتاب «العزيزي» لأبي الحسن المهلبى بين الأخاديد وأقر ثلاثون ميلاً، بين أقر وبين السلمان ثلاثون ميلا وهذا شرق السلمان الواقع داخل الحدود العراقية (بقرب خط الطول ٤٤/٣٢ وخط العرض ٣٠/٣٠) وهذا هو الذي يرد

(١) «معجم مااستعجم» ــ البنانة.
(٢) «الأغاني» : ٢ /٩٧.

ذكره في أخبار بكر بن وائل وأشعارهم لوقوعه في بلادهم ولا شأن لنا بذكره، إذ هو داخل الحدود العراقية.

(٢) جبل يقع في ديار غطفان لبنى مرة منهم، وهذا يقع في عدنة، الأرض الواقعة شمال وادى الرمة وشرق الحرة، ويظهر أن الجبل منها، وأنه ذو حراج ـــ جمع حرجة ـــ وهو الشجر الملتف ـــ في أسفله إذ الجر هو سفح الجبل، وقد يكون المقصود الوادي الذي أسفل هذا الجبل، ويفهم من شعر الحكم الخضري أنه عال، بل سلسلة جبال أعلاها لبني مرة من غطفان كما نقل ياقوت.

(٣) أقر واد واسع فيه آبار كثيرة واقع بقرب ذلك الجبل، نباته الحمض وهذا لا ينبت إلا في الأرض السبخة، المالحة التربة، وتكون مياه آبارها غالباً ـــ مرة، وأكثر مياه عدنة مرة. وهذا الوادي ـــ إن كان في بلاد غطفان إلا أنه في موقع يسهل لغيرهم حلوله. كما فعل النعمان بن الحارث، وكما فعلت بنو ذبيان.

وعلى ما تقدم فإن أقر ينبغي أن يكون من جبال الحرة ـــ حرة فدك ـــ الشرقية، وأن واديه أحد أودية الحرة التي تنحدر منها مشرقة، فتفيض في وادي الرمة. يبقى القول في أمور :

١ ـــ ضبط الاسم فياقوت غاير بين ما قافه ساكنة، وما قافه مضمومة (أقر) و (أقر) وأرى أن إسكان القاف لتسهيل النطق لئلا تتوالى ثلاث حركات، وأنه يجوز الوجهان.

٢ ـــ قول نصر والأزهري أنه قريب من الشربة، لا يتنافى مع كونه في عدنه، فالفاصل بين الموضعين هو مجرى وادي الرمة، وكما أشرت سابقاً إلى أنه ينبغى أن يكون من روافد هذا الوادي ـــ أضيف بأن هذا يؤيده قربه من البنانة التي هي في أعلىٰ بلاد بني أسد شمال الوادي والبنانة لا تزال

معروفة (انظر هذا الاسم)، ويؤيده أيضاً قربه من الشربة، وقربه من بلاد بنى ذبيان الممتدة إلى جنوب الوادى في الشربة، وأميل إلى أنه الوادى الذي يقع فيه الحليفتان فكل الأوصاف المتقدمة تنطبق عليه.

٣ ــ قول ياقوت : لبني مرة بن كعب، أراه سبق قلم، فهو لبني مرة القبيلة الغطفانية وأبوهم عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، أما مرة ابن كعب فمن قريش، وبلادهم في تهامة.



٤٠ ــ وقال امرؤ القيس :

أُغَادِى الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وَفَرْتَنَى ... وَلِيْداً وهَلَ أَفْنَىٰ شَبَابِىَ غَيْرُ هِرّ
إذا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ ... مُعَتَّقَةٍ مما تَجِىءُ به التُّجُرْ
كَنَاعِمَتَيْنِ مِنْ ظِبَاء تَبَالَةٍ ... لَدَى جُؤْذُرَيْنِ أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ

تبالة «تَبَالَة» وادٍ(١) مجاور لوادي بيْشَة ينصب من جهة الغرب إلى جهة

(١) وفروع تبالة واقعة في بلاد دوس، وفيها «ذو الخلصة» الصنم المشهور في الجاهلية لدوس وخثعم وبجيلة ومن والاهم من العرب، وقد أطال الكلام عليه أهل التاريخ والسير، قالوا : انه لما قتل حجر والد امرىء القيس الشاعر، قتلته بنو أسد، واستجار ملكاً من ملوك اليمن يقال له مرثد الخير بن ذي جدن الحميري وأمده بجيش، ومر بطريقه على ذي الخلصة فاستقسم عنده بأقداحه وهي ثلاثة : الآمر، والناهي،والمتربص، فخرج له الناهي، فجمع القداح وكسرها وضرب بها وجهه ثم قال :

لو كُنْتَ ياذا الخلص الموتُورا ... مثلي وكان شيخُكَ المَقْبُورا
* لم تنه عن قتل العداة زُورا *

فلما أظهر الله تعالى الإسلام بعث رسوله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي، وأحرقها وقاتلته عند ذلك خثعم، فقتلهم وهزمهم وتم احراق الصنم وجرير هو الذي يقول فيه الشاعر :

لولا جرير هلكت بَجِيْلَةْ ... نِعْم اَلفَتَى وَبِئْسَتِ اِلْقَبِيْلَةْ

الشرق، بأعلاه قصور ومزارع، وأسفله مرعى للبوادي تقع قريب بيشة على شاطيء بيشة الشمالي، وينصبُّ سيلهُا في أسفل وادي بيشة. وكان وادى تبالة في الزمن القديم لبني مازن، قال عمرو بن معد يكرب :

أأغْزُو رِجَــالَ بَنِــى مازِنٍ ... بِبَطْــنِ تَبَالــة أَمْ أَرْقُــدُ؟

وهي التي يضرب بها المثل فيقال «أهون من تبالة على الحجاج» سميت بتَبالة بن جناب ابن منكف من بنى عِمْليق، قال لبيد :

فَالضَّيْفُ والجارُ الجَنِيْبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أهْضَامُهَا

وقال القَتَّالُ الكلابيُّ :

وَمَــا مُغْــزل تَرْعَــىٰ بأرضِ تَبَالَــةٍ
أراكــا وسِدْراً نَاعِمَــاً مَاَ يَنالُهَــا

وَتَرِعَــىٰ بهــا الْبَرْدَيْــنِ ثمّ مقيلُهَــا
غياطــلُ ملتفــاً عليهــا ظِلالُهَــا

بِأَحْسَنَ من ليلــىٰ، وَلَيْلَــىَ بشبهها
إِذَا هُتِــكَتْ في يَوْمِ عيــدٍ حِجَالُهَــا

وتَبَالة : باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا على شاطىء بيْشَة الشمالى.

قلت : وكتب حمد الجاسر عن تبالة يقول : واد فيه قرى وفيه مركز، يلحق به قرى ومناهل للبادية، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير(١).

هكر

وأما هكر فقد قال في معجم البلدان(٢) عن الأزهرى : هو موضع أراه

(١) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي (معجم مختصر) القسم الأول ص /٣١٣.
(٢) المعجم ٨ /٤٦٩ والذي في ياقوت أن رواية الأزهري في موضع يقال له «هكر» بفتح فكسر، وأنشد عليه أبيات امرىء القيس، ورواية ابن الأعرابي في موضع يقال له =

روميا، وقال في رواية أخرى عن ابن الأعرابي : مدينة لمالك بن سقار بن مذحج، وهو حصن باليمن من أعمال ذمار، وأنا لا أعلم في نجد موضعاً بهذا الاسم إلا موضعا يقال له هكران[1] : قريب الموية المعروف.

٤١ ــ وقال امرؤ القيس والحارث بن التوأم اليشكري، وَكُلٌّ يجيز لصاحبه :

أحَارِ تَرَىٰ بُرَيْقَاً هَبَّ وَهْنَاً　　كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا؟

إلى أن قالا :

فَلَمّا أنْ عَلَا كَنَفَيْ أُضَاخٍ　　وَهَتْ أعْجَازُ رِيِّقِهِ فَحَارَا

فَلَمْ يَتْرُك بِذَاتِ السّر ظَبْيَاً　　وَلَم يَتْرُك بِقَاعَتِه حِمَارَا

أضاخ　أضاخ والسّر : باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم[2] وعند أضَاخ وجدت نَعْلاَ شرحبيل بن الأسود الذي قتله الحارث بن ظالم فأحمى لهم الأسود الصفا الذي عند أضاخ، وقال: إني أحذيكم نعالاً من هذا الصفا الذي يتوقد، فأمشاهم عليها، فتساقطت أقدامهم قال شاعر من كندة :

على عَهْدِ كِسْرىَ نَعَّلتكم ملوكُنا　　صَفَاً من أُضاخٍ حَامِيَاً يَتلهَّبُ

وقال في معجم ما استعجم أيضاً عن ابن قتيبة : قال الأصمعي : وُجِدَ بِدِمَشْقَ حجر مكتوب فيه : هذا من ضِلَع أضاخ، وقال الجعدى :

تَوَاعَدْنَا أضاخُهَم صَبَاحَاً　　وَمَنْعَجهُمْ بِأحْيَاءِ غِضَابِ

= «هكرا» بفتح فسكون، ويقال بفتح فكسر، والذي يظهر لنا أن سكون الكاف عند من يرويه بفتح فسكون أصله للتخفيف على ما هو سنن العرب، فظنوه موضعاً آخر.

(١) ذكر ياقوت هكران، وقال عن عرام «هو جبل بحذاء مران» وهذا صحيح.

(٢) معجم ما استعجم ١/١٦٤.

وذكره صاحب معجم البلدان، وأطال عليه، قال في معجم[1] البلدان عن الأصمعي : ومن مياههم الرُّسَيس، ثم الأراطة، وبينها وبين أضَاخ ليلة وأضاخ سوق وبها بناء وجماعة ناس، وهي معدن البُرَم، وأضاخ على هذا الاسم إلى يومنا هذا، وبه تصنع البرم إلى هذا العهد، وهو واقع بين نفي وبين الشقيقة.

أما السّر : فهو كثيب مُرْتَكِمٌ بين اليمامة والشرف : طَرَفُه الجنوبى محاذٍ من اليمامة فروعَ نساح من الجهة الغربية، وعنده ماء يقال له دلقان، وطَرَفُه الشمالي يختلط بأكثبة عظيمة وتندفع شمالاً إلى قريب الجوف الذي كان يقال له في الزمن القديم «دومة الجندل» واسم «السر» يطلق على ما كان من حد القصيم الجنوبي، والمياه التي تلي النفود غرباً يقال لها « مياه السر» وحدُّها الشمالى المربَّع والعمار، وحدها الجنوبي الأنجل ودلقان. السر

قال جرير :

اسْتَقْبَلَ الْحَيُّ بَطْنَ السّر أمْ عَسَفُوا فَالْقَلْبُ فيهم رهينٌ أيْنَمَا انْصَرَفُوا

وقال ضرار بنُ الأزور رضي الله عنه :

وَنحْنَ مَنَعْنَا كُلَّ مَنْبَتِ تَلْعة من النّاس إلّا مَنْ رَعَاهَا مُجَاوِرَا
من السّرِ والسّراءِ والحَزنِ والمَلَا وَكـنَّ مَخنَّـاتٍ لَنَـا وَمَصَائِـراً[2]

وقد نص ياقوت على أن السر والسراء بنجد في بلاد بني أسد. فأما السر المشهور الذي قال فيه امرؤ القيس والحارث «ولم يترك بجَلْهَتِهَا حمارا» فهو السر المعروف بهذا الاسم والذي هو أكثبة متراكمة تَقْطَعُهُمَا

(١) معجم البلدان ١ /٢٧٩.
(٢) المخنات : الساحات (ياقوت ٥ /٥٧).

السيارات المتوجهة من مكة إلى الرياض الواقع بين وادي خف وبين مراة.

وقد وردت فيه شواهد كثيرة من الأشعار والأخبار، وأما السرة والسرر والسرار : فهي مواضع معروفة، فالسرة في نجد، وسرار في بلاد بني أسد وسرر: في تهامة.

قلت: في السرر قال ياقوت : قال نصر : (السرر واد يدفع من اليمامة إلى أرض حضرموت) .ا.هـ .

قلت : وقال عبد الله بن خميس في معجم اليمامة[1] تعليقاً على قول ياقوت : (قلت: أننا لا نعرف هذا الوادى الآن .. والمعروف أن الربع الخالي برماله العظيمة المتداخلة، ومساحته العظيمة تقع بين اليمامة) و(حضرموت) .. فكيف يخترق هذا الوادى هذه المنطقة، التي هي بحر من رمل ؟! .. أستبعد هذا جداً).

وجنبات السر المذكورة الغربية كثيرة المياه، فيها أعين جارية، وفيها آبار كثيرة الماء قريبة المنزع، وقد ذكرنا أنه واقع بين اليمامة والشرف، وفيه نخيل كثيرة.

★ ★ ★

٤٢ ــ وقال امرؤ القيس في قصيدة مطلعها :

دِيْمَـةٌ هَطْـلَاءَ فِيْهَـا وَطَـفٌ طَبَـقُ الأَرْضِ تَحَـرَّىٰ وَتَـدُرَّ

إلى أن قال:

ثَجّ حتّى ضاقَ عَنْ آذِيِّـهِ عَرْضُ خَيْـمٍ فَخُفَـافٌ فَيُسُرْ

(١) ج ٢ /٢٣.

أما «خيم» فقد ذكر في معجم[1] البلدان خَيْمَاء، وذكر أنه ماء لبني أسد، وذكر أيضاً : خِيمَاً بوزن قِيَم وقال : أنه اسم جبل بعَمَايتين، وأنشد لابن مقبل. خيم

★ حَتَّى تَنَوَّر بالزَّوْراءِ مِنْ خِيَمِ ★

وهذا غلط : وانما خِيَم ماء في شعب في جبال الحصاء الذي يقال لها اليوم «الحصاة» وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو الذي عناه المرقش الأكبر بقوله :

هَلْ تَعْرِفُ الدّار بِجَنْبَىْ خيمٍ   غَيَّرهَا بَعْدَك صَوْبُ الدِّيَمِ

وقال في معجم[1] البلدان : خَيْم : بوزن غَيْم جبل، عن الغورى.
وقال الحازمي : ذات خَيْم : موضع بين المدينة وبلاد غطفان، ثم قال صاحب المعجم[1] : وذات الخِيَم من بلاد مهرة بأقصى اليمن.

أما التي عناها امرؤ القيس في شعره فهي معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، واقعة على وادي الرمة في جانبه الشمالي، يقال لها «الَخيْمة» اليوم لبياضها، وهي : جُبَيل صغير غربيَّ أبانَين في جهة الشمال.

قلت : وقد ذكر حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي المختصر ثلاث مناطق باسم خيم، هي :

خيم : بكسر الخاء وفتح المثناة التحتية وآخره ميم : واد ذو قرى زراعية لقبيلة قحطان بمنطقة الحصاة في أمارة القويعية.

خيم : من مناهل البادية، في منطقة القويعية، في إمارة الرياض، ثم ذكر

(١) معجم البلدان ٣ /٥٠١ ولكل واحد من هذه الالفاظ ضبط يخالف ضبط الآخر، عند ياقوت.

الخيمة: من قرى قريش في بجيلة، من بلاد بني مالك، في امارة الطائف وذكر الخيمة هجرة في منطقة رابغ من امارة مكة[١].

قال في معجم[٢] البلدان : وعندها ماء يقال لها الغبارة، ولا أعلم في تلك الناحية ماء بهذا الاسم، الا ماء يقال لها العجاجة.

وقال بعض الأعراب :

خيرُ اللّيَالِي إنْ سَألْتَ بَليْلَةٍ ... ليلٌ بِخَيْمَةَ بَيْنَ بَيْشَ وَعَثَّرِ
بضجيع آنِسَةٍ كأنَّ حَدِيْثَهَا ... شَهْدٌ يُشَابُ بِمَزْجَةٍ من عَنْبَرِ
وضجيع لاهيةٍ أُلَاعِبُ مِثْلَهَا ... بيضاءَ وَاضِحَةٍ كظيط المِئْزَرِ
وَلَأَنْتِ مِثْلُهُمَا وَخَيْرٌ مِنْهُمَا ... بعد الرَّقَادِ وَقبْل أنْ لَمْ تُسْحِرِ

خفاف — وأما «خُفَاف» فقد قال في معجم[٣] البلدان : بضم أوله وفاءين — وهو من مياه عمرو بن كلاب، وأنا لا أعلم اليوم في نجد ماء بهذا الاسم وثمة خف وخفيف، وهما واقعان في طريق السيارات المجاورة لنفود السر في بطن الوادي الذي ينصب من وادي حميان والتسرير والدوادمي، وتسلك مع القرنة التي تسلكها السيارات اليوم في صفراء السر، فتنحدر السيول وتمر بخفيف، ثم بخف وتندفع إلى رياض السر، وتجتمع في روضة يقال لها مطربة، وكان وادي خف[٤] لبني نُمَير في الزمن القديم، قال الراعي النميري :

---

(١) القسم الأول /٥٥٣.

(٢) معجم ٣ /٥٠٢ وذكر ذلك في «الخيمة» قال نقلا عن الأصمعي «وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين وبينها وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماءة يقال لها الغبارة، لبنى عبس».

(٣) المعجم ٣ /٤٥١

(٤) قلت لعلها خفاف، لانها جاءت في بيت الراعي خفاف.

رَعَتْ مِنْ خِفَاف حَيْثُ نَقَّ عُبَابُه   وحلّ الروايا كلَّ أسْحَمَ مَاطِرِ

والمجاور لخف من قرى السر المعروفة : بلد البرود، وشرقة، وسنادات، وعسيلة هجرة الحفاة من الروقة، وساجر هجرة الحناتيش منَ الروقة، وأما وادي خف فهو يُعَد من أودية السر، وخف وخفيف تعد من مياهه.

يسر

وأما يُسُر[١] فلا أعلم في نجد ماءً بهذا الاسم، إلّا أنَّ المتقدمين ذكروا في كتب المعاجم[٢] نقبا في الأرض يمسك الماء لبني يربوع، وذكروا أنه واقع في الدهناء أو قريباً منها، قال طرفة بن العبد :

أرّقَ العَيْنَ خيالٌ لَمْ يقرْ   طافَ والرّكْبُ بصحراءِ يُسُرْ
جَازت الْبِيْدَ إلىٰ أرْحُلنَا   آخرَ الليلِ بِيَعْفُورٍ خَدِرْ
ثُمَّ زارتْنِي وَصَحْبِي هُجَّعٌ   في خَلِيْطَين لبُرد وَنِمرْ
لا تَلُمْنِي إنَّها مِنْ نِسْوَةٍ   رُقُدِ الصَّيْفِ مَقَاليْتَ نُزُرْ

وقال جرير :

لما أتَيْنَ على خطّابَتَيْ يُسُر   أبدىٰ الهوىٰ من ضمير الْقَلْب مَكْنُونَا
فشبهُ القوم أطلالاً بأسنمةٍ   ريشُ الحمام فزدْنَ القلبَ تَحْزِيْنَا
دَارٌ يجددها هطالُ مُدْجِنة   بالقَطْر حِيْناً وَتَمْحُوهَا الصَّبا حيْنَا

والتحديد المذكور في كلامهم يفيد أنه واقع في القطعة الشرقية من نجد : قلت وذكر حمد الجاسر في المعجم الجغرافي اليسر : من قرى محايل في إمارة بلاد عسير[٣].

---

(١) لعله الماء الذي يقال له «الأيسرى» الواقع شرقي نفوذ سبيع. وقد اختلف في ملكيته بين سبيع وقبيلة المقطة فبعد منازعات طويلة جرت بينهم رأى جلالة الملك عبدالعزيز أن يدفن وينقطع النزاع، فدفن وعمى خبره وسبب النزاع طيب فلاته للابل وترغبه البوادي. المصنف.

(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٥٠٨.

(٣) المعجم المختصر القسم الثالث /١٥٥٥.

٤٣ — وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

أَرَىٰ نَاقَةَ الْقَنَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلى الْأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا
رَأَتْ هَلَكاً بِنِجَافِ الْغَبِيطِ فَكَادَتْ تَجُذّ لِذَاكَ الْهِجَارَا

نجاف الغبيط زعم كثير من الشراح أن «نجاف الغبيط» حبل يشد به الرحل، وليس بشيء، وإنما «نجاف الغبيط» الذي ذكره امرؤ القيس هنا موضع، كقوله في المعلقة :

* **وَأَلْقَىٰ بِصَحْرَاء الغَبِيْطِ بَعَاعَه** *

وأما الْغَبِيط فقد تقدم الكلام[1] عليه وبينا أنه واقع في بلاد غطفان، وقال في معجم[2] البلدان : النجفة : رملة فيها نخل في شرقي الحاجر بالقرب منه، والحاجر: ماء معلوم بهذا الاسم إلى يومنا هذا قريب النقرة، وهو واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان، ولا شك أن « نجاف الغبيط» موضع غير أني لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

★ ★ ★

٤٤ — قال امرؤ القيس :

عَفَا شَطَبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَغُرُور فَمَرْبُولَـةٌ إنّ الديـارَ تَدُورُ
فَجَزْع مُحَيَّاةٍ كأنْ لَمْ تَقُمْ بِهَا سَلَامَةُ حَوْلاً كامِلاً وَقَـذُورُ

شطب قد غلط كثير من الشراح في ذكر شَطَب إذ زعموا أنه جبل في بلاد بني أسد، وأنا أقول : لا نعلم أن في بلاد بنى أسد جبلاً يقال له شَطَب، غير أن الذي عناه امرؤ القيس جبل منقطع من ثهلان كأنه منه بلونه

(١) انظر ص ٦٩ من هذا الكتاب في الكلام على البيت رقم ١٣.
(٢) معجم البلدان ٨ /٢٦٧.

وشعابه وطوله، وبينه وبين ثهلان قطعة من الصحراء يمشي فيها السائر على أقدامه أقل من الساعة، ومازال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو يعد من جبال بنى نمير، كما أن ثهلان يعد من جبالهم، وقد قلبوا ثاء «ثهلان» ذالاً، فقالوا : ذهلان، قال بشر ابن أبى خازم:

سَائِل نُمَيْراً غداةَ النَّعْفِ من شَطَبٍ إذ فَضَّتِ الخَيْلُ من ثهلان إن رهقُوا

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

دَعَا معاشر فَاسْتَكَّتْ مسامِعُهُم يالهف نَفْسى لو تدعو بَنِى أسَدِ
لو هم حُمَاتُكَ بالحِمَى حُمِيْتَ، ولم يتركْ ليوم اقامَ الناسَ في كَبَدِ
كَمَا حَمَيْنَاك يوم النَّعْف من شَطَبٍ والقصدُ لِلْقَوْم مِن رِيْحٍ وَمِنْ عَدَدِ

وكأن منشأ خطأ الشراح أنهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدى فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد :

قال لبيد بن ربيعة العامري :

بِذِي شَطَبٍ أحْدَاجُهم إن تَحَمَّلُوا وَحَثَّ الحداةُ النّاجيَاتِ الذَّوَامِلَا

وقال عبيد بن الأبرص يصف سحاباً:

يَا مَنْ لِبَرقٍ أبِيْتُ الليلَ أرْقبُهُ في عَارِضٍ كمضِيءِ الصُّبْحِ لَمَّاحِ
دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهَ يكادُ يَدْفَعُه مَنْ قامَ بالرّاحِ
كأنّ رَيِّقَهُ لمّا عَلَا شَطَبَاً أقرابُ أبْلَقَ يَنْفِي الخَيْلَ رَمَّاحِ
فَمَن بِحَوْزَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ وَالْمستَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ

قال في معجم البلدان[١] على ذكر شَطَب، عن نصر : جبل في ديار بني نمير، وهو جانب ثهلان الشمالي، أما هذا التحديد : فقد أصاب فيه

(١) المعجم ٥ /٢٦٥.

كأنه يراه، وأما الروايات التي ذكرها قبل هذه الرواية والتي ذكرها غيره من أصحاب المعاجم، فقد أخطأت موضعه، وهو واقع في ظفت وادي الرشا الشرقية، وظفت: وادي الشعراء الغربية، وسيل الواديين يجتمع إذا خَلَّفت شطبا.

غرور أما غرور الذي ذكره امرؤ القيس : فهي ثنية تقع على طرف جبل دَمْخ الشمالي، فيها جُبَيلات سود صغار تقع هي في شماليها، ويُعَدُّ غرور من دمخ، قال في معجم البلدان[1]: غرور جبل بدَمْخ في ديار عمرو بن كلاب، وقد أصاب في قوله : بدمخ، قال السري بن حاتم :

تَلَبَّثَ عن بهيّةَ حَادِيَاهَا قليلاً ثُمَّ قَامَا يَحْدُوَانِ
كَأنَّهمَا وَقَدَ طَلَعَا غُرُوراً جناحَا طائرٍ يَتَقَلَّبَانِ

وغرور أيضاً: ثنية باليمامة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال في معجم البلدان[2]، وغرور أيضاً: ثنية باليمامة وهي ثنية الأحيسى ومنها طلع خالد بن الوليد رضي الله عنه في غزوته إلى مسيلمة، والأحيسي هو المسمى «وادي الحيسية» اليوم، وشَطَب معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وغرور أيضاً الواقع في اليمامة: معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا[3].

محياة أما «مُحياة» فهو جبل منقطع من أبان في جهته الجنوبية مما يلي

(١، ٢)المعجم ٦ /٢٨١.

(٣) يروى أن سبب تسميتها بذلك أن خالداً رضى الله عنه جعل كميناً لجيشه، وأمرهم إذا التحم الصفان أن يأتوا عدوهم من هذه الثنية ويقطعوا عليهم خط الرجعة، فكان سبب انتصارهم بعد أن انكشف المسلمون وتذامرت بنو حنيفة، فهنا قالوا «غريتنا ياغرور» أهـ، قال المصنف : اني أعرف هذه الثنية وأعرف موضع المعركة التي دارت بين بني حنيفة وخالد بن الوليد رحمه الله، يبعد بعضها عن بعض مسافة نصف يوم تقريباً، إلا إن كانت بنو حنيفة زاحفة إلى طريق خالد، لأن الحرب امتد أياماً، ولكن المعركة الحاسمة في عقرباء، وعقرباء معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والمسافة الواقعة بين عقرباء وثنية غرور أكثر من نصف يوم.

مطلع الشمس، جبيل صغير يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، وذلك أنهم يقولون له «محيّوة» قال الراعي:

وَنكَّبْنَ زُوْرَا عن مُحَياة بَعْدَمَا بَدَا الأَثْلَ أثلُ الغينَةِ المتجَاوِرُ

قال في معجم البلدان[1] على ذكر محياة : وهى ماءة لأهل النبهانية، وهذا صحيح أقرب ما يكون لمُحَياة التي يقال لها اليوم «محيوة» من القرى المعمورة قرية النبهانية الواقعة في شرق أبان، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم «محيوة» وبلغنى أن عندها وادياً كثير المياه بعثه أناس من حرب، ولا يبعد أن تكون عيوناً جارية أو تشرع غرستها في الماء، كما شرعت في جبل سواج وفي جبل غول في هذا العهد الأخير.

فأما الأثل الذي ذكره الراعى في قوله * بدا الأثل أثل الغينة المتجاور * فإن هناك واديين لا يبعدان عن «محيوة» يقال لأحدهما «الذيبية» وللآخر «الدليمية» فيها أثل وطرفاء كثير، ويراها الذي غادر « محيوة» متجهاً شمالاً، ومياههما قريبة كأنها عين، وقد عمرها أناس من حرب واستوطنوها، وهي عامرة اليوم.

★ ★ ★

٤٥ ـــ وقال امرؤ القيس لما اشتد به مرضه وهو في بلاد الروم:

أَلِمَّا عَلَىٰ الرَّبْعِ الْقَدِيْم بِعَسْعَسَا كَأَنِّى أُنادِى أَوْ أُكلِّمُ أَخْرَسَا
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّار فِيهَا كَعَهْدِنَا وَجَدْتُ مَقِيْلاً عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسَا
فَلَا تُنْكِرُونِى إِنَّنِى أَنَا ذَاكُمُ لَيَالِىَ حَلَّ الحُى غَوْلاً فَأَلْعَسَا

عَسْعس : جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، واقع من ضَرِية في عسعس

(١) المعجم ٧ /٤٠١.

الجهة الجنوبية، ويليه جبل بينه وبين ضرية يقال له «وسط» وهذا اسمه في الجاهلية، وله دارة يقال لها «دارة وسط» ووسط هذا : في بلاد جعفر ابن كلاب، على مسافة أقل من نصف يوم من ضرية في جهتها الجنوبية الغربية، فإذا كنت عند باب ضَرِية فانظر إلى سُهَيِل فإنك تجده فوق عسعس وتجد وسطا في النصف بين ضرية وعسعس.

قال الشاعر:

دعوتُ الله إن شقيت عِيَالِي ليرزُقَنـي لِذي وسَطٍ طَعَامَـا
فأعطانـي ضريـةَ خيـرَ أرْضٍ تَمُجُّ اَلمـاءَ وَالْـحَبَّ التَّوَامَـا

ولعسعس دارة يقال لها «دارة عسعس» وقد أكثرت الشعراء من ذكره، قال بشر ابن أبي خازم :

لِمَنْ دِمْنَةٌ عَادِيَّةٌ لَمْ تؤنَّس بسِقْطِ اللّوىٰ بين الكثيبِ فَعَسْعَس

لقد صدق قوله «بسقط اللوى» فإن هناك قريب عَسعس «عريق الدسم» وهو سقط اللوى، وعريق الدسم : كثيبٌ يقف أمام عسعس في جهة الغرب، ويمتد إلى جهة الشمال يباري شُعَبَىَ تاركَهَا عن يمينه ويقف في جهة وادي الرمة. وقد ذكرنا أنك إذا كنت واقفا عند باب ضَرِية ونظرت إلى الجهة الجنوبية منها رأيت عسعسا ووسطا، ونزيدك هنا أن عسعسا جبل رفيع عن الأرض ليس بالكبير أسود تلابسه شقرة، أما وسط فهو جبل أسود نازل للأرض ليس بالرفيع، ذكروا أن رباحا الصانع(١) من سكان ضَرية، وأنا أعرفه، اختصم هو وزوجته بنت عثمان المزيني(٢)، فلما اشتد اللجاج

---

(١) يطلق لفظ الصانع عند عامة أهل نجد على الذي يصنع الحديد والنحاس،فأما صناعته في النحاس فإنه يصنع منه القدور والجفان والأواني الصغار ويصنع من الحديد حذاء الخيل والمسامير والمساحي والمحاش التي يعضد بها الشجر وغيره.

(٢) المزيني : رجل نجار، والنجار عند أهل نجد : الذي يشتغل في الأخشاب كالأبواب على جميع أنواعها والمحال والدراج التي يستعملها الفلاحون، وجميع مايوضع على ظهور الابل من الأحداج كالأشدة والمسام والهوادج، ولايقوم بهاتين الصناعتين عند أهل نجد الا الموالي.

بينهما قالت: طلقنى، فخرج عند باب ضَرية وقال: يا أهل ضرية اشهدوا أن زوجتي بنت عثمان المزيني طالق عدد مافي مزارع ضرية من الخباز[1] ثم التفت وراء جبل عسعس وجبل وسط، وقال : اشَهْدًا علي ياجبلَ عسعس وياوَسَط أني طلقت، وأهل ضرية أهل كذبٍ، أخشى أن يجحدوا الشهادة.

غول

وأما غَوْل : فقد مررنا على ذكره، وهو جبل أحمر فيه ماء، ذكره لبيد ابن ربيعة في معلقته[2] وهو معروف في الجاهلية بهذا الاسم، ولا يزال معروفاً به إلى يومنا هذا، وكانت به وقعة لضبة على بني كلاب.

قال أوس بن غلفاء :

وقَدْ قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْم غَوْلٍ ... تَقَطَّع يابنَ غلفاءَ الحبالُ

وقال أعرابى :

أَلَا لَيْتَ شِعَرِي هل تَغَيَّر بَعْدَنا ... معارف ما بين اللِّوى فَأَبَانِ
وهل بَرَحَ الرَّيَانُ بَعْدِى مَكَانَهُ ... وَغُوْلٌ؟ وَمَن يَبْقَىٰ على الحَدَثَانِ؟!..

والريان باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو واد بين غول وطَخْفَةَ، وغَوْل هذا : هو الذي قتل فيه جَثَّامة بن عمرو بن مُحَلمِّ الشيباني، قتله أبو شملة طريف بن تميم التميمي في الجاهلية، وفي ذلك يقول شاعرهم :

---

(١) الخباز : هو نبات معروف عند جميع أهل نجد ينبت أيام الربيع، ويكثر في مزارع القرى، وهو نوع من العشب أخضر، ورقه قدر الدرهم، ليس بالرفيع عن الأرض، وهو نوع من الخضار عند أهل بعض البلاد العربية.

(٢) قلت هذا في مطلع معلقته، وهو قوله :

عفت الديار : محلها، فمقامها
بمنى، تأبد غولها، فرجامها

أَجَثَّامَ مَا أَلْفَيْتَنِي إذ لَقِيْتَنِى هَجِيْناً وَلَا غَمْرا من الْقَوْمِ أَعْزَلَا
تَذَكَّرْتَ ما بَيْنَ النَّجاء فَلَمْ تجد لنفْسِك عَن وِرْدِ المنيَّةِ مَزْحَلَا

وغول وشعب القد، وطخفة، والبكرات ومنى التي يقال لها اليوم «منية» هضباتُهَا حمر كأنها مطلية بذهب، بخلاف الهضبات التي تقع منها جنوباً وشرقاً فإنها سود كأنها غربان كحليت وكبشان هضابه التي تليه.

ألعس وأما الْعسَ : فقد قال صاحب معجم(١) البلدان : هو اسم جَبلٍ في بلاد بني عامر بن صَعْصعة والجبال التي ذكرت معه في أبيات الشعر واقعة في بلاد بني عامر بن صَعْصعة، غير أني لا أعرفه اليوم بهذا الاسم.

★ ★ ★

٤٦ ـــ وقال امرؤ القيس :

كَأنّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ بِشُرْبَةِ أَوْ طَاوٍ بِعِرْنَانَ مُوْجِسِ
تَعَشّىٰ قَلِيْلاً ثُمَّ أَنْحَىٰ ظُلُوفَهُ يُثِيْرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيْتٍ وَمَكْنِسِ

شربة أما شربة وعرنان فهما باقيان بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا، إلا أن شربة استعاضت من الباء ميماً فسميت «شرمة» وهي مجاورة لعرنين، ليست بعيدة عنه، تقع من الخال المجاور للدفينة على مسافة نصف يوم مما يلى مطلع الشمس، قال رجل من غامد :

وَطيِّبَ نَفْسي أسرةٌ غَامِديَّـةٌ أَطَابُوا شفاءَ يوم شَرْبَة مَقْنَعاً
شَفَوْنِى وَأَرْضَوني وَأَمْسِيْتُ نَائِمَاً وكنْتُ قليلاً في الْأَيائِم مَضْجَعَا

عرنان وعرنان هذا جبيل صغير يقع بين الأكموم وجبل هكران الواقع عن بلد المويه المحطة المعروفة في الطريق من مكة إلى الرياض جنوباً، وهو

(١) المعجم ١ /٣٢٤.

معروف بكثرة الوحش، قال الشاعر[1] ـــ:

قُلْتُ لعلاق بعرنانَ : مائرَى؟ فما كادَ لي عَنْ ظَهْرِ واضحةٍ يُبْدِي

وقال بشر بن أبى خازم :

كأني وأقتادى على حَمْشة الشَّوَى بشَرْبة أوطَاوٍ بفَيْفَاء مُوجِسِ[2]
تَمكَّث شيئاً ثم أنْحَىٰ ظُلُوفه يُثِيرُ التُّرابَ عن مَبِيْتٍ وَمَكْنِسِ
أطاعَ له من جَوِّ عرنَيْنِ بَارِضٌ ونبذ خصال في الخمائِل مُخْلسِ

وقال القَتَّال الكَلَابِّى :

وَمَا مُغْزل من وَحْشِ عِرْنَانَ أتْلَعَتْ بسنتها أخْلَتْ عَلَيْهَا الأَوَاعِسُ

دفع التباس

تنبيه عن اشتباه يقع ـــ أما الموضع الذي ذكره امرؤ القيس مع عِرْنَانَ باسم شربة فغير «شرمة» بالميم التي هي هضبة في رأسها شرم، وقد ذكرها أوس بن حجر مع أبان وذلك في قوله :

تَثُوبُ عليهم من أبان وشُرْمَة وتركب من أهْلِ القِنَانِ وَتَفْزَعُ

فانظر في هذا البيت تجده قرن شرمة بأبان والقنان، أما أبان فهو واقع في وادي الرمة مما يلي القصيم، والقنان مجاور لسميراء واقع بين بلاد بني أسد وبين بلاد غطفان.

واليك شاهداً آخر :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ آخرَ الليْلِ دُوْنَهُ رِضَامٌ وَهَضْبٌ دُوْنَ رَمَان أفْيَحُ
بِحزنٍ شآم كلما قُلْتُ قد وَنَىٰ سَنَا والقرار الخضر في الدَّجْن جُنَّحُ
فَأضْحَىٰ له وبْلٌ بأكْنَاف شُرْمَة أجشُّ سِمَاكى من الوبل أفْصَحُ

---

(١) البيت لشبيب بن البرصاء المري.

(٢) رواية ياقوت (٦ /١٥٩) لهذا البيت «بحربة أوطاو بعسفان موجس» والفيفاء : البيداء البعيدة من الماء.

ذكر أن هذا البرق سَتَرَةُ وضامٌ وهضبٌ دون رمّان، ورمَّان : جبل معروف في شماليِّ بلاد بنى أسد مجاور لجبلَىْ طي أجأ وسَلْمَى، فأما ماذكره امرؤ القيس بلفظ «شربة» فهو المعروف اليوم بشرمة في أرض مستوية كما ذكرنا وهي بئر تردها العرب إلى هذا العهد.

قلت : وقد ذكر حمد الجاسر الشَّرِبَة، والشربة في كتابه المعجم الجغرافي المختصر[1]، فقال :

الشَّرِبَةُ .. من قرى بالأسمر، للعتبة من آل السُّعَيْدِي في جبل ضرم بتهامة في امارة بلاد عسير.

والشربة : من قرى قنا والبحر، بمنطقة إمارة عسير.

★ ★ ★

٤٧ ــ وقال امرؤ القيس بعد الأبيات المتقدمة وهو يصف ظبياً تطرده كلاب القنَّاص :

فَصبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً كِلَابُ ابنْ مُر أوْ كِلَابُ ابنْ سِنْبِسِ
مُغَرَّثَـةً زُرْقَـاً كأن عُيُونَهَـا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيْحَاءِ نَوَّارُ عَضْرَسِ
فَأدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَـامَ كَأنَّـهُ عَلَى الصَّمْد وَالآكَام جَذْوَةُ مُقْبِسِ
وَأيْقَنَ إنْ لَاقَيْنَـهُ أنَّ يَوْمَـهُ بِذِي الرِّمْثِ أوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أنْفُسِ

ذو الرمث

أما ذو الرمث فهو معلوم اليوم بهذا الاسم، الا أنه اختلف قليلاً فسمى «الرميثي» وهو : واد عظيم كثير الرمث يصب من جبل النير مُتَّجها إلى جهة الشمال، يقطعه السالكُ من عفيف إلى القاعية، وإذا سلك سيله طريق السيارات اتجه إلى جهة الشرق واجتمع بوادى غثة، ولم أر لغثاة المعروفة اليوم بهذا الاسم ذكراً، إلا ما ذكره صاحب معجم البلدان[2] قال

(١) القسم الثاني /٧٧٣.
(٢) المعجم ٦ /٢٦٨.

«غثَّ ماء لِغَني عن الأصمعي» وفي معجم البلدان عبارة أخرى أقرب من هذه قال «وقال أبو بكر ابن موسى : ذو غُثَث جبل بحمى ضَرِية تخرج السيول منه ومن نضاد» ا. هـ ، أما وادي غثة فهو يتجه إلى جهة الشرق، ويترك جبل نضاد على يمينه، ونضاد موجود بهذا الاسم إلى اليوم يقال له «النضادية»[1] وأما «الرميثي» الباقي بهذا الاسم فهو الذي ذكره امرؤ القيس باسم ذي الرمث سمي الرميثى لكثرة نبات الرمث فيه، والرمث : نوع من الحِمْض ترغَبه الإبل، قال دريد ابن الصمة يذكر هذا الوادي:

وَلَـوْلَا جُنُـونُ اللَيّـلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَـا
بذي الـرمث والْأَرْطَـى عيـاضَ بنَ نَاشِبِ

وقال لبيد بن ربيعة العامري وهو من أهل تلك الناحية :

بذى شطب أحْدَاجُها قد تَحَمَّلُوا وحثَّ الحداةُ الناجياتِ الذوامِلَا
بِذي الرَّمْثِ والطَّرْفَاءِ لمّا تَحمَّلوُا أصيلا وعالَيْنَ الحمولَ الحوافِلَا

وشطب : طرف ثهلان الشمالي، منفرد منه[2] والرميثي : يصب من طرف النير الشمالي والمسافة الواقعة بين ثهلان والنير أقل من يوم والمسافة الواقعة بين شطب والرميثي يوم للراكب المُجِدِّ.

★ ★ ★

٤٨ ــ وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْماً بِسَفِحْ عُنَيْزَةٍ وَقَدْ حَالَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ

---

(١) وهو الجبل المنيف الذي يجعله سالك طريق الرياض على السيارات عن يمينه بعد أن ينكب القاعية ويعلو الثنية المشرفة عليها من شرقيها.

(٢) قلت وقد مر ذكره ص ٧٢.

إلى أن قال :

كَأنّي وَرَحْلِي والقِرَابُ ونُمْرُقِي ... إذَا شُبَّ لِلْمَرْو الصِّغَارِ وَبِيص
عَلى نِقْقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعِرْسِهِ ... بُمنْعَرَجِ الْوَعْسَاء بَيْضٌ رَصِيْصُ
وَيأْكُلْنَ مِنَ قَوٍّ لَعَاعاً وَربَّةً ... تَجَبَّرَ بَعْدَ الأكْل فَهُوَ نَمِيْصُ
تَطِيْرُ عَفاءً مِنْ نَسِيلٍ كأنّهُ ... سُدُوسٌ أطَارَتْه الرِّيَاحُ وَخُوْص
تَضَيَّفَهَا حتى إذَا لَمْ يُسَغْ لَهُ ... نَصِيّ بِأعْلَىٰ حَائِلٍ وَقَصِيْصُ

أما عُنَيزة : فهي معلومة اليوم من مُدُن القصيم، وقد تقدم الكلام عليها(١). وأما الوَعْسَاء فهي أكْثِبة رمل متصل بعضها البعض على طريق الحاج من البصرة إلى مكة، قال ذو الرمة : الوعساء

أيَا ظَبْيَة الْوَعْسَاء بين جُلَاجل ... وبينَ النَّقَا أأنْتِ أمْ أُمُّ سَالِمِ

ولا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم.

قلت : كتب حمد الجاسر في المعجم الجغرافي شمال المملكة(٢)، يقول : الْوَعْسَاء : بفتح الواو وإسكان العين المهملة، وفتح السين المهملة بعدها ألف ممدودة : قال في كتاب «المناسك»(٣) : وبين السابع من البريد إلى الخزيمية شقائق رمل يقال لها الوعساء، ودون المنزل بثلاثة أميال رمل يقال له حَبْلاً زَرُود، والْمَشْرَف بطرف الوعساءِ على ميل ونصف من الغميس .

وفي معجم البلدان : الوعساء موضع بين الثعلبية والخزيمية على جادة الحاج. وهو شقائق رمل متصلة، قال ذو الرمة .. (ثم ذكر البيت السابق).

---

(١) انظر ص ١٠٢من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ٢٠.
(٢) القسم الثالث ١٣٦٨.
(٣) ص /٢٩٧.

وأما «قَوٌّ» فقد أكثر الشعراء من ذكره، وقد اختلف الرُّواة فيه، قال في معجم البلدان(١) : قال الجوهري: قَوْ بين فَيْد والنِّبَاج، واستدل ببيت امرىء القيس حين قال : قو

سَمَالكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كانَ أَقْصَرَا ... وَحَلّت سُلَيْمَى بطنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

وقو الذي ذكره امرؤ القيس في هذا البيت وقَرَنه بعرعر يقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقد اندرس اسمه، لأن عرعرا الذي قَرَنه امرؤ القيس به واقع في الهضب يقال له اليوم : عراعر، والهضب واقع في جنوبي نجد.

وقال زُرْعَةُ بن تميم الحطَمُ الجَعْدي :

وَإِنْ تَكُ لَيْلَى العامريةُ خَيَّمَتْ ... بِقَوٍّ فإني والجنوب يمانِ
وَمُغْتَرب من أهل ليلىٰ رعيتهُ ... بَأسباب ليلى قبل ما تَرَيَانِ
نَشَرْتُ له كَنَّانة من بَشَاشَةٍ ... وَمِن نُصحِ قَلْبِي شُعْبَةً وَلِسَانِي

وأما قو الذي ذكره الحطيئة لما نزل على الزِّبْرِقان بن بدر وتركته زوج الزبرقان فقال :

أَلَم أَكُ نائِياً فَدَعَوْتُمُونِي ... فخانتني المواعِدُ والدُّعَاءُ؟
أَلَمْ أكُ جاركم فَتَرَكْتُمُونِي ... لِكَلْبِي في دِيَارِكُمْ عواءُ؟
أجيل على الخباءِ ببطن قَوٍّ ... بناتِ الليلِ فاحتُمِل الخَبَاءُ

فإن قواً هذا الذي ذكره الحطيئة واقعُ في بلاد بني تميم في القطعة الشرقية من نجد، قال في معجم(٢) البلدان : وبطنُ قوّ وادٍ يقطع الطريق، طريق القاصد من البصرة إلى المدينة، إلى أن قال «موضع تدخله المياه ولا تخرج، وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو»ا .هـ ولا أعلم

(١) المعجم ٧/ ١٨٦.
(٢) المعجم ٧/ ١٦٨.

شيئاً بهذه الصفة ليس بينه وبين النباج إلا مرحلة واحدة الا أسفل وادي الرمة إذا ترك السالك عُنيزة عن يمينه وانعرج إلى روضة الزغيبية، وهي التي تصب فيها سيول الرمة ولا تخرج.

وقد غلط كثير من الشراح والطباع في لَفْظَةِ. قو. وجو. وخو. فحرفوها، حتى إنهم ذكروا في بيت زهير بن أبى سلمى :

لئن حَلَلْتَ بَجوٍّ في بني أسَدٍ   في دينِ عمروٍ وحالت بَيْنَنا فَدَكُ

وزهير يعني خوّاً لأنها موجودة اليوم بهذا الاسم يقال لها «الخوة» واقعة من سميراء في جنوبها الشرقي قريبَ الجبل الذي يقال له حبشى، تقع في شرقيه.

حائل — أما «حائل» فهي المدينة المشهورة في جبلى طيء، واقعة من جبل أجأ في جنوبيه قريبا منه، وهي باقية على اسمها إلى يومنا هذا.

قال امرؤ القيس :

أبت أجأ أن تُسْلِمَ اَليوْمَ جارَهَا   فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْهَضْ لها من مقاتِلِ
تبيت لَبُوني بالقريَّة أمنـــاً   وأسرحها غِبّاً بأكناف حائِـلِ
بنـو ثُعَـلٍ جيرانُهـا وحُمَاتُهـا   وَتَمْنَع من رجَّال سعدٍ وَنائِلِ

ودخل بدوى إلى الحضر وهو في العراق، فاشتاق إلى بلاده، فقال :

لعمرى لَنَوْرُ الأقحُوَان بحائل   ونَوْر الُخزامى في ألاءٍ وعرفج
أحبُّ إلينا يا حميدُ بنَ مالكٍ   من الورد والخِيْرِي ودُهْنِ البَنَفْسَج
وأكـلُ يرابيـع وَضَبٍّ وأرنب   أحبُّ إلينا من سُمَانىٰ وتدرج
ونصُّ القِلاص الصُّهبِ تَدْمىٰ أنوفُهَا   يَجُبْنَ بنا ما بين قَوّ ومنعج
أحبُّ إلينا من سَفِيْنٍ بدجلة   ودَرْب متى ما يظلِم الليلُ يُرْتَج

أما حائل فقد ذكرها امرؤ القيس في مواضع كثيرة من شعره، وسنمر على بعض المواضع التي فيها ذكر حائل[١].

★ ★ ★

٤٩ ــ قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أرَاهُ وَمِيض   يُضِيءُ حَبِيّاً في شَمَارِيخ بِيْضِ

إلى أن قال :

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي بَيْنَ ضَارِجٍ   وَبَيْـنَ تِلَاع يَثْـلَثٍ فَالْعَـرِيْضِ
أصَابَ قُطَيَّات فَسَال لِوَاهُمَا   فَوادي الْبَدِيِّ فَانْتَحَى لِلأرِيْضِ

أما ضارج : فقد تقدم الكلام عليه[٢] وهو في هذا الشعر واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان.

يثلث وأما يَثْلثَ : فهو جبل في عالية نجد، يقال له اليوم «أثلث» أبدل القوم ياءه همزة، وهو واقع بين ثهلان ودمخ، جبيل ليس بالكبير بين الشقرة والسواد.

العريض وأما العريض الذي ذكره امرؤ القيس فهو عرض ابنى شمام، يقع في سواد باهلة، وهو جبال متصل بعضها ببعض، يقال لها اليوم «العرض» وهو يحاذي يثلث المذكور، إذا سال يثلث من سحاب، وهو على مسيره إلى جهة الشرق يسيل منه العرض، وفيه قرى كثيرة ومزارع وأودية عامرة، من أوديته «وادي الخنقة» قال القحيف العقيلي :

تحمَّلْنَ من بَطْنِ الْخَنُوْقَةِ بَعْدَمَا   جرىٰ للثريا بالأعاصِيْـر بَارِحُ

---

(١) قلت، وفيها استقر الضياغم في هجرتهم من جنوب نجد، ومنهم ظهرت امارة القشعم في العراق وامارة آل رشيد في حائل.

(٢) انظر ص ٥٠ من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ٤.

وقُرَىٰ العرض : أكبرها بلد القويعية، ووادي القويعية أسفله البلد المشهورة بهذا الاسم، وأعلاه ثَنِية ابن عصام الباهلي التي يقال لها اليوم «ريع المشعر» وفي هذا الوادي مما يلي بلد القويعية «بلد مزعل» وسكانها العرافي من جبور بني خالد و«بلد الجفارة» وهي تبعد عن مزعل مسير ثلث ساعة للسائر على قدميه، وأعلى القرى قصور القويع، إذا كنت منحدراً تبدأ بالقويع وتنتهى بالقويعية، وهو منقطع من اليمامة بينه وبينها أربع مراحل، جباله سود، يقال له اليوم «العرض» وهو الذي عناه امرؤ القيس في هذا الشعر بقوله «العريض» وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضع : العرض الذي تقدم ذكره، والعارض المتصل من العك إلى وادي برك، وهذا يقال له «عارض اليمامة» والعويرض المتصل من وادي برك إلى وادي الهدار وطرف الأفلاج الجنوبي، وهذا الجزء كله يقال له : العويرض، وهو في اليمامة أيضاً.

قلت : وقد ذكر العِرْضَ عبد الله بن خميس في كتابه معجم اليمامة فقال[١]: العِرْض بكسر العين، وإسكان الراء، فضاد .. هو وادي (حنيفة) أحد الأعراض الشهيرة .. فابن خميس يرى العرض أنه وادي حنيفة، ثم تحدث بعد ذلك عن عريض[٢] بضم العين، وفتح الراء، واسكان الياء، فضاد .. يطلق هذا الاسم على علمين في اليمامة فيما أعلم ..

١ ـــ (عُرَيض وادي حنيفة) : وهذا يقع جنوب (الرياض) بعدما يمر به (وادي حنيفة)، ويذهب مجنباً ويتجاوز (المصانع) و(الجزعة) و(الْمَنْصُوريّة) يفضي إلى متسع هنالك تصب فيه (البواقر) من الغرب، و(دَعْكَنَة) من الشرق، ثم يعود هنالك الوادى فيعترض مغرباً فمجنباً، وتخنقه الجبال بعد هذا المتسع .. هذا هو (عُرَيض وادي حنيفة)، وعلى

(١) : معجم اليمامة الجزء الثاني /١٤٤.

(٢) : المصدر السابق ص ١٥٥ ـــ ١٥٦.

ضفتيه هنالك مزارع وأرض زراعية، ويدفع فيه قبيل (الحَائِر) ــ وادى الحفنة ــ يأتيه من ناحية الشرق، وتدفع فيه شعاب أخرى ليست بذات بال، وفويق الحائر منه أقيم سد هنالك من أضخم السدود التي أقيمت في هذا الوادي.

٢ ــ (عُرَيْض قَرْقَرَىٰ) : وهذا جبل ممتد من الشمال إلى الجنوب طرفه الشمالي مقابل لطريف الحبل (حَبْل الرَّغَام) وطرفه الجنوبي (هضبة الطُعَيِّنَةَ) المواجهة لقرية (البَرَّة) من الغرب .. هذا الجبل معترض هنالك أمام (المِحْمَل) من الغرب، وأمام (صَفْرَاء الشمس) من الشرق، يبلغ امتداده حوالي خمسة عشر كيلا، وفيه ثنايا وشعاب وفيه حوله مياه، وتكتنفه رياض ومغائض سيول واسمه قديماً (عُرَيْضَة) ويعنيه جران العود النميرى في شعره حيث قال :

تُذَكِّرُنـــا جيراننـــا بعُـــــرَيْضَة وهضب قساء فالتذكّر يَشْعفُ

وقلت أيضاً : وقد ورد ذكر العِرضْ في قصيدة المتلمس ضمن حماسة أبي تمام[1] إذ يقول :

بهذا أوانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَابِيْـــرُهُ والأزرقُ المُتَلَـــمِّسُ

والعرض واد من أودية اليمامة .

قطيات

وأما «قُطيَّات» فهي هَضْبَات حُمْر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغيَّر بإبدال بعض الحروف، وفي جنوبيَّ حمى ضَريةِ هضبات حُمْر، يقال لها اليوم «مغطيات» زادوا على قطيات ميما، وأبدلوا القاف غيناً، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد، تبعد عنه مسافة نصف يوم، وهناك بها هضبات بها ماء وقلات من

(١) حماسة أبي تمام، تحقيق د. عبدالله العسيلان ج١ /٣٣٢.

ضَرِية في جهتها الجنوبية يقال لها «مطيوى ضرية» وهناك هضبات حمر في طرف شُعَبى مما يلى شماليها ويقال لها «المطيويات» وهي واقعة في نفس الحمى حمى ضرية، والأول أقرب لقطيات، قال مُطَير بن أشيَم الأسدي[1]:

فَجَالَ جَأبٌ كَسَفُّودِ الْحَدِيَد لَهْ   وَسْطَ الْأَمَاعِزِ من نقع جَنَابَان
تَهْوي سَنَابِكُ رجليه مُجَنَّبَةً   في مكرهٍ من صَفِيْحِ القُفِّ كَذَّانِ
ينتابُ ماءَ قُطَيَّاتٍ فأخلفَهُ   وَكَانَ مَنْهَلهُ ماءَ بَحَوْرَانِ
تَظَلُّ فيه بناتُ الماءِ طَافِيَةً   كأنَّ أعْيُنَهَا أشْبَاهُ خِيْلَانِ

البدى — وأما وادي البدى فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبيد.

الأريض — فأما الأريض : فهو كما ذكره امرؤ القيس، لكنى لا أعرفه بهذا الاسم.

★ ★ ★

٥٠ — وقال امرؤ القيس :

لَعَمْرى لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَة ذى الْهَوَىٰ   سَعَادُ، وراعَتْ بِالْفِرَاق مِرُوَعًا
وَقَدْ عَمرَ الرَّوْضَاتِ حَوْل مُخطَّطٍ   إلى الُّلخِّ مَرْأىً من سُعَاد وَمَسْمَعَا
مَتَى تَرَدَاراً من سُعَادَ تَقِفْ بِهَا   وَتَسْتَجِرْ عَيْنَاك الدُّموعَ فَتَدْمَعَا

الروضات واللخ ومخطط — أما الروضات ومخطط واللخ فهي مواضع، لكني لم أعرفها بهذا الاسم إلا في جهة اليمن، قال أبو شمر الحضرمي[2]:

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى رَوْضَتَا ذِي المخَابِطِ   إلى ذِى العَلَاقِى بَيْنَ خَبْت خطَائِطِ

فهذا شاهد صاحبه يمانٍ، وهناك موضع قريب وادي الرمة يقال له

---

(١) الأبيات في معجم ياقوت ٧ /١٢٨.

(٢) المعجم ٧ /٤٠٢.

«الخطائط» يقع من وادي الرمة في شماليه، ومخطط الذي ذكره امرؤ القيس يمكن أن يكون قريباً من تلك الناحية، وأن اسمه قد تغير وسمى الخطائط، قال مالك بن نويرة في يوم الغبيط حين هزمت يربوع بني شيبان ولم يشهده[1].

وإلّا أكُنْ لا قَيتُ يَوْمَ مُخطَطٍ فقَد خَبَّر الركْبَانُ ما أتَوَّدُ
أتاني بِنَقْلِ الخُبْر لمّا لَقِيْتهُ رزيـنٌ وركبٌ حَوْلَـهُ مُتصعِّـدُ
فَأقْرَرْتُ عينى يوم ظَلُّوا كأنَّهمُ ببطن الغَبيْط خُشْبُ أثْلٍ مُسَنَّدُ[2]
صَرِيْعُ عليه الطَّيْرُ تنقرُ عَيْنَهُ وآخـرُ مَكْبُـولُ يمـانٍ مُقيَّـدُ

فهذا الشاعر رجل من بني يربوع، ومنازلهم في أسفل وادي الرمة على حدود القصيم، وهو رجل مشهور بفروسيته ومجده، قتله خالد بن الوليد يوم البطاح، وهو الذي رثاه أخوه مُتَمم بن نويرة في قصيدته حين قال:

فلمّـا تفرَّقْنـا كأنّـي وَمَالِكـاً لِطُوْلِ اجْتِمَاعٍ لم نَبتْ لَيْلَةً مَعَا

* * *

٥١ ــ وقال امرؤ القيس وهو يرثي الحارث بن حبيب السلمي، وكان قد خرج معه إلى الشام ومات في بصرى:

ثَوَىٰ عنْدَ الوَدِيَّة جَوْفَ بَصْرَىٰ أبُو الأَيْتَام وَالْكَـلِّ الْعِجَـافِ
فَمَنْ يَحْمَى الُمضَافَ إذَا دَعَاهُ وَيَحْمِلُ خُطَّة اَلْأنسِ الضِّعَافِ[3]

(١) المعجم ٧ / ٤١٠.

(٢) قلت، جاء في القرآن الكريم وصف للمنافقين بأنهم خشب مسندة، فقال تعالى: ﴿.. وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَولِهِمِ كَأَنَهُم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ للمنافقين/٤.

(٣) وقع في الديوان «فمن يحمي المصاف» وضبطه بفتح الميم وبالصاد المهملة، وفسره الشارح السندوبي بساحة الحرب ومعترك النزال، وليس بشيء، وإنما هو «المضاف» بضم الميم وبالضاد المعجمة ــ وهو الذي ألجأته الحاجة وأثقله الهم والشر، وهي عبارة

وبصرى: قد مضى الكلام عليها[1] وأنها قاعدة حَوْران. وهي باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

* * *

٥٢ ـــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقِ
وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ

وَحَدِّث بِأَنْ زَالَتْ بلَيْلٍ حَمُوْلُهُمْ
كَنَخْلٍ من اَلْأَعْرَاضِ غَيْرَ مُنَبَّقِ

جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَعَدْنَ قَعَائِداً
وَحَفَّفْنَ عن حَوْك العِرَاقِ المُنَمَّقِ

علـى إِثْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنِيَّةٍ
فَحَلُّوا العَقِيْقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطْرِقِ

الأعراض أما الأعراض فهي أعراض اليمامة ذات النخيل،

قلت : وفيها يقول ابن خميس في معجم اليمامة :

اَلْأَعْرَاض: جمع عرض ... وهي الأودية يكون فيها النخل والزرع والقرى...

= كثيرة الورود في شعر العرب، فمن ذلك قول البريق الهذلي :

ويحمي المضاف إذا ما دعا
إذا ما دعا اللمة الفيلم

ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكري

وكرى إذا نادى المضاف محنبا
كسيد الغضى نبهته المتورد

(١) انظر ص ١٢٥ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٢٩.

قال أعرابي :

لعرض من الأعراض تُمْسِ حَمَامَة وتضحي على أفنانه العين تهتفُ
أحبُّ إلى قلبي من الديك رَنَّةً وبابٌ إذا ما مال للغَلْقِ يصرفُ

قال في (بلاد العرب): والأعراض: أعراض اليمامة، وهي أودية وجبال فيها نخل، قال:

ياصاحبيَّ قفا على الأطلال بالخل فالضفرات من أُورَالِ
فبحوطين إلى براق نواضح قد طال ما بقيت على الأحوالِ

ومن الأعراض : عرض بني حنيفة .. وادى حنيفة ...
وقال مالك بن حريم الهمداني يذكر أعراض اليمامة وجراد:

إذا سألتْكَ نفسُك أن تَرَانَا بملك الجوف فاغترب النجادا
ترانا بالقرارة غير شك نقودها مسوَّمةً جيادا
علينا كلُّ فضفاضٍ دلاصٌ وأسيافٌ ورثناهنَّ عادا
سَنَحْمِي الجَوْفَ ما دَامَتْ مَعِيْنُ بأسْفَلِه مقابلةً عَرَادَا
وَنَلْحَقُ من يُزَاحِمُنَا عَلَيْه بأعراضِ اليمامَةِ أوْجَرَادَا
نَبِيْتَ مع الثَّعَالِبِ حَيْثُ بَاتَتْ وَنَجْعَلُ صَمْغَ عَرفطهُنَّ زَادَا

قلت: من أعراض اليمامة وادى العرض (وادي حنيفة) و(عرض شمام) منطفة (القويعية) وما حولها[1].

العقيق
والعقيق: في هذا البيت يقصد به عقيق اليمامة، وهو واد ينصب من الغرب إلى جهة الشرق بطرف عارض اليمامة جنوبى الأفلاج.

مطرق
وأما مطرق: فهو ملزم ماء في بلاد بني تميم الشرقية، قال ذو الرمة:

(١) معجم اليمامة ج ٩١/١.

تصَيَّفْنَ حتى اصفر أنواع مطرقِ   وَهَاجَتْ لِأَعْدَاد المياهِ الأَبَاعِرُ

وهو واقع بالقرب من عارض اليمامة، قال في معجم البلدان[١] عن الحفصى: ومن قلات العارض المشهورة ــ يعنى عارض اليمامة ــ الحمايم، والحجائز، والنظيم، ومطرق. قال مروان بن أبي حفصة:

إذا (ما) تذكَّرتُ النَّظيم ومطْرِقا   حَنَنْتُ وأبكانى النظيم ومُطْرَقُ

فأما مطرق: فقد اندرس اسمه هذا، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

النظيم

وأما النظيم: الذي قَرَنَه مروان بن أبي حفصة بمُطْرِق فهو باق بهذا الاسم إلى اليوم فيه ماء ينصب من ثنية بني سدوس إلى وادي الأحيسي الذي يقال له اليوم «وادي الحيسية» إذا كنت قاصداً الرياض عاصمة نجد وكنت في وادى الأحيسي قبل أن تصل خراب العيينة فالنظيم على يسارك، فيه ملزم ماء لا ينقطع[٢].

عقيق اليمامة

وأما عقيق اليمامة: فهو كما ذكرنا، قال في معجم[٣] البلدان:

قال السكوني: عقيق اليمامة لبنى عقيل، فيه قرى ونخيل كثيرة، يقال له (عقيق تمرة) وتمرة: قرية باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا، أعرفها بتلك الناحية، قال شاعر من بني عقيل في ذكر عقيقهم:

تَرَبَّعُ ليلىٰ بالمُضَيّح فالحمىٰ   وَتَحْفِر من بطن العقيق السواقيا

وقال الفرزدق:

---

(١) المعجم ٨ /٨٦ في ترجمة (مطرق).

(٢) والنظيم أيضاً : قلتتان عظيمتان في أعلى وادي صفار غربي بلد الدرعية، وهذا الموضع كمتنزه يرتاده من شاء النزهه من أهل الدرعية وقت الربيع.

(٣) المعجم ٦ /١٩٨.

ألم تر أني يوم جَوّ سُوَيْقَة بكيت فنادَتْنِي هنيدة ماليا
فقلت لها إن البكاء لَرَاحَةٌ به يشتفى من ظَنَّ أن لا تلاقيا
قفِي ودِّعِيْنَا يا هُنَيْد فإنَّنِي أرى الرّكبَ قد سامُوا العقيقَ اليمانيا

والركب مُتَّجهون من عارض اليمامة إلى اليمن، فجعله الفرزدق عقيقاً يمانياً، وهو موجود اليوم بهذا الاسم واقع بين الأفلاج ووادي الدواسر، وهو إلى الأفلاج أقرب من الوادي، فيه نخل، وسكانه من الدواسر ومواليهم.

* * *

قلت: وجاء في معجم اليمامة[1] الجزء الثاني ص/١٧٠ ــ ١٧١ ما يلي: العقيق: بفتح العين، وكسر القاف، وإسكان الياء، فقاف .. المراد بالعقيق أصلاً الأرض يعقها السيل فيصيرها وادياً، ثم أصبح علماً على أودية بعينها .. فمنها (عقيقا المدينة المنورة) و (عقيق العشيرة) و (عقيق البصرة)، و(عقيقا اليمامة)، وأعقة أخرى.

وقد أولع الشعراء بذكر الأعقة، كما أولعوا بذكر (رامة) و(زرود) و(طويلع) و (وجرة).

والذي يعنينا هنا (عقيقا اليمامة) : الجنوبي منها يسمى: (عقيق عقيل)، ويسمى: (عقيق تمرة)، ويسمى (عقيق اليمامة) وهو واقع في فج كبير من فجاج جبل (اليمامة) (طويق) فيما بين وادي (الدواسر) من الغرب، و (السليل) من الشرق فج منبسط فيه النخيل البعلية والمياه والأشجار الكثيفة والخمائل الملتفَّة ... وتسيل فيه أودية من الشمال ومن الجنوب، منها وادي (تمرة) يسيل من جنوبي (العقيق)، وبجانبه الشمالي الغربي معدن (الكوكبة) (الكواكب الآن) .. وهو الآن في بلاد الدواسر،

---

(١) : معجم اليمامة، عبدالله بن خميس ج ٢ /١٧٠.

وقديماً كان لعقيل، ولهم به آثار وأخبار وأشعار.

قال أبو زياد الكلابي : (عقيق) بني عقيل فيه منبر من منابر (اليمامة)، ذكره القحيف بن حمير العقيلي حيث قال :

أأمّ ابْنِ ادريس أَلَمْ يَأْتِكَ الَّذي صبّحَنَا ابنُ ادريس بِهِ فتقطّرَا
فَلَيْتَكِ تَحْتَ الخافقَين تَرَيْنَـه وَقَد جَعَلَتْ دِرْعاً عَلَيها وَمِغْفَرَا
يريدُ العقيقَ ابنُ المهير ورهطَهُ ودُوْنَ العقيق الموتُ وِرْدَاً وَأحْمَرَا
وكيفَ تريدونَ العقيقَ وَدُوْنَهُ بَنُو المحصناتِ اللّابِسَاتِ السَّنَّورا

وقال عرام: (عقيق تمرة) هو (عقيق اليمامة)، ثم قال: و(عقيق تمرة) لعقيل ومياهها بثور، والبثر يشبه الأحساء، تجرى تحت الحصي مقدار ذراع وذراعين، ودون ذلك، وربما اثارته الدواب بحوافرها.

قلت: وهذا شيء معروف حتى الآن بهذا (العقيق).

وقد اختلط على الأصمعي الأمر بين (عقيق عقيل)، و(عقيق العرمة) فظنه عقيقاً واحداً، قال: فمنها (عقيق عارض اليمامة)، وهو واد واسع مما يلي (العرمة)، تتدفق فيه شعاب (العارض)، وفيه عيون عذبة الماء.

وقال السكوني: (عقيق اليمامة) لبني عقيل، فيه قرى ونخل كثير، ويقال له: (عقيق تمرة)، وهو عن يمين (الفرط) منقطع (عارض اليمامة) في رمل الجزء، وهو منبر من منابر (اليمامة) عن يمين من يخرج من (اليمامة)يريد (اليمن) عليه أمير، وفيه يقول الشاعر :

تربّع ليلى بالمضيح فَالْحمَىٰ وتحفر من بَطْنِ العَقيقِ السّواقِيا

وقال ياقوت: ومنها (العقيق) ماء لبني جعدة وجرم تخاصموا فيه إلى النبي ﷺ، فقضى به لبني جرم، فقال معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمي شعراً هو:

وَإنّي أخوُ شهمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُم وإنّي بَمَا قال النبيُّ لَقَانِعُ
أَلَمْ تَرَ جرماً أنجدت وأبوكُمُ مع القمل في حَفرِ الْأُقَيْصرِ شَارِعُ
إذا قرة جاءَتْ يقولُ : أصِبْ بِهَا سوى القملِ إني من موزان ضَارِعُ
فَمَا أَنْتُم من هؤلاءِ الناسِ كلّهُم بلى، ذنب أَنْتُم علينا وَكَارِعُ
فَإنَّكَمَا كالخنصرين أخستا وَفَاتَتْهُمَا في طُوْلِهِنّ الْأَصَابِعُ

ولعل هذا العقيق هو الذي عناه بزيع بن جيهان الضبابي بقوله :

إنّ العقيقَ غدا لَوْ أنّ صَرِيْخَنَا وَرَدَ العقيقَ لَعزّنَا المهيوبُ
وَبِحَافة الفلجَيْن أكبر عدْنَا وَبِجَنْبِ أكمة مصرخٌ وَمُجِيْبُ

وقال عنه الهمداني: ثم (العقيق) مدينة فيها مئتا يهودي ونخل كثير وسيوح وآبار، ثم الفضا، ثم الخل، خل القسوة، ثم المعدن، معدن العقيق... ثم قال: (العقيق) عقيقان: (العقيق الأعلى) للمنتفق ومعه معدن صعاد على يوم أو يومين، وهو أغزر معدن في جزيرة العرب، وهو الذي ذكره النبي ﷺ في قوله (مطرت أرض عقيل ذهباً) .. الخ.

أما (عقيق اليمامة الآخر فهو بطن العتك الأسفل .. وقد مضى الكلام عليه قريبا في رسم (العتك).. فعد إليه إن شئت هنالك.

٥٣ ـ وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحَاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في الْعُصُرِ الْخَالِي

إلى أن قال :

دَيارٌ لسَلْمىٰ عَافِيَاتٌ بذي الْخَالِ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ
وَتَحْسَبُ سَلْمىٰ لَا تَزَالُ تَرَىٰ طَلاً مِنَ الْوَحْشِ أوبيضا بميثاءَ مِحْلَالِ
وَتَحْسَبُ سَلَمى لاَ تَزَالُ كَعَهِدِنَا بِوَادِى الْخَزامىٰ أو عَلَىَ رَأْس أوْعَالِ

الخال

أما الخال فهو جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قريب الدفينة الماءِ المشهور في طريق نجد بين المويه وعفيف، يقع من الدفينة في جنوبيها الغربي على مسافة ساعة للماشي المُجِدِّ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

أهاجَكَ بِالْخَالِ الحُمولُ الدَّوَافِعُ   فَأَنْتَ لَمهواها من الأرضِ نَازِعُ

وقال عمرو بن معد يكرب :

وَهُمْ قَتَلُوا بذات الخال قَيْساً   وَأَشْعَثَ سلسلوا من غَيْرِ عَهْدِ

قلت: وقد ذكر الخال من الشعراء القدامي الأعشى في معلقته إذ يقول:

قالوا: نِمَارٌ فَبَطْنُ الْخَالِ جَادَهُمَا   فَالْعَسْجَديَّةُ فَالْأَبْلاءُ فَالرَّجَلُ

وفيه ماء يقال له «خالة» وهو لكلب بن وَبْرة في بادية الشام، قال النابغة:

بِخَالَةَ أَوْ ماء الذّنَابةِ أَوْ سوىٰ   مظنَّة كَلْبٍ أَوْ مِيَاه الْمَوَاطِرِ

وقد ظننتُ أول الأمر أن النابغة قصد بخالة خال الدفينة، لأن الذنائب قريب منه، ولكننى لما رأيته ذكر «سوى» وهي واقعة في بلاد كلب بن وَبْرة في أرض مضلة، ففي فتوحات خالد ابن الوليد رضي الله عنه أخذ دليلا من طيء لقطع المسافة يقال له رافع، فلما ورد بهم الماء قال الشاعر:

لله دَرُّ رَافِعٍ لَمّا اهْتَدَىٰ   فوز من قَرَاقِرَ إلىٰ سِوَىٰ

وسوى في طريق الشام، لما رأيته ذكر سوى علمت أن خالة هناك في بلاد كلب بن وَبْرة.

أما ميثاء فهى لفظة مستعملة عند العرب للأرض السهلة المستوية. ميثاء

ووادى الخُزَامى لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولا أشك أنه موضع قد تغير اسمه أو بعضه. وادي الخزامى

وأوعال: جبل أحمر باق على اسمه إلى اليوم، إلا أنه تغير قليلاً فسموه «وعلة» فهو الآن يذكر بهذا الاسم، وموقعه بين جبل كرش، وبين جبل الكبدي، وهو إلى جبل كرش أقرب، وهو في القطعة الجنوبية الغربية من نجد، وجبل كرش وجبل وعلة قريبان من ماء الصخة يقعان منها في الجهة الجنوبية الغربية، وسمى أوعالا لأنه تصطاد فيه الأوعال[1] لأن الأوعال لا ترتع الا في شعاف الجبال، وقال عمرو بن الأهتم: أوعال

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبِ وَأَطْلَالِ   بِذِي الرِّضْم فالرّمانَتَيْن فَأَوْعَالِ

أما الرضم فهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ولم يتغير، وهو ماء مشهور واقع في فيضة وادي المياه ووادي الجريب إذا قربنا من وادي الرمة، سُمّي الرَّضْم لكثرة الرَّضْم المحيط به من هضبات وغيرها، أما الرّمانتان فهما واقعتان في طرف رمان الجبلِ الواقع في بلاد بني أسد، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا في طرف رمان، أما أوعال: فهو الذي ذكرنا أنه «وعلة» وهو الذي ذكره عمرو بن الأهتم، وهناك رمانتان في البلاد الشرقية قريب الأحساء، وهما هضبتان صغيرتان واقعتان من بلاد الأحساء في شماليها، قال عرقل بن الحطيم العُكْلي : الرضم

لَعَمْرُكَ للرُّمَان إلىٰ بثَـاءٍ   فحزم الأَشيْمَيْـنِ إلـىَ صُبَاحِ[2]
وأوديـة بِهَـا سَلَـمُ وُسَدْرٌ   وحمضٌ هَيْكَلِ هدب النَّوَاحِي
أَسَافِلُهُنَّ تَرْفَضُّ في سُهُوْبٍ   وَأَعْلَاهُنَّ في لجـفٍ وَرَاحِ

---

(١) الأوعال : جمع وعل، وهو التيس الجبلي.
(٢) لايتم وزن هذا البيت الا بتخفيف الميم من «رمان» ونص ياقوت أنه بتشديدها، انظر المعجم ٤ /٢٨٣.

نَجلُّ بها وَنَنْزِلُ حيث شِئْنَا بما بَيْنَ الطّرِيْقِ إلىٰ رُمَاحِ
أحبُّ إلـيَّ من آطـامِ جّوٍ ومن أطوابِهَا ذاتِ الْمَنَاحِـي

والرمانتان وصُبَاح ورماح، كلها باقيةٌ بهذه الأسماء: أما صباح فهي أرض «صبحا» في أسفل سدير، تقع في الجهة الشرقية. وقد تقدم الكلام عليها وذكرنا سبب تسميتها صبحا(١) ورماح: ماء قديم جاهلى على طريق الأحساء بينه وبين نجد مما يلى الدهناء جهتها الغربية والرمانتان اللتان ذكرناهما قريب بلاد الأحساء في جهتها الشمالية.

قلت: وقال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي شمال المملكة عن الرضم:

الرَّضْمُ: بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة وآخره ميم: في كتاب «المناسك»(٢) وعلى ستة أميال ونصف من زبالة ــ للمصعد ــ بركة مدورة، يسرة، وهي إحدى الرضمتين وهي رَضْم أبي جعفر، وتعرف بالقَيصوم، لها مصفاة ومسجد وقباب، وخلفها بميل رَضْمُ أمير المؤمنين مُتَعَشّىٰ، وبئر وحوض، ويسمى ذلك كله الرَّضْم.

وفي «معجم البلدان»: الرَّضْمُ موضع على ستة أيام من زُبالة بينها وبين الشقوق فيه بركة، وعلى يمين المصعد منه بركة أخرى للسلطان انتهى. و(أيام) تصحيف أميال.

ذَاتُ الرَّضْم: في «معجم البلدان»: بفتح الراء وإسكان الضاد ذاتُ الرَّضْم ــ : من نواحي وادي الْقُرىٰ وتيماءَ. وقال عمرو بن الأَهْتَم:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ وَأَطْلَال بِذِى الرَّضْمِ فَالرُّمَّانَتَيْنِ فَأَوْعَالِ

(١) انظر ص ٥٦ من هذا الكتاب
(٢) ص ٢٨٥.

وأورد هذا البيت في (روضة العنك) وبعده :

إلــىٰ حَيْثُ حَالَ الْمَــيْتُ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
مِن اَلْعَـــنْكِ حَوّاءِ الْعَـــذَانِبِ مِحْـــلَالِ

وفي «معجم ما استعجم»: الرَّضْم في ديار بني تميم باليمامة. قال عَبْدةُ بن الطَّبيب ــ وأنشد البيتين وفيه :

إلى حيثُ سالَ القِنْعُ من كُلِّ رَوْضَةٍ مِنَ الْعَتْكِ حَوَّاءِ الْمَذَانِبِ مِحْلَالُ

والْقِنْعُ: أرض سهلة بين رمل وجبل، تنبت الشجر الطوال. وأورد البيت الأول منسوبا إلى عبدة في (الرمانتين).

وفي شمال الجزيرة بمنطقة الجوف: الرُّمامين وأمَّ أَوْعَال أيضاً. ويمكن أن يكون الشاعر عناهما، وأن ذا الرَّضْم بقربهما. وإن كنت أستبعد ذلك[1] لأن الشاعرين من تميم، وبلادهم بعيدة عن هذه الجهات، ورواية (العتك) بالتاء أقرب إلى الصواب من (العنك) بالنون.

وإن كان قول البكري: أن الرَّضْمَ موضعٌ في بلاد بني تميم مبنيٌّ على أن الشاعر منهم، وهذا لا يصح دائماً فقد يذكر الشاعر مواضع في غير بلاده.

ولو صحت رواية (العتك) بالتاءِ المثناة الفوقية لكان دليلاً لقول البكري.

٥٤ ــ وقال امرؤ القيس :

وَمِثْلُكِ بَيْضَاءُ الْعَوَارِض طَفْلَةٌ لَعُوبٌ تُنَسِّينِي إذَا قُمْتُ سِرْبَالِي

---

(١) : القول للشيخ حمد الجاسر. * * *

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كَانَ فَيْضُ حَمِيْمِهَا عَلَىٰ مِتْنَتَيْهَا كَالْجُمَانِ لَدَى الْجَالِي
تَنَوَّرتهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنىٰ دَارِهَا نَظَر عَالِي

أذرعات أما أذرعات[1] فهي من نواحي البلقاء بين الشام وعمان، وقد أكثر الشعراء من ذكرها أيام الفتوحات في صدر الإسلام، قال بعض الأعراب[2]:

ألا أيها البرقُ الذي بات يَرْتقي وَيَجْلُو دُجَىٰ الظَّلْمَاءِ ذَكَّرْتَنى نَجْدَا
وَهَيَّجْتَنِي من أذرعاتٍ وَمَا أَرَىٰ بِنَجْدٍ على ذِي حَاجَةٍ طربا، بُعْدَا
أَلَم تَرَ أَنَّ الليلَ يقصُر طُوْلُه بِنَجْدٍ، وتزدادُ الرِّيَاحُ به بَرْدَا

وأذرعات باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا وليست مجهولة.

يثرب يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، ويثرب: اسم قديم من أسمائها، ذكروا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، فإنها (طيبة)، وقد أكثر الشعراء من ذكر يثرب، قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، وهي تخاطب أخاها (ضبا) لمّا حملها إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتزوجها، وقُتِل وهي عنده:

أحقَّاً تَرَاهُ اليَوم يَا ضَبُّ أَنَّنِي مُصَاحِبة نَحْوَ المدينةِ أَرْكُبَا
لَقَد كانَ في فتيان حَصْن بن ضَمْضَمٍ لَكَ الويل ما يجزى الخباءَ المحجَّبَا
قضىٰ الله حَقاً أَنْ تَمُوْتِى غريبةً بِيَثْرِب لا تَلْقَيْنَ أُمّاً وَلَا أبا

وقد قال رسول الله ﷺ لما هاجر «اللَّهمَّ إنّك أخرَجْتَني من أحبِّ أرضك إليّ، فأسكني أَحَبَّ أرضِكَ إليك» فأسكنه الله المدينة المنورة؛ وإليها تُنْسَب السهام اليثربية، قال كثير عزة[3]

(١) قلت : أذرعات : ويقال لها اليوم درعا، وهي إحدىٰ المحافظات السورية على الحدود الجنوبية مع الأردن وهي قاعدة المحافظة. اشتهرت بآثارها الرومانية.

(٢) المعجم ١ /١٦٣.

(٣) ديوان كثير عزة ١ /١٣٠.

وَمَاءٍ كأنَّ الْيَثْرِبِيَّةَ أنْصَلَتْ بِأعْقَارِهِ دَفْعَ الإزاءِ نَزُوعِ

* * *

٥٥ ــ وقال امرؤ القيس:

كأنّي بِفَتْخاءِ الْجَناحَيْن لَقْوَةٍ صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَان طَأْطَأْتُ شمْلَالِ
تَخطَّفُ خِزّانَ الشَّرَبَّةِ بالضُّحَىٰ وَقَدْ حُجرَتْ منْهَا ثَعَالبُ أوْرَالِ

كأنَّ قلوبَ الطَّيْرِ ــ رطْباً وَيَابِسَاً
لَدَىٰ وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي[1]

اختلف الرواة في تحديد الشَّربة، والصحيح أن حَدَّها الشّرقي «عريق الدّسم» المحاذي لِشُعْبَىٰ الجبل المشهور في الحمى، وحدّها الشمالي ماوان والنّقرة، وحدهّا الجنوبي وادي الجريب الذي يقال له اليوم «وادي الجرير» وحدها الغربي جبال الشّعبة التي فيها عَذْنَة ولكن عدنة في عهدنا هذا قد أبدلت عينها باء فهي تسمى اليوم «بدنة» والمياه الواقعة في الشَّرِبَة: الرَّضْم وهو في شرقيها، والجثوم والمضيح وشعب العسيبيات والعسبييات: جبالٌ حمر في جنوبي الشَّرِبَة، وأبو طريفي والغثمة في جنوبيها أيضاً، ومنهم من قال: أن حدودها الغربية تمتد إلى جبال أبلى، وسيأتي الكلام عليها، وجبال هضب الشرار المسمى بهذا الأسم اليوم وهو فيما سبق هضب شَرَوْرَىٰ[2]. الشربة

وأما المياه الواقعة في شمال الشَّرِبَة فهي: طلال وحسى عليا، والنفازى، وبلغة، والماوية. وأما النقرة فهي منقطعة من بلاد غطفان داخلة في بلاد بني

---

(١) قلت : وهذا البيت من الشواهد البلاغية المشهورة التي يستشهد بها على التشبيه التمثيلي.

(٢) وهضب القتاد : هو الذي كان يسمى فيما سبق «هضب القليب» وعامة أهل نجد يسمونه اليوم «هضب القتاد».

أسد، والمشهور عند جميع الرواة أن الشَّرِبَة واقعة في بلاد غطفان.

وقد سمى الرَّضْم بهذا الاسم لكثرة هضابه، وربما قيل له: رضام، قال السيد الحميري:

وَأصْبَحَ راسيا برضامَ دَهْراً وسَالَ به الحمائلُ في الرِّمَالِ

الرِّمال: هو «عريق الدسم» الواقع في شرقي الرضم، وقال تميم بن [أبي بن] مقبل:

أرِقْتُ لِبَرْق آخر دُوْنَهُ رِضَام، وهضب دون رمَّان أفيح

وقال عمرو بن الأهتم التميمي وقد أوردنا هذا البيت فيما مضى على ذكر أوعال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ وَأطْلَالِ بذى الرَّضْمِ فالرّمانتين فَأوْعَالِ

وقال الرّاعي في ذكر الجثوم والمضيح:

تروحن من هضب الجثوم، وَأصْبَحَتْ هضابُ شَرُوْرَىٰ دُوْنَه فالمضيحُ

وهضب شَرَوْرَىٰ هو الذي مرَّ ذكره، وهو اليوم يسمى «هضب الشرار» وقال القتَّال الكلابي في المضيح(١):

عفا لَفْلَف من أهْلِه فِالمَضيَّحُ فليس به إلّا الثَّعَالِبُ تَضْبَحُ

وقال الطرماح:

وليس بأدمان الثنية مَوْقِدٌ ولا نابحٌ من آل ظَبْيَة يَنْبَحُ
لَئِنْ مرَّ في كرمان ليلي، فربّما حلا بين تَلَّىْ بابل فَالْمُضَيَّحُ

---

(١) انظر هذه الشواهد في المعجم ٨ /٨٢.

وقال كثير:

فأصبحن باللّعْبَاءِ يرمين بالحصىٰ مدى كل وحشّيٍّ لَهُنّ ومُسْتَمِ
موازنة هضب المضّيح، واتقت جبالَ الحمىٰ واَلْأَحْشَبَين بأخرُمِ

لقد أصاب كثير، لأن اللعباء مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم، وهي مقابلة للمضيح في الجهة الشمالية وجبال الحمى في الجهة الشرقية، أما العسيبيات فقد قال الأصمعي: إن في عالية نجد جبلاً يقال له عسيباء، وأما الشعب الذي أضفناه للعسيبيات فلم أر له ذكراً في الشعر القديم، وأما أبو طريفى فهو ماء حديث يعلم خروجه المسِنُّون من أهل نجد، وأما الغثمة: فلم أر من ذكرها في الشعر القديم بهذا الاسم وأما طلال فهو ماء معروف بهذا الاسم في الجاهلية، قال أبو صخر الهذلي[1]

يُفيـدُون القِيــانَ مُقينَــاتٍ كَأَطْلاءِ النّعَاجِ بِذِى طلالِ
وصُلْبَ الأرحبيــةً وِالمَهَــارِي محسنــة تَزَيَّـنُ بالرِّجَــالِ

وعنده جبل يقال له جبل طلال، قال الفرزدق:

في جَحْفَلٍ لَجِبٍ كأنّ زُهَاءَهُ جبل الطلال يضعضع الأَمْيَالا[2]

وأما «حسى عليا» فبالقرب منه ماء يقال له: المرير، والمريرة وفي بعض الأشعار يضاف الحسى إليها، قال الشاعر:

أَيَا نَخْلَتّيْ حِسى المريرةِ هَلْ لَنَا سبيلٌ إلىٰ ظليكما أو جَناكُمَا
أَيَا نَخْلَتَيْ حسى المريرةِ، لَيْتَنِى أكونُ طوالَ الدّهْرِ حَيْثُ أَرَاكُمَا

سمى المرير والمريرة لأن ماءه ملح، قال أعرابي، وهو يصبُّ لأبله

---

(١) انظر المعجم ٦ /٥٣.
(٢) رواه ياقوت «جبل الطلاة».

وتكظم عليه ولا تُسيغه:

هذا المريـر فَاشْرَبِيْـهِ أو ذرى إنّ المريرَ قِطْعَةٌ من أحْضَرِ

وأما «النفازى» فلم نجد له ذكرا في شعر الجاهلية، وهو بهذا الاسم، وأما بلغة اليومَ فلم نجد لها ذكرا أيضا وهي بهذا الاسم اليوم.

قلت: وقد وَقَفْتُ على ذكر النِّفَازي بكسر النون وفتح الفاء بعدها ألف فزاي مكسورة فياء النسبة في إمارة المدينة (بمنطقة الربدة) سكانه من بني عمرو بن حرب. هكذا ذكره حمد الجاسر[1].

وما وان قد تقدم الكلام عليه في بائية امرىء القيس[2].

وقد حدد الشَّرَبَّة جميع الرواة الخبيرين بنجد وبقاعها كالأصمعي، وآخر تحديد لها تحديد الكاتب الأديب رشدى ملحس، ونحن استقصينا في تحديدها فيما قدمناه قريباً، وهذه التحديدات التي ذكرها الناس وان اختلفت عبارتها فهى متقاربة المعنى، وقال بعض الشعراء[3]:

وإلى الأميرِ مِنَ الشَّرِبَة واللِّوىٰ عَيَّيْتُ كلَّ نَجِيْبَـةٍ شِمْـلَالِ

واللوى الذي قَرَنه بالشَّرِبَة في هذا البيت هو الكثيب الذي ذكرنا أنه حَدُّها الشّرقي الذي يقال له اليوم «عريق الدسم» والعرب تسميه الدّسم في الجاهلية، قال أعرابي يرثى أخاه وقد قبره في هذا العُرَيْق[4]:

وَقَفْنَا على قَبْرٍ بِدَسْمٍ فَهَاجَنَا وذكَّرنَا بالْعَيْشِ إذ هو مُصْحَبُ
فَجَالَتْ بأرجاء الجفون سَوَافِحٌ من الدَّمْع تَستلى الّتي تتعقَّبُ

---

(١) المعجم المختصر القسم الثالث ص ١٤٧٦.
(٢) ص ٨٥ من هذا الكتاب
(٣) المعجم ٥/ ٢٤٩.
(٤) المعجم ٤ /٦٠.

إذا أبطأتْ عن سَاحَةِ الخدِّ سَاقَهَا دَمٌ بعد دمع إثْرَهُ يَتَصَبَّبُ
فَإن تُسْعِدا نندبْ عبيدا بعْولَة وَقَلَّ لهُ مِنَّا الُبكَىٰ والتحوُّبُ

وقال في ذكر الشَّرِّبَّة ضبابُ بن وقدان الظِّهْرِي :

لَعَمْرِى لَقَد طَالَمَا غَالَنِي تَدَاعِى الشَّرِّبَّة ذاتِ الشَّجَرْ

واستعمل هشام بن عبد الملك الأسود بن بلال المحاربى على بحر الشام فقدم عليه أعرابي من بني عمه، ففرض له وأغزاه البحر، فلما رأى البدويُّ تلك الأهوالَ قال[1]:

أقولُ وَقَدْ لاَحَ السَّفِينُ مُلَجْلِجاً وَقَد بَعُدَتْ بَعْدَ التَّقرُبِ صُورُ
وقد عَصَفَتْ رِيحٌ، وللمَوْجِ قاصف، وللبحرِ من تحت السّفين هَدِيْرُ
أَلَا ليتَ أجْرى والعطاء صَفَا لهم وحظى حظُوظ في الزمام وكورُ
فلله رأىٌ قَادَنِـــي لسفينـــةٍ وأخضر مَوَّار الشَّرَار يَمُـــورُ
ترى متنه سهلًا اذا الريح أقلعت وان عصفت فالسَّهْلُ مِنه وعُورُ
فيابْنَ بلالِ للضَّلَال دَعَوْتَنِـي وَمَا كَانَ مِثْلِي في الضّلالِ يَسِيْرُ
لَئِنْ وَقَعَتْ رجلاى في الأرضِ مَرَّةً وَحَانَ لأصحَابِ السّفيْنِ بُكُورُ
وسُلِّمْتُ من موج كأن متُونه حِرَاء بَدَتْ أركانُـــه وثَبِيْـــرُ
ليعترَضَّن اسْمى لدى العرض خلقه وذلكَ إن كان الإيابُ يَسِيْرُ
وقد كان لي حولَ الشربَّة مقعَد لذيذ وعيشٌ بالحديث غَرِيْرُ
أَلَا لَيْتَ شِعرى هَلْ أقولن لفتيَةٍ وقَدْ حَانَ مِنْ شَمسِ النهَارِ ذُرُوْرُ
دَعُوا العِيْسَ تُدْنِى للشَّرِّبَّة قافلاً له بَيْنَ أمواجِ البِحَارِ وكُورَ

وذكروا أن الشَّرِبَّة هي أشد نَجْدٍ قرّا.

وأما أورال: فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم، وذكر أصحاب المعاجم[2] أن أورال ثلاثة أجبل سود في جوف الرمل، الواحد ورل، فيقال: الورل الأيمن،

(١) المعجم ٥ /٢٤٩.
(٢) المعجم ١ /٣٧٠.

والورل الأيسر، والورل الأوسط وحذاؤهن مَاءَةٌ لبني عبد الله بن دارم يقال لها: الورلة، قال عبيد بن الأبرص:

وكأن أقْتَادي تضمن نَسْعَهَا من وحش أورالٍ هبيط مُفْرَدُ
بَاتَتْ عليــه ليلــة رَجَبِيَّــة نَصْبَاً تَسِحُّ الماءَ أوْ هى أبْرَدُ

وهذا الجبل في بلاد بني تميم[1] وظني أنه هو الذي عناه امرؤ القيس وأما أرال في قول كثيِّر:

ألَا لَيْتَ شِعْرِى هل تَغَيَّر بَعْدَنَا أرَالٌ فَصِرْمَا قَادِم فَتَنَاضِبُ؟!.

فهو جبل بالحجاز، وأنا أعرف تناضب بهذا الاسم اليوم، وقد وردتها، وهي واقعة من بلد الحناكية في جنوبيها الغربي، في واد كثير الشجر، وتناضبه عظيمة، وظنى أنه لم يسم التناضب إلا لكثرة شجره، وهو واد مشهور بهذا الاسم، وظنى أن سيله يصب في أودية المدينة.

قلت : وقد تحدث صاحب معجم اليمامة عبد الله بن خميس في الجزء الأول عن أورال، فقال: أوْرَال : بالفتح، واسكان الواو، وفتح الراء، ولام ... قال ياقوت أَجْبُلٌ ثلاثة سود، في جوف الرمل، الواحد ورل، فيقال، الورل الأيمن والورل الأيسر، والورل الأوسط، وحداهن ماءة لبني عبد الله من درام يقال لها: الورلة، قال عبيد بن الأبرص :

وكــأنَّ أقْتَــادي تضمـــن نسعهـــا
من وَحْش أوْرَال هبيـــــط مُفْــــرَدُ

باتَتْ عليــــه ليلــــة رجبيّـــــة
نصبـا تسح المـــاء أوْ هـــي أبْـــرَدُ

وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل .... أهـ.

(١) قال ياقوت «وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل» المعجم ١ /٣٧١.

وقال في (بلاد العرب): والأعراض، أعراض اليمامة، وهي أودية وجبال فيها نخيل... قال:

يا صاحبي قفا على الأطـلال بالخل فالظفـرات من أَوْرَال
فَبِحَوْضيين إلـى براق نواضح قد طال ما بقيت على الأَحْوَالِ

أَوْرال: برقةٌ سوداءُ في الرمل من بلاد عبد الله بن بكر ...أ.هـ.

وذكر البكري أورال في بلاد الحجاز ... وقال الهمداني: الأنعيم، وهو الأنعم، وأورال، والدخول، وحوملٍ وتوضح، والمقراة، وماسل ودارة، جلجل... أ.هـ وأنا لا أعرف جبلاً بهذا الاسم زماننا هذا ...

قلت: ثم ذكر أورل، فقال:
أورل: بالفتح، ثم الاسكان، فالفتح، ولام أخيرة ... قال ياقوت: أورل بوزن أحمر، ذو أورل: حصن من حصون اليمامة عادي ... ا.هـ.

قلت: لا نعرف أين يقع هذا الحصن من أرض اليمامة ولا من بناه[1].

* * *

٥٦ ــ وقال امرؤ القيس:

حَيِّ الْحُمولَ بِجَانِب الْعَـزْلِ إِذْ لا يُلَائِمُ شَكْلُها شَكْلِي
مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّـةُ الْعَقْـلِ

العزل

قال في معجم البلدان[2]: العزل ماء بين البصرة واليمامة، وهناك موضع يقال له اليوم «المَعِيْزِيْلَة» وهي أكثبة رَمْلٍ قليلة بين اليمامة والدهناء معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد.

* * *

(١) المعجم ١/١٢٢.
(٢) المعجم ٦ /١٧٠.

٥٧ ــ وقال امرؤ القيس:

لمّا سَمَا مِنْ بَيْن أقْرُن فالـ أجبـال قُلْتُ: فِدَاؤُهُ أهْلِـي
هَمٌّ سيبلغـه التَّمَـامُ فَذَا ظَنِّى بِهِ سِيَنَـاَلُ أَوْ يُبْلِي

أقرن أما أقرن فقد قال في معجم البلدان[١]: هو موضع واستدل ببيت امرىء القيس هذا، وهناك موضع يقال له «قرن» جبل أسود في أعلى بلاد غطفان، باق بهذا الاسم، وذكروا أن الأجبال التي عناها امرؤ القيس هي أجبال صبح، وهي كذلك في بلاد غطفان، فسميت بأجبال صبح، وصبح هذا: رجل من عاد كان يسكنها فسميت به، لأنه كان يطيل الإقامة فيها، قال الشاعر:

ألَا هَلْ إلىٰ أجبال صبح بذى الْغَضَىٰ غضى الأَثْل من قبل الْمَمَاتِ مَعَادُ؟
بلادٌ بِهَا كُنَّا، وَكُنَّا نُحِبُّهَا إِذِ الأَهْلُ أَهَلٌ، والبلادُ بِلَادُ

وأنا لا أعرفها اليوم بهذا الاسم.

* * *

٥٨ ــ وقال امرؤ القيس:

يَا دَارَ مَاوِيَّـةَ بِالْحَائِـلَ فَالسَّهْبِ فَالْخُبتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

حائل أما حائل هذه فلا أظن أنه عنى بها حائلاً الواقعة في جبلى طيء. وأما
السهب السهب فهو موضع معروف تصب فيه أودية اليمامة ويقال لها اليوم «السهباء» قال طُفَيل الغَنَوى وقد ذكر السهب[٢]:

وَبِالسَّهْبِ مَيْمُون الخَلِيْقَةِ، قَوْلُهُ لِمُلْتَمِس الْمَعْرُوفِ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

وقال جرير وأتى به مقصورا:

(١) المعجم ١ /٣١١.
(٢) المعجم ٥ /١٨٤.

كلفتُ صَحْبِيَ أَهْوَالاً علىٰ ثِقَةٍ   لله دَرُّهُمُ ركباً وما كَلفُوا
سَارَوا إلَيْكَ من السَّهْبَا ودُوْنَهُمُ   فَيْحَانُ فَالْحَزْنُ فالصمَّانُ فَالْوَكَفُ
يُزْجُونَ نَحْوَكَ أَطْلَاحاً مُخَذَّمَة   قَدْ مَسّها النَّكْبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْعَجَفُ

والسَّهْبٰا في أسفل بلد الخرج تصبُّ فيها سيولُ أوديةِ اليمامة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

خبتا عاقل

وأما الخبتان من عاقل فإن أصل الخبت ما انخفض من الأرض، وقد أضاف امرؤ القيس الخبتين إلى عاقل، فمراده بالخبتين المنخفض من جانبي عاقل، وعاقل باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو واد عظيم يصب في وادي الرمة يسمى اليوم بالعاقلي، وقد مضى الكلام عليه[1].

قلت: وقد ذكر السَّهْبٰا كثير من المؤلفين، فقد ذكرها حمد الجاسر في المعجم الجغرافي المختصر (القسم الثاني ص ٧٥٢)، وقال: السَّهْبٰا: بفتح السين المهملة وإسكان الهاء وفتح الموحدة بعدها ألف، والعامة تسكن السين وتفتح الهاء (السهبا): من قرى الخرج، في روضة السهبا في إمارة الرياض.

كما جاء ذكرها في معجم اليمامة صنعة عبد الله بن خميس الجزء الثاني / ٣٩ قال:

السَّهْبٰا: بفتح السين المشدَّدة، واسكان الهاء فباء مفتوحة، فألف تقصر وتمد لغتان فيها: منطقة واسعة من (الخرج)، وروضة من أكبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي (حنيفة)، ومدفع سيوله يكبر سيله أحياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع ... غرست امرأة فسيلة لها على ضفة وادي (حنيفة) في مجزر منه يلي مزرعتها، يغطيه السيل أحياناً

---

(١) انظر ص ١١٢ و ١١٤ من هذا الكتاب

ويجزر عنه أحيانا أخرى .. ولما شطت الفسيلة وتربعت في مكانها وآتت أكلها جاءها وادي (حنيفة) في غضبة من غضباته وجعل يلوى بعسبها، ويحفر تحت جذرها، وصاحبتها تشاهد هذا المنظر.. وأخيراً عصف بها وحملها تطفو حيناً وترسب حيناً حتى اختفت عن نظر صاحبتها، فما وجدت من حيلة تبرد من حرارتها على نخلتها سوى أن قالت موعدك (السهباء) ياوادي حنيفة تحد من طغيانك وتكسر من جبروتك .. وهكذا (السَّهْبٰاء) في سعتها.. هكذا تفعل.

امتدت إلى (السهباء) مزارع (الخرج، وأصبح بجانبها بلد ومحطة للسكة الحديدية ومعسكرات ونشاط عمراني وزراعي.

و(السَّهْبٰاء) على مقربة من (الخِضْرِمةَ) قصبة (اليمامة) وقاعدتها الحضارية الأولى أيام بني حنيفة، وأيام بني الأخيضر؟

قال الهمداني: ثم تسير في (السهباء)، ثم تقطع جبيلا قريباً، يقال له (أنقد)، ثم (الرَّوْضَة)، ثم ترد (الخِضْرِمةَ)(جَو الخَضَارِمِ) مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيصر بن يوسف وهي دار بني عدى بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، وديار هوذة بن علي السحيمي الحنفي، وهي أول (اليمامة) من قصد البحرين. أ هـ.

وقال ياقوت: (السَّهْبٰى) بلد من أعلى بلاد (تميم). أ هـ.

قلت[1]: المعروف أن (السهباء) ليست من بلاد (تميم)، بل هي لـ (حنيفة) .. وفي (السهباء) يقول جرير:

كَلَّفْتُ صحبي أَهْوَالاً على ثِقَةٍ ... لله درّهم رَكْباً وَمَا كَلِفُوا
سَارَوا إليك من السّهبىٰ وَدُوْنَهُم ... فَيْحَانُ فَالْحَزْمُ فالصمّانُ فالوكف
يُزْجُونَ نَحْوَكَ أَطْلَاحاً مُخَدَّمة ... قَدْمَسهَا النّكْبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْعَجَفَ

(١) : الكلام لابن خميس.

آلو عَلَيْهَا يَمِيْناً لا تكلّمُنَا مِنْ غَيرِ سَوْءٍ وَلَا مِنْ رِيْبَةٍ حَلَفُوا
يَا حَبّذَا الْخَرْجُ بِيْنَ الدّامِ وَالأدَمىٰ فالرَّمْثُ من بَرْقَةِ الرَّوْحَانِ فَالغَرْفُ

قلت: وقد مرّ ذكر بعض هذه الأبيات.

* * *

٥٩ ــ وقال امرؤ القيس :

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَىٰ وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأَمَيْنِ عَلَى نَابِلِ
إذْ هُنَّ أقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبىٰ أوْكَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ

كاظمة: منْهَل ماء في الساحل الشرقي مما يلى البصرة، ماؤها على ظهر الأرض، تَرِدها أسراب القطا، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال الشاعر[1]:

يَا حَبَّذَا الْبَرْقُ من أكْنَاف كَاظِمَةٍ يَسْعَى على قَصَرَاتِ المَرْخ والعُشَرِ
لله دَرُّ بيوتٍ كان يَعْشَقُهَا قَلْبى وَيَأْلَفُهَا إن طيبّت بَصَرِى
فقدتُها فَقْدَ ظمآنٍ إداوتَهُ وَالْقَيْظُ يَحْذِفُ وَجْهَ الأرض بِالشَّرَرِ
أُمْنِيَّةُ النَّفسِ أنْ تزداد ثَانِيَةً وَحَالُنَا وَالْأمَانِى حُلْوَةُ الثَّمَرِ

* * *

٦٠ ــ وقال امرؤ القيس:

فَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيْحَ في حَجَرَاتِهِ وَلٰكِن حَدِيْثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

إلى أن قال:

أَبَتْ أجأ أنْ تُسْلِمَ الْيَوْمَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مقَاتِلِ
تَبِيْتُ لَبُونِى بِالْقُرَيَّةِ أمْنَاً وَأَبْعَثُها غبَّاً بأكْنَافِ حَائِلِ

(١) المعجم ٧ /٢٠٨.

أجأ أما أجَأ: فهو الأول من جبال طيء الواقع في الجهة الشمالية من حائل ولا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو جبل أسود به حُمْرة، به قلات[1] تلزم الماء، وبه نخيل عظيمة.

القرية والقرية مشهورة اليوم باسم عقدة، والقرية المشهورة بهذا الاسم في جهة حائل الجنوبية، فإذا قلتَ القريتان فالقريتان قريب النباج شرقى القصيم، قال معن بن أوس[2]:

لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ وَمَصْدَرٌ   لفوت فلاة لا تَزَالُ تنازِلَهُ

وقال جرير:

تَغْشَى النباجَ بَنُو قَيْسٍ بنِ حَنْظَلة   والقريتين بِسُرَّاقٍ وَنِزَالِ

٦١ ــ وقال امرؤ القيس :

نَزَلْتُ عَلَىٰ عَمْرو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْطَةً   فَيَا كَرْمَ مَا جَارٍ وَيَا حَسْنَ مَا فَعَلْ
تَظَلُّ لَبُونِى بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ   تُرَاعى الْفِرَاخ الدَّارِجَاتِ مِن الْحَجَلْ

بلطة أما بلطة فهو موضع معروف بهذا الاسم إلى اليوم، وهو واقع في جبل

---

(١) القلات : جمع قلت ــ بالفتح ــ وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.
(٢) الذي في بيت معن بن أوس وبيت جرير «القريتين» ــ بفتح القاف وسكون الراء ــ على لفظ تثنية قرية، لكن الذي في بيت امرىء القيس بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة، وكأنه مصغر قرية، وقد نص أبو عبيد البكري على أن القريتين من منازل تميم، وأنشد فيه قول مالك بن نويرة :

فمجتمع الأسدام من حول شارع   فروى جبال القريتين فضلفعا

وقال : إن شارعا من منازل تميم. وأقول : إن ضلفعا هذه في أعلى القصيم ويقال لها اليوم «الضلفعة».

طيئ في الزمن القديم وقد قال امرؤ القيس في رائيته:

ألا إنَّ في الشِّعْبَيْنِ شَعْبٌ بِمِسْطَحٍ وَشِعْبٌ لَنَا في بَطْنِ بُلْطَةَ زَيْمَرَا

وقال سلام بن درماء الطائي[1]:

إِذَا مَا غَضِبْتُ أَوْ تَقَلَّدْ مُنصُلِي فَلأيَاً لَكُمْ في بَطْنِ بُلْطَةَ مَشْرَبُ
فَإِنَّكُـمُ وَالْحَـقُّ لَوْ تَدَّعُوْنَـهُ كما انتحلت عِرْضَ السّمَاوة أهْيَبُ
كَسِنْبِسِنا المُدْلِيْنَ في جَوٍّ بُلْطَة أَلَا بِئْسَ مَا أَدْلَوْا به وَتَقَرَّبُوا

وقدمت أعرابية من أهل جبلي طيء إلى مصر، فمرضت، فأتاها النساء يعرضن لها ويعللنها بالكعك والرمان وأنواع الفواكه، فقالت:

لَأَهْلُ بُلْطَةَ إذ حَلُّوا أَجَارِعَهَا أَشْهىٰ لنفسَى مِنْ أَبْوَابِ سودانِ
جاءُوا بِكَعْكٍ وَرُمَّان ليشفينى ياوَيْحَ نَفْسِي من كَعْكٍ وَرمَّانِ

جو بلطة

وأما جو: فهو مضاف إلى بلطة، يقال له «جوبلطة» .

مسطح

ومسطح موضع مشهور على ألسنة الرواة في جبلى طيء بهذا الاسم، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولعل سكان تلك الناحية يعرفونه اليوم بهذا الاسم.

قلت: قد وقفنا بعد السؤال والبحث على تحقيق هذه الأسماء فوجدناها باقية على أسمائها إلى هذا العهد وهي جو، ومسطح، وبلطة، وزيمر، أما بُلطة: فهي عين ماء عليها نخيل وَمَزَارع وموقعها في أجأ، تقع من حائل في الجهة الغربية الجنوبية، وزيمر: واد به ماء يقع شماليه، وأما مسطح فقد تغير اسمه وصار اسمه اليوم «مسيطح» يقع في شمالى حائل، وجو: قريب بُلْطة وهي جميعها في جبل أجأ.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٢ /٢٧١.

٦٢ ــ قال امرؤ القيس :

قَدْ أَقْطَعُ ٱلْأَرْضَ وَهْيَ قَفْرٌ وَصَاحِبِــي بَازِلٌ شِمْــلَالُ
نَاعِمَــةٌ نَائِــمٌ أَبْجَلُهَــا كَأَنَّ حَارِكَهَــا أَثَــالُ

وصف امرؤ القيس حاركها[١] بأثال الذي هو القصر، وقد تقدم الكلام عليه في معلقته على ذكر الجِوَاء[٢].

* * *

٦٣ ــ وقال امرؤ القيس، وأنا أشك[٣] في أنها من شعره،وإن اثر الصنعة لبادٍ عليها :

لِمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الْجُدَيَّة وَالْجَبَلْ مَحَلٌّ قَدِيْمُ الْعَهْدِ طَالَتْ به الطِّيَلْ
عَفَا غيرَ مرتادٍ وَمَرَّ كَسَرْحَبٍ وَمُنْخَفِضٍ طَامٍ تَنكَّرْ وأُضْمَحَلْ
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سكنْ ارْتَحَلْ

جدية أَمَّا جُدَيَّةُ: فهو موضع معروف في الزمن القديم بهذا الاسم في بلاد طيء، قال شاعرهم:

وَهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهْرَ من ماء مُزْنَةٍ علىٰ عَطَشٍ مما أقر الوقائع
بقيع التناهي أو بهضب جُدَيَّةَ سَرَىٰ الغَيْثُ عَنْهُ وهو في الأرض نَاقِعُ

وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم، وأما الجبل: فهو جَبَل أجأ، وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا عند عامة أهل نجد.

* * *

(١) الحارك : أعلى الكاهل، وأراد ناقة تامة الخلق قوية على السير.
(٢) انظر ص ٥٩ و ٦٣ من هذا الجزء.
(٣) الكلام لابن بليهد رحمه الله.

٦٤ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَمْ أُخبِرْكَ أنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ ختُولُ الْعَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالَا
أزَالَ مِنَ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا

المصانع

المصانع في الأصل: الأبنية، وقد ذكر المفسرون في بيان قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[1] أن المصانع: الأبنية، وقال لبيد:

بَلِينَا وما تَبْلَى النّجوم الطَّوَالِعُ وَتَبْقَىٰ الدِّيَارُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ

والمصانع: التي عناها امرؤ القيس في قصيدته اسم لِمِخْلَاف باليمن كان يسكنه ذو رياش، وهو باق على اسمه إلى يومنا هذا، ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع: منها موضع من أعمال صنعاء يقال له «المصانع» وفي الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية قرية يقال لها المصانع، ذكرها صاحب المعجم، وذكر أنها لم تدخل في صلح خالد ابن الوليد، ولا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٦٥ ــ وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَسْمُرْ بِدَمُّونَ مَرَّةً وَلَمْ أَشْهَدِ الْغَارَاتِ يَوْماً بِعَنْدَلِ
وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الْخَيْرِ ربنا وَإِذْ نَحْنُ لا نُدْعىٰ عَبِيداً لِقَرْمَلِ

دمون

فأما دَمُّون: فهي قرية من قرى اليمن القديمة، وقد قال امرؤ القيس غير هذا البيت:

تطاولَ الليلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُون
* وإنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونْ *

(١) الشعراء الآية ١٢٩.

عندل وأما عندل فهي واقعة في بلاد اليمن، واستدل عليها أهل المعاجم ببيت امرىء القيس وهي مشهورة في أشعار كثيرة، وأنا لا أعلم أهي باقية على إسمها أم تغيرت.

* * *

٦٦ ــ وقال امرؤ القيس:

خَرَجْنَا من النَّقْبَيْنِ لا حَيَّ مِثْلُنَا ... بِآيَاتِنَا نُزْجِى اللِّقَاحَ الْمَطَافِلَا

النقبان النقبان: باقيان على اسمهما إلى هذا العهد، وهما في جبل في شمالى أجأ، إذا كنت في مدينة حائل فالنقبان بينك وبين القطب الشمالي وقد أطلق عليهما هذا الاسم لأنها نقبان في وسط جبل من جبال أجأ وإذا طلعْتَ نقبا خرجت منه على نخيل ومزارع وسكان، ثم تطلع النقب الثاني فإذا استويت في أعلى الجبل طلعت على نخيل ومزارع وسكان، وهذا الجبل ينتابه أهل مدينة حائل لتغيير الهواء فيه، وهذه الأسماء باقية من العهد الجاهلى إلى هذا العهد.

وهذا البيت قد أورده ابن كثير رحمه الله في أول تفسيره قبل الفاتحة منسوباً إليه.

* * *

٦٧ ــ وقال امرؤ القيس:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ ... فَعَمَايَتَيْنِ فَهَضْبِ ذي اقْدَامِ
فَصَفَا الأطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِرٍ ... تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ
عوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعَلَّنَا ... نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حذَامِ[1]

---

(١) قلت : والبيت في رواية أخرى : (.. كما بكى ابن خذام).

أما سحام: فهي موجودة بقريب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي واقعة بين دَمْخ وثهلان، ويقال لها اليوم «السحاميات» إذا جمعتها، وإذا أفردت إحداهن قلت لها «السُّحَامية» وهي على شكلين: أما الواقعة في جهة الجنوب مما يلى دمخ فيقال لها «السحامية السوداء» وأما الشمالية فيقال لها «السحامية البيضاء» لأنها كثيرة الأبارق تقرب من طرف ثهلان، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، وهي واقعة في بلاد بنى كلاب بن عامر، وفيها يقول عامر بن الكاهن الكلابي[1] سحام

وَمَنْ يَرَنِى يوم السُّحَامة فَوْقَنَا عَجَاجـةُ إِذْوَادٍ لَهُـنَّ حَوَائِـرُ
إذا خَرَجَتْ من محضر سد فرجها خفافٌ مُنِيفات وجذع بهازر
دَعُوا الْحَرْبَ لا تَشْجَوا بها آلَ حنتر شَجَا الحلْق إِنَّ الْحَرْبَ فيها نَهَابِرُ
ولا تُوعِدُونا بالغِوَار فإننا بني عمنا فيها حُمَاةٌ مَغَاور
على كل جرداءِ السَّرَاة كأنّها عُقَاب إذا ما حَثَّها الحربُ كاسرُ
مُحَالفة للهَضْب صَقْعاء لَفَّهَا بِطَحْفَة يوْم ذو أهاضيبَ ماطِرُ

أما عَمَايتان فقد تقدم الكلام عليها في بائية امريء القيس[2]. عمايتان

وهضب ذي اقدام هو الهضب المشهور الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقد تقدم الكلام عليه في أول أشعار امريء القيس، وقد ذكرنا مياهه ووصفنا موقعه، وكان اسمه في الجاهلية «هضب ذي اقدام» وأما اليوم فيقال له «هضب آل زايد».

وأما «صفا الأطيط» فلا أعرفه بهذا الاسم، إلا أن صاحب معجم البلدان قال[3]: إنه موضع، واستدل له ببيت امريء القيس. صفا الأطيط

(١) انظر معجم البلدان ٥ /٣٤.
(٢) انظر ص ٨٥ من هذا الكتاب
(٣) معجم البلدان ٥ /٣٣٠، ٣٦٦.

صاحتان أما صاحتان فهما هضبتان حمراوان يقال لإحداهما «صاحة» وللثانية «صوحة»وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي التي عناها امرؤ القيس، ويحف بصاحة وادي الركى من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السوادة فهي في طرفه الجنوبي مما يلي مطلع الشمس، تقع من ماء الأرمض المعروف في بطن الركى في جهته الجنوبية الشرقية بينها أقل من مسافة ثلث يوم، وهي من طرف السوادة كذلك، وأما «صوحة» فهي مُتاخمة لها من جنوب، قال بشر بن أبي خازم:

لَيالىَ تَسْتَبِيْك بِذى غُرُوب ... كأن رُضَابــه وَهْنَــاً مُدَامُ
وأبلج مُشْرِق الخدَّيْن فَخْـم ... يُسَنُّ على مَرَاغِمِـه القَسَامُ
تعرض جابة المِدْرَى خَذُولٍ ... بصاحـة في أسرتهـا السلام
وصاحبُهَا غَضِيْضُ الطَّرف أحْوَىٰ ... يضوع فؤاده منهـا بُغَـام

غاضر أما غاضر: فلا أعرفه بهذا الاسم، أعرف «غَضْوَرا» وهو باق إلى يومنا هذا، وهو واقع في بلاد بني أسد، وقد مضى الكلام عليه في شعر امريء القيس[1] وأسمع في أشعار العرب غضارا وهو جبل في بلاد هذيل، قال ابن نجدة الهذلي:

تغنــى نسوة كنقــى غضار ... كأنك بالنشيــد لهــن رام

وثمة موضع يقال له «الغَضَوَّر» في حجاز المدينة، قال الشماخ:
فأوردها ماءَ الغَضَوَّر آجنـاً ... له عَرْمَض كالغسل فيه طموم

وأما امرؤ القيس فإنه عطف غاضرا على صاحتين، فلا يكون غاضر الا في القطعة الجنوبية من نجد، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

* * *

(١) انظر ص ١٢٦ و ١٢٧ من هذا الكتاب

٦٨ ــ وقال امرؤ القيس:

أوَمَا تَرَىٰ أظْعَانَهُنَّ بَوَاكِراً كَالنَّخْلِ من شَوْكَانَ حِيْنَ صِرَامِ
جُورٌ تُعَلَّلُ بالْعَبِيْرِ جُلُودُهَا بِيْضُ الوُجُوه نَوَاعِمُ الْأجْسَامِ
فَظَلْلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيارِ كأنَّنِي نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ
أُنفٍ كَلَوْنِ دَمِ الْغَزَالِ مُعَتَّقٍ مِنْ خَمْرِ عَانَة أو كُرُومِ شِبَامِ

شَوكان الذي ذكره امرؤ القيس: قرية يمانية في ناحية ذَمَارٍ، وهي التي ينسب إليها الشوكاني صاحب «نيل الأوطار، في شرح منتقى الأخبار» المشهور، وهي غير شوكان الواقعة بين سرخس وأبيورد، والتي ينسب إليها أبو الوفاء عتيق بن محمد بن عبيس الشوكاني. شوكان

وأما عانة فهي بلدة مشهورة واقعة بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة، وهي التي عناها الأعشى حين قال[١]. عانة

كأنَّ جَنِيّاً من الزَّنْجَبِيل خالط فيها وَأرْياً مَشُوَرا
وَإسْفَنْطَ عانَةَ بَعد الرقا دِ شَكَّ الرِّصَافُ إليها غَدِيْرَا

وأنا لا أعلم أهو باق على اسمه إلى هذا اليوم أم تغير[٢]

وأما شبام: فهو جبل عظيم قريب صنعاء، ذكروا أن مياه صنعاء تصب منه، وقالوا: إن بينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ، وهو باق بهذا الاسم إلى اليوم، وكان هذا الجبل كثير القر، قال شاعر يماني: شبام

مازال ذا الزمنُ الخبيثُ يُديرني حتّى بَنَى لِيَ خيمةً بِشِبَامِ

* * *

(١) المعجم ٦ /١٠٢.
(٢) قلت : وعانة اليوم في العراق وباقية على اسمها حتى اليوم.

٦٩ ــ وقال امرؤ القيس:

فَجُزِيتِ خَيْر جَزَاءِ نَاقَةَ وَاحِدٍ ... وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ الْقَرَى بِسَلَامِ
فَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَوَصْلُ كُتَيْفَةٍ ... وَكأنَّما من عَاقِلٍ أرْمَامُ[1]

بدر أما بدر: فهو موضع مشهور كانت به الوقعة المشهورة بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العُزيَّ، وقد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، وهو قد كُفَّ بصره، وكانت قريش قد منعت النياحة على قتلى بدر، تصنعا لِلجَلَد، ولئلا يشمت بهم المسلمون، فبينا هو ذات يوم إذ سمع نائحةً، فقال لغلام له: اذهب لعله أحِلَّ لنا النحيب، وقد بكت قريش على قتلاهم، لعلي أبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فإن جوفي قد احترق، فلما رجع الغلام عليه قال: إنما هي أعرابية تبكي على بعيرٍ لها أضلته فقال حينئذ:

أتَبْكِي أنْ يضلَّ لها بَعِيْرٌ ... ويمنعها من النوم السُّهُودُ
فلا تبكى على بَكْرٍ، ولكن ... على بدرٍ تقاصرتِ الجُدُودُ
على بدر سراة بنى هُصَيْصٍ ... ومخزوم ورَهْط أبي الوليدِ
وَبَكيَّ ان بكيتِ على عقيل ... وبكى حارثاً اسدَ الأسودِ
وبكِّيهم ولا تَنْسَيْ جميعا ... وما لأبى حكيمة من نديد
إلا قد ساد بعدُهُم رِجَالٌ ... ولولا يوم بدر لم يسودوا

وفي هذه الأبيات الإقواء، وقال في معجم البلدان[2]: وبدر جبل في بلاد باهلة ابن أعصر، وأنا لا أعلم في تلك الناحية المتصلة ببلاد باهلة

(١) في هذا البيت من عيوب القافية الاقواء، وهو اختلاف حركة الروى.
(٢) المعجم ٢ /٨٩.

جبلا يقال له بدر إلا أني أعرف بئراً شرقي الركى يقال لها «البدرية» عذبة الماء، وظني أنها نسبت إلى هذا الجبل المسمى بدراً، لأنها واقعة في جنوبى بلاد باهلة، تقع من الحَصَاة في الجنوب الشرقي، على مسافة يوم.

كتيفة

وكتيفة أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفة، الأول: واقع في بلاد بني أسد غربي سميراء يبعد عنها مسافة يوم، والثاني: واقع في بلاد غطفان في أعلاها، منقطع من أَبْلىٰ، وهو جبل صغير أسود يقع من أَبْلىٰ في الجهة الشرقية على مسافة نصف يوم، وسيأتى الكلام على أَبْلىٰ في معلقة الأعشىٰ، والثالث: في أسفل بلاد غطفان قريب مبهلٍ الوادي المعروف الذي يصب في وادي الرمة، وهو معروف بهذا الاسم، ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره، والرابع: واقع في حمى ضَرِية قريباً من الجبال المحيطة ببلد ضَرِية وهو في بلاد غنى ابن أعصر، والخامس: واقع غربي السحامية البيضاء، يبعد عنها أقل من مسافة نصف يوم، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره إلا الذي ذكر في معلقته فإنه كتيفة مبهل[1]، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كَأَبَانَين وقَطَن والمجيمر، والسادس: واقع في بلاد عقيل بن عامر في وَسَط عرق سبيع مقابل لماء القنصلية مما يلي مطلع الشمس، يبعد عنها مسافة يوم، قال جابر الكلابي:

أيَا نَخْلَتَىْ وادِى كُتَيْفَةَ حبذا ... ظلالُكُما لو كنتُ يوماً أنالُهَا
وماؤكما العَذْبُ الذي لو شربتُهُ ... شفاءً لنفسٍ كان طالَ اعْتِلاَلُهَا
مُعَنًّى على طول الهُيَام غَلِيْلُه ... بذكر مياهٍ ما يُنَالُ زُلاَلُهَا

وكتيفات التي تقدم ذكرهن باقيات إلى عهدنا هذا بهذا الاسم وأماكنهن متباعدة، والنخلات التي ذكرها الشاعر هي في أسفل وادي الخرمة المعروف لبني عقيل بن عامر، وهذه القبيلة باقية إلى اليوم في تلك

(١) قد مضى ذكره في ص ٥٧ من هذا الكتاب

الناحية في الواديين: وادي الخرمة،ووادي رنية، يقال لهم سبيع، ويقال لجماعات منهم إلى يومنا هذا: بنو عامر، وسبيع: بطن من عقيل بن عامر.

عاقل أما عاقل فسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أشعار زهير.

أرمام وأرمام: جبل معروف بهذا الاسم في الجاهلية في بلاد غطفان، وهناك جبيلات صغار يقال لها اليوم «الرميم» واقعة عن وادي الرمة شمالا، ولا أظن أنها هذا الجبل الذي ذكره امرؤ القيس، وكانت به وقعة من أيام العرب يقال لها «يوم أرمام» قال الراعي :

تبصّر خليلي هَلْ ترىٰ من ظَعَائِنٍ تَجَاوَزْنَ مَلْحُوباً فَقِلْنَ مُتَالعا
جواعل أرماماً شمالا وصارة يميناً، فقطَّعْنَ الوِهاد الدوافعا

وهناك موضع آخر يقال له «رمرم» وهو واقع في ضفة الشعبة في أعلى بلاد غطفان قريباً من أبلى، ولا أعلم موضعاً آخر يقارب اسمه هذا الاسم إلا هذين الموضعين اللذين ذكرتهما.

قلت: بل أرمام موضع معروف ذكره القدامىٰ والمعاصرون، فقد جاء في المعجم الجغرافي (شمال المملكة القسم الأول ٧٧) مايلي :

أَرْمَام: قال في «بلاد العرب»[١]: (ويصب في الثلبوت واد آخر يقال له أرمام، وبأسفل أرمام ماءة يقال لها الطريفة لبني جذَيمة وفوق ذلك ماءة يقال لها الفناة، بجنب جبل يقال له فنا.. ــ فنا غمر لعبس ــ ثم فوق ذلك ماءة يقال لها الغرقدة لنفر من بني نمير بن نصر بن أسد، ثم فوق ذلك ماءة يقال لها الخربة .. ثم فوق ذلك ماءة يقال له القليب ... ثم فوق ذلك ماءة وتسمى الحوراء لبني نبهان من طيء).

(١) «بلاد العرب».

وفي كتاب «المناسك»[1]: (من لحى جمل إلى بريد أرمام خمسة أميال ونصف) وقد ذكر أن بين لحى جمل وبين فيد ٣٣ من الأميال الأولى ــ وقال ــ : (وارمام وادى، مجمع أودية في الطريق في موضعين في الأول منها عن يمين الطريق بئر عادية يقال لها الطلوب وقباب خربة، وفي الموضع الآخر على أقل من ميل من البريد بيوت الأعراب قليلة عن يسار الطريق وبئر على نحو من دعوة ماؤها غليظ، يقال لها الخربة).

وفي «معجم ما استعجم»[2]: ارمام ــ بكسر أوله ــ موضع في ديار طيء أو ما يليها. قال زيد الخيل لما حضرته الوفاة بفردة، وهي ماء من مياه جرم:

أمُطَّلِعٌ صحبى المشارقَ غُدْوَةً   وأُتْرك في بيتٍ بفرْدَة مُفْرَدِ
سقَىٰ الله ما بين الْقَفِيل فطابَةٍ   فبرقة أرمام فما حول مُنْشِد
هنالِكَ لَو أنّى مُرِضتُ لعادَنِي   عوائدُ من لمْ يُشْفَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

وقال ياقوت: (أَرْمام: واد يصب في الثلبوت من ديار بني أسد، وقيل ارمام واد بين الحاجر وفيد، ويوم أرمام من أيام العرب. قال الراعي:

تبصَّر خَلِيلي هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ   تجاوزن مَلْحُوباً، فَقِلْنَ مُتَالعَا؟
جَوَاعِل أرماماً شمـالاً وصارةً   يَمِيْناً، فقطَّعْنَ الوِهَاد الدَّوَافِعا

وفي كتاب «متعة الأديب»: (أرمام موضع وراء فَيْد، بين الحاجر وفَيد، وهو واد)[3].

وفي «معجم البلدان» أيضاً: أزمام ــ بالزاى المعجمة: واد بين فيد والمدينة، على طريق الجادة، كان بينه وبين فيد دون ــ أربعين ميلاً.

---

(١) ص ٥١٦.
(٢) «معجم ما استعجم».
(٣) «معجم البلدان».

وفي كتاب «متعة الأديب»: أرمام وراء فيد، بين الحاجر وفيد، وهو واد، وهو بالراء المهملة[1] وتقدم.

وأقول[2]: يفهم من أوصاف المتقدمين لوادى أرمام :

١ ــ أنه يقع شمال طريق الحاج المار بتوز وسميراء والحاجر.
٢ ــ أنه يقع على طريق حاج البصرة إلى المدينة المار بفيد.
٣ ــ أنه قبل محاذاة توز فقد ذكر ياقوت أن الغمر بمحاذاة توز والحربي ذكر في «المناسك» أن الغمر بعد أرمام.
٤ ــ أنه يقع غرب فيد بميل نحو الجنوب حيث الاتجاه إلى الحجاز بـ ٣٨ ميلاً.

ويقول موزل في كتاب «شمال نجد»: (إن رحبة أرمام تقع بين أرينبة وبين مبتدأ وادي الترمس، وفيها خرائب التوزي وآباره، ممتدة على طريق الحج المتجهة صوب مكة).

والظاهر أن وادي أرمام يتصل بوادي (الخلة انظر هذا الاسم) وأنهما يكونان وادياً واحداً، يعرف القسم الشرقي منه باسم أرمام والغربي بوادي الخلة.

وكنت قلت في أحد أبحاثي: أن وادي أرمام هو وادى الخلة لانطباق الأوصاف المتقدمة عليه. قبل أن أطلع على كلام موزل، الذي يفهم منه أن رحبة أرمام لا تزال معروفة، إن لم يكن استنتج هذا الاستنتاج، وعلى كل حال فأوصاف المتقدمين تنطبق على ما يشمله الآن اسم شعيب الْخَلَّة وما يدعى شعيب التُّوزي. وفي كتاب «الجبال والمياه» للزمخشري[3] نص

(١) «العرب» ص ٥٦٥ ج ٩.
(٢) القول للشيخ حمد الجاسر.
(٣) ص ١٠٤ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.

واضح في هذا وهو: (أرمام واد يصب في الثلبوت). انتهى. وكذا وادي الخلة، يصب في الثلبوت المعروف الآن باسم وادي الشعبة وهذا من أعظم روافد وادي الرُّمَة.[1]

* * *

٧٠ ــ وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا رَأتْ أنَّ الشَّرِيْعَةَ هَمُّهَا وَأنَّ البَيَاضَ منْ فَرَائِصِها دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الّتِي عند ضَارِجٍ يفيُْ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُها طَامِي

ضارج أما ضارج الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته فهو واقع في بلاد بنى أسد، وقد تقدم الكلام عليه[2] وضارج الذي في هذه الأبيات: من جبال الحجاز الواقعة في طريق الشام، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، وقد أجمع الرواة على ما ذكرنا.

* * *

٧١ ــ وقال امرؤ القيس وقد توعده المنذر بن ماء السماء ونزل على المعلى أحد بني تميم بن ثعلبة فأجاره ومنعه فقال:

كأنّي إذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّىٰ نَزَلْتُ على البواذخِ من شمام
فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ عَلىٰ الْمُعَلّىٰ بِمُقْتَدرٍ وَلَا الْمَلِكُ الشّآمِـى

شمام أما شمام: فهو جبل أسود عظيم له رأسان واقع في جبال العرض وتنسب إليه هذه الجبال، فيقال «عرض ابني شمام» وهو من سواد باهلة،

---

(١) انظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٤٥١.
(٢) انظر ص ٢٧ و ٥٣ من هذا الكتاب

ويسمي عند أهل نجد «أذنى شمال» ولا نشك أنه هو «ابنا شمام» قال جرير:

عايَنْتُ مُشْعَلِةِ الرِّعَالِ كَأَنَّهَـا طيرٌ تُغَاوِلِ في شَمَام وِكُورَا

ذكره صاحب معجم البلدان، ومن[1] عباراته أنه جبل له رأسان يسميان ابنى شمام، إذا رأيت جبال العرض رأيت قُلَّتَيْ ابني شمام مرتفعتين على جميع الجبال التي حولها، قال لبيد ابن ربيعة وهو يرثي أخاه أربد بن قيس، وهو الذي دعا عليه رسول الله ﷺ فقتلته صاعقة رعد، وهو اخو لبيد لأمه، فقال يرثيه:

وفتيـانٍ يَرَوْنَ المجـدَ غُنْمَـاً صبرت بحقهـم لَيْـلَ التّمـامِ
فودِّعْ بالسّلام أبـا جريـر وَقَـلَّ وداعُ أَرْبَـدَ بالسّلام
فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابْني شَمَامِ؟
وإلّا الْفَرْقَدَيْـنِ وآلَ نعشٍ خوالـد ما تحـدث بانْهِـدَامِ

وهذا الجبل العظيم واقع في ضفة وادي الخنقة الجنوبية، وعنده من القرى المعمورة «قرية نخيلان» وهي واقعة من ابني شمام في الجهة الغربية، إذا كان المنادى في ابنى شمام سمعه أهل تلك القرية.

* * *

٧٢ ــ وقال امرؤ القيس:

كلّا، يميـن الإلٰـهِ يَجْمَعُنَـا شَيْءٌ وَأَخْوَالُنَا بَنُـو جُشَمَـاَ
حتّىٰ تَزُورَ الضِّبَـاعُ مَلْحَمَـةً كَأَنَّهَا مِنْ ثَمُودَ أَوْ إِرَمَا

ثمود، وارم: قد أطال أهل التفسير على ذكرهما.

* * *

(١) المعجم ٥ /٢٩٢.

٧٣ ــ وقال امرؤ القيس:

أتاني وَأصْحَابى عَلَى رَأْس صَيْلَعٍ حَدِيثٌ أطَارَ النَّوْمَ عَنِّى فَأنْعَمَا
فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بعَيِدٍ مآبُــهُ أبِنْ لي وَبَيِّنْ لي الْحَديْثَ الْمُجَمْجَمَا
فَقَالَ: أبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وَكَاهِلٌ أبَاحُوا حِمىَ حُجْرٍ فَأصْبَحَ مُسْلَمَا

صَيْلع: موضع، وأظنه في جهة اليمن، لأن الرواة ذكروا أنه ورد الخبرُ على امرىء القيس بمقتل أبيه حين قتله بَنُو أسد وهو في اليمن، قال في معجم[1] البلدان: صيلع: موضع، واستدل ببيت امرىء القيس المذكور. صيلع

قلت: وكذلك قال صاحب لسان العرب صَيْلَعٌ موضع[2].

* * *

٧٤ ــ وقال امرؤ القيس:

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيْك قَبْلَ سُؤَالِهِ أفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ ولَا وَانِ
كتيسِ الظِّباءِ الأعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ من شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ

إلى أن قال:

وَمَجْرٍ كَغُلَّانِ الأنَيْعِم بَالِـغٍ دِيَارَ العَدُوِّ ذِي زُهَاءٍ وَأرْكَانِ

ثهلان: جبل عظيم أسود في عالية نجد، ومن الرواة من ألحقه بسواد باهلة، ومنهم من قال: ثهلان جبل لبني نمير في الزمن القديم وهو أصح، لأنه واقع في بلاد بني عامر بن صَعْصَعَة، وبنو نمير هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة، وفيه أشعار كثيرة، قال جحدر اللص، وقد ذكر ثَهْلاَنَ والنير، ثهلان

(١) المعجم ٥ /٤٠٦ وذكر أن فيه ورد الخبر على امرىء القيس بمقتل أبيه حجر.
(٢) لسان العرب مادة صلع.

والنير باق على اسمه إلى هذا العهد.

ذكَرْتُ هنْداً، وما يُغْنِي تذكُّرها   والقومُ قد جاوزوا ثَهْلاَنَ والنِّيرا
على قلائص قد أفنى عرائكَهَا   تكْلِفُناهَا عريضاتِ الْفَــلاَزُورَا

والنِّير: مقابل لثهلان في الجهة الغربية، بينهما مسافة يوم، ولونه كلونه، وقال محمد بن إدريس ابن أبي حفصة اليمامي :

وَلَقَدْ دَعَانَا الْخَثْعَمِيُّ فَلَمْ يَزَلْ   يَشْوِى لديه لنا العبيطَ وينشلُ
من لحم تامكة السنَّامِ كأنَّها   بالسيف حين عَدَا عليها مجدلُ
ظَلَّ الطُّهَاة بلحمها وكأنهـم   مستوثبـون قطـار نمـل ينقـلُ
وكـأن دَمْـخَ كبيـرة، وكأنمـا   ثَهْلَانُ أصْغَرُ ريدتيـه وَيَذْبُـلُ
وكأنَّ أصغر ما يدهده منهما   في الجو أصغر ما لديه الجندلُ

وقال الفرزدق:

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السّماء بنىٰ لَنَا   بيتـا دَعَائِمُـه أعـزُّ وَأطْـوَلُ
بيتـاً زُرَارَةُ مُحْـتَبٍ بِفِنِائِـــه   ومُجَاشع وأبو الْفَوَارِس نَهْشَلُ
فَادْفَع بكفّكَ إن أردتَ بناءَنَا   ثَهْلَان ذا الهَضْبَات هل يَتَحَلْحَلُ

وثهلان باق بهذا الاسم إلى اليوم، ومنهم من يبدل الثاء ذالاً فيقول «ذهلان» له قِمم عالية طوله من الشمال إلى الجنوب أكثر من مسافة يوم، ومن الشرق إلى الغرب أقل من مسافة يوم، والجبيلات المحيطة به من جهة الشرق: تيماء، وأم نخيلة، والحذني، ومجيرة إن أفردت وإن جمعت فمجيرات لأنها هضبات متفرقة، والهضيب، والمصلوخة، والقنينة، وأما أبو دخن وشطب: فهما واقعان عند طرفه الشمالى منقطعان منه، وكلها موجودة في عهدنا هذا بهذه الأسماء.

أما «مجيرات» فهذا اسمها الجاهلي، و«الحذني» كان يقال له في

الزمن القديم «حذنّة» قال محرز بن المكعبر الضبي وهو شاعر جاهلي:

دَارَتْ رَحَانَا قلِيْلاً ثُمَّ صَبَّحَهُم ... ضَرْبٌ تصيَّحُ منه قلة الْهَامِ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مجيراتٍ يَلُذْنَ بهم ... وَأَلْحموهنَّ منهـم أىّ الْحَـامِ
حتَّىٰ حُذُنَّةُ لم تترك بها ضَبُعاً ... إلا لَهَا جَزَرٌ من شِلْو مِقْدَامِ
ظلت تدوس بنى كعب بِكَلْكَلِهَا ... وَهَمَّ يومُ بني نَهْدٍ بإظْـلَامِ
إذ خَبَّرت مَذْ حِج عنّا وقد كذبت ... ان لن يروع عن أحْسَابِنَا حَامِى
فِدىً لِقَوْمِىَ ما جَمَّعْتُ من نشب ... إذ لَفَّتِ الحَرْبُ أقواماًبأقْـوَامِ

وحذنّة ومجيرات: باقيتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، حذنة واقعة بين ثهلان ومجيرة، وهي جبل طويل أسود، وهو صغير المنظر ومجيرات: هضبات حُمْر متفرقة تقع من حذنة في مطلع الشمس على مسافة ساعتين للماشي على قدميه، وأما مياهه الخارجية منه في جهة الشرق فهي: دلعة، والرفايع، ومضلعة، والشعراء: قرية عامرة إلى يومنا هذا، وهي معروفة في الزمن الجاهلي بهذا الاسم، قال الشاعر:

*** خَفَّ الْقَطِيْنُ من الشّعَراءِ وارْتَحَلُوا***

أما صاحب معجم البلدان فلم يذكرها، وقد ذكرها الهَمْدَاني في «صفة جزيرة العرب» لما أتى على ثهلان، قال: ومن مياهه: الريان، والشعراء، والحسى، وأما مياهه الداخلة في وسط الجبل فهي: المطيوى، والركية، والمزيرع، والسدرية، والشطبة، والريان والمنجور، والقليب، والشبرمية: وادٍ عامر فيه مزارع ونخيل وقصور. والريان الواقع في ثهلان بهذا الاسم هو الذي يقول فيه جرير:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّـذَا نَفَحَـاتٌ مِنْ يَمَانِيَّـةٍ ... تَأْتِيْكَ مِنْ جَبَلِ الرَّيَّانِ(١) أَحْيَانَا

(١) قلت : وللشطر الثاني رواية أخرى، هي : (تَأْتِيْكَ من قِبَلِ الرَّيَّان أَحْيانَاَ).

وأنا أعرف بهذا الاسم في بلاد العرب ثلاثة أودية: أولها الواقع في ثهلان، وثانيها الواقع بين غول وطخفة، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبيد، والثالث: يصب في وادي الرمة. وأما الجبال المحيطة به من جهة الغرب منقطعة منه فهي: ذرِّيع، والخَوَّار، وأبو حسك، ونطاق والأسودة، وقنيفذة، وكويكب. والخوار معروف بهذا الاسم من قديم، قال الشاعر(١)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالطِّعَانِ نعامنا جنوبا عن الخَّوارِ في الدّمث السّهلَا
بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُجْفَرِ الدّفّ سَابِحٍ وَكُلِّ مِزَاقٍ وردةٍ تَعلّك النّكْلَا

وهو على هذا الاسم إلى يومنا هذا، ونطاق: اسم قديم جاهلي، قال ابن مُقْبل:

ضَحَّوا على عجل ذاتَ النطاقِ، فَلَمْ يُبْلَغْ ضحاؤهُم همّى وَلَا شَجَنِي

وقال ابن مقبل أيضاً:

خلدت وَلَمْ يَخْلُد بها مَنْ حَلَّهَا ذات النطاق فَبُرْقَةَ ٱلْأَمْهَالِ

قال في اشتقاق الأسماء: سمي بنطاق لأن فيه برقة في أسفله مثل النطاق، فسمي بها، وهو بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

والأسودة هي التي قال فيها أبو عمير الجرمي:

أَلَا ما لعيني لا ترى أَسْوَدَ الْحِمَىٰ ولا جبلَ ٱلْأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتِ
غَنِيْنَا زماناً باللِّوى ثمَّ أَصْبَحَت براقُ اللِّوى من أهلها قَدْ تَخَلَّت

(١) البيتان لكثير عزة، وقد رواهما ياقوت (٣/ ٤٧٣) ورواية البيت الأول عنده:

ونحن منعنا من تهامة كلها جنوب نقي الخوار فالدمث السهلاً

وكذلك هما في ديوان كثير ٢/ ١٨، ومجفر الدف: واسع الجنب، وكل مزاق: أراد فرسا سريعة تكاد تتمزق من سرعتها.

وقلت لسلام بن وهب وقد رأى دموعي جرت من مقلتي فَذَرَّت
وشدى ببردى حشوة ضبئت بها يدُ الشَّوْقِ في ٱلْأَحْشَاءِ حِيْنَ أجْزَأَلَّتِ
أَلَا قَاتَل الله اللِّوَى مِنْ محلة وقاتَل دنيانا بها كَيْفَ وَلَّتِ

ولم نورد هذه الأبيات إلا لأنه عطف جبل الأوشال على هذا الجبل الأسود وجبل الأوشال: هو جبل ثهلان لأنه كثير القلات والأوشال، وقل أن تجد فيه موضعاً خالياً من الماء. وذريع: كانت تسمى في الزمن القديم «ذراعان» وهي واقعة في بلاد بنى عامر بن صعصعة، إذا خرجت من ماء القاعية قاصداً الرياض وأجزت وادى طينان فانظرها مما يلي حجاجك الأيمن، قالت امرأة من بني عامر بن صعصعة[1].

سَقْيَاً وَرَعْيَاً لَأَيّامٍ تشوّقنَا من حيثُ تَأتى رياحُ الهَيْف أحْيَانا
تَبْدُو لَنَا من ثَنَايَا الضّمر طالعة كأنَّ علامَها جَلّلنَ سَيْجَانا
هيفٌ يَلذُّ لَهَا جسمي إذا نسمت كالْحَضْرَمَىّ هَفَا مِسْكاً وَرَيْحَانا
يا حبّذاً طارقٌ وَهْناً ألمَّ بِنَا بين الذِرَاعين وَٱلْأَحْرَاب مَنْ كَانَا
شبَّهتُ لي مَالِكاً يا حبّذا شبَهَاً إمّا من الأنسِ أو ما كَانَ جنَّانا
ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أمسى بِجَوْزَانا
عَمْداً أخادعُ نَفْسِي عن تذكّرِكُمْ كَمَا يخادَعُ صاحى الْعَقْلِ سَكْرَانَا

وجوزان: موضع في اليمن، ويمكن أنه جيزان، وذكر الرواة عن قنيفذة أنها موضع لنمير ابن عامر، وهي في بلاد نمير، وهي على اسمها القديم لم تتغير.

وكويكب: جبل صغير أحمر على ضفة الرشا الغربية، بين ثهلان كويكب والخوّار، وهذا اسمه القديم وبه يوم من أيام العرب، وقُتل عند هذا الجبل

---

(١) روى ياقوت هذه الأبيات ٤ /١٩٢.

زيادة بن زيد بن مالك الحارثي، قَتَله هُدْبة ابن خَشْرَمَ[1] العُذري، فقال ابنه مِسْوَر بن[2] زيادة:

أبعد الذي بالنَّعْفِ نعِفِ كويكب رهينةَ رَمْسٍ ذي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ
أُذكَّر بالبُقْيَا على مَنْ أصَابَنِى وبقياى أنّى جاهد غير مُؤْتَلِ
فإن لم أنَلْ ثأري من اليوم أوغد بنى عمنا فالدهر ذو مُتَطَوَّلِ
فَلَا يَدْعُنِى قومي ليوم كريهةٍ لئن لم أعَجِّل ضربة أو أعجَّلِ
أنَحْتُمْ علينا كلكل الحرب مرّةً فنحن مُنيخوها عليكم بكلكل
يقول رجال ما أصيبَ لهم أبٌ ولا من أخ: أقبل على المال تُعْقَلِ
كريمٌ أصابته ذئابٌ كثيرةٌ فلم يَدْرِ حتّى جِئْنَ من كلِّ مَدْخَلِ
ذَكَرْتُ أبَا أرْوَىٰ فأسْبَلْتُ عبرةً من الدَّمْع مَا كَادَت عَن الْعَيْنِ تَنْجَلِي

وهو باق على هذا الاسم إلى هذا العهد، وفيه أشعار كثيرة لشعراء الجاهلية: فأما مسور ابن زيادة هذا فهو شاعر إسلامي في عهد الدولة الأموية.

قال مؤلف هذا الكتاب: الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضاً: في شهر صفر سنة١٣٦٥هوأنا في بلد الشعراء جاءنا صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله آل فيصل بن عبد العزيز قانصا فأخذنى بصحبته أيام إقامته قريب بلد الشعراء، وكنا نتجول في تلك الفيافي لاصطياد الظباء والحُبَاري. فبينا نحن عند كويكب يوما إذ عَرَضَ لنا ذئب فهممنا بقتله، ولكنني لم أر أعظم من خلقهِ وأقوى منه، ومع الأمير عبد الله صاحب السمو الأمير فهد

---

(١) قلت : هدبة بن خشرم (.. نحو ٥٠ هـ) من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، قضاعة. شاعر فصيح، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة).

(٢) روى هذه الأبيات في ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزي بتحقيق الاستاذ محمد محي الدين ١ /٢٣٩) وهذه الأبيات يقولها المِسْوَرَ بن زيادة حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات فأبى، ويقال : إن قائلها هو عمه عبدالرحمن أخو زيادة القتيل.

بن سعد ونحن في سيارة واحدة فكنا نرميه بالشوازن فتصيبه ولكنها لا تصيب مقاتله فأخذ صاحب السمو الأمير عبد الله بندقية من النوامس ورماه بواحدة، فأنفذ قلبه فخر على وجهه قتيلاً عند كويكب عند مقتل زيادة بن زيد الحارثي.

الأنيعم أما الأنيعم فهو معروف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، يقال له اليوم «وادي النعيم» موقعه في القطعة الجنوبية من نجد، في أرض يقال لها اليوم «العبلة» إذا كنت قاصداً الغرب وأجزت جبال البديعة الماء المعروف في أعلى نجد، وهي الجبال التي يقال لها العقر، ثم أجزت كثيباً يقال له البشارة فيه جبل صغير، خرجت إلى وادي النعيم، وظني أن سيله يصب في وادي خنثل الوادي المعروف الواقع بين بلد سبيع بن عامر وبلد عتيبة في يومنا هذا، والنعيم يتجه سيله إلى جهة الشمال جاعلا جبال البديعة وأكثبة البشارة وجبال المحدث وما يليها من الهضاب عن يمينه حتى يصب في وادي خنثل أو يقرب منه، ووادي خنثل معروف بهذا الاسم من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا، وذكروا أن سعد بن صبيح النهشلي نزل على مربع بن وعوع بن ثمامة الكلابي في وادي خنثل المذكور، وغاب مربع يستعذب لأهله الماء، فلما رجع إلى أهله وجد سعد ابن صبيح حدثته نفسه أن يفجر بزوج مربع، فأخبرت مربعاً، فأخذ مربع السيف وقتل سعداً، وقال عند ذلك[1].

فَزِعْتُ إلىٰ سَيْفِى فنازعتُ غِمْدَهُ ... حساماً به أثر قديمٌ مُسَلْسَلِ
فَغادرْتُ سَعْداً والسِّباعُ تنوبُه ... كما ابتدَرَ الوُرَّادُ جَمَّةَ مَنْهَلِ
دَعَا نَهْشَلاً إذ حازه الموتُ دَعْوَةً ... وَأجْلَيْنَ عَنْهُ كالْحُوَار المُجَدَّلِ
فانك قد أوعدتنى غَضَبَ الْحَصَىٰ ... وأنت بذات الرِّمْثِ من بطن خَنْثَلِ
وقلتُ لَأصْحَابِى النَّجَاء فإِنَّمَا ... مع الصّبح إن لم تَسْبِقُوا جمعُ نَهْشَلِ
فَأصْبَحْنَ يركُضْنَ المحاجنَ بَعْدَمَا ... تَجَلّىٰ من الظلماءِ مَا هُوَ مُنْجَلِى

(١) ارجع إلى هذه القصة وأبيات مربع وأبيات الفرزدق في معجم البلدان ٣ /٤٦٩.

وقال الفرزدق في ذلك لأن سعد بن صبيح ابن عمِّ الفرزدق:

بَنِى نَهْشَلٍ هلّا أصابَتْ رِمَاحُكُم   على خَنْثَلٍ فِيْمَا يصادِفْنَ مرْبَعَا
وَجَدّتُمْ زماناً كانا أضعفَ ناصراً   وأقربَ من دارِ الهوانِ وَأضْرَعَا
قَتَلْتُم به ثَوْلِ الضِبَاع فَغَادَرَتْ   مَنَاصِلُكم منه خصيلا مرصَّعَا
فكيفَ ينامُ ابْنَا صَبِيْحٍ، ومربعٌ   على خَنْثَلٍ يُسْقىٰ الحليبَ المقنّعا؟

ومربع المذكور هو الذي قال فيه جرير وهو يهجو الفرزدق :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أنْ سَيَقْتُلُ مرْبَعاً   أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يا مرْبَعُ

أما الأنيعم الذي ذكره امرؤ القيس في شعره فهو وادي النعيم الذي تقدم ذكره، وقال حضرمي ابن عامر الأسدي:

لَقَد شَاقَنى لولا الحياءُ من الصّبا   لميةَّ ربعٌ بَالأَنْيعِـــمِ دَراسُ
لَيَالىَ إذَ قَلْبى بميّة مُولَـع   وَإِذْ نَحْنُ جِيْرَانٌ لها مُتَلَابِسُ
وَإِذْ نَحْنُ لم نَحْشَ النَّمِيْمَةِ بَيْنَنَا   وَلَوْ كَانَ شيء بيننا مُتَشَاكِسُ

وهو معروف عند عامة أهل نجد بوادي النعيم في هذا العهد.

* * *

٧٥ ـــ وقال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُـهُ فَشجَانِـى   كَخَطِّ زَبُورٍ في الْعَسِيبِ الْيَمَانِى
دِيَارٌ لِهِنْـدٍ وَالرَّبَـابِ وَفَرْتَنَـىٰ   لياليَنَا بالنَّعْــفِ مِنْ بَدَلَانِ

قال ياقوت في معجمه[1]: بَدَلَانَ موضع، واستدل ببيت امرىء القيس وأنا لا أعرف في نجد موضعاً بهذا الاسم، إلا أكثبة مُتَراكمة في شرقي الدهناء على طريق الإحساء بين مزعلات ورجم الشويعر المعروف على الطريق، ويقال لتلك الأكثبة اليوم «بدالي». بدلان

* * *

(١) المعجم ٢ /٩٠.

٧٦ ــ وقال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِوَادِى الْمَلَا عَيْنَـاك تَبْتَـدِرَانِ

الملا: حسب تحديدهم واد معروف بين بلاد بني أسد وبلاد طي في أسافلها قريب الأجفر، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، قال الشاعر(١): الملا

أَلَأ غَنّيَانِى وارْفَعَا الصَّوْتَ بالْمَلَا فإِنَّ الْمَلَا عِنْدي يزيدُ الْمَدَىٰ بُعْدَا

وقالت امرأة من العرب تهجو ميّ صاحبةَ ذي الرمة:

أَلَا حبَّذا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أنّه إذا ذُكَرِت مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هيا
عَلَىٰ وَجْه مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلَاحَةٍ وَتَحْتَ الثّيابِ الخزىُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

وقال كثير:

ورسومُ الديـارِ تعرف منهـا بالْمَـلَا بيـن تَغْلَمَيْـنِ فرِيـمِ

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

نَسِيتُمْ مساعينا الصَّوابحَ فيكمُ وما تذكرون الْفَضْلَ الا توهُّمَا
فَإِنْ تَعِدُونَـا الجاهليـة إِنَّنَـا لَنُحْدِثُ في الأقوام بَؤْسا وَأَنْعما
فلا ذاك منَّا ابنُ المعدل مرّةٌ وعمرو بن هند عام أَصْعَدَ موشِما
يقودُ إِلَيْنَا ابنَىْ نزار من الملا وَأَهْلَ الْعِراقِ ساميـا متعظِّمَـا
فَلَمَّـا ظننـا أنـه نَازِلٌ بِنَـا ضَرَبْنَا وولّيْنَاهُ جَمْعَـاً عَرَمْرَمَـا

---

(١) قلت: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكني أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبدالملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق. انظر الأعلام ج ٥ /١٠.

والأشعار والأخبار فيه كثيرة، وهو واقع في القسم الشمالي من نجد.

* * *

٧٧ ــ وقال امرؤ القيس:

هُمُ أَبْلغُوا حَتَّى الْمُضَلَّلِ أَهْلَهُمْ   وَسَارُوا بِهِم بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانِ

العراق ونجران: معروفان للناس، تغنى معرفتهما عن ذكرهما.

* * *

٧٨ ــ وقال امرؤ القيس:

أَبَعْدَ الْحَارِث الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو   له مُلْكُ الْعِرَاقِ إلىٰ عُمَانِ
مُجَاوِرَةً بَنِى شَمَجَىٰ بْن جِرْمٍ   هَوَاناً مَا أتيحَ مِنَ الْهَوَانِ

عمان — والعراق موضعه معروف، وعمان: معروف بهذا الاسم إلى اليوم مقاطعة عظيمة تقع على الساحل الجنوبي للبحر الشرقي، جنوبي مقاطعة قطر.

* * *

٧٩ ــ وقال امرؤ القيس:

وَمَا هَاجَ هذَا الشَّوْقَ غَيْرُ مَنَازِلٍ   دَوَارِسَ بَيْـنَ يَذْبُـلٍ فَرَقَـانِ
وَغَرْبٌ عَلى مَقْطُوْرَةٍ بَكَرَتْ بِهِ   غَدَتْ في سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْمَثَانِي

أما يَذْبل: فقد مضي الكلام عليه في معلقته(١).

فرقان — وأما فرقان فأنا أعرف جبلاً له رأسان يسمى فرقين يقع شمالى بلد نفى، يراه مَنْ كان في نفى بعينه، وسيأتي الكلام عليه في معلقة عبيد بن

(١) انظر ص ٥٣ ــ ٥٥ ــ ٥٦ ــ من هذا الكتاب

الأبرص إن شاء الله، وأما فرقان من غير تصغير فإني لا أعلم شيئا بهذا الاسم إلا طريقاً يسلك من بلد المزاحمية الواقعة في جو اليمامة إلى بلد الحريق الواقعة في وادي بني هزان في بريك يقال له «مرقان» بميم في موضع الفاء يقطع الماشي وادي الأوسط، ووادي لحا، ثم يقطع وادي نساح، وهناك عقبة يقال لها «مرقان» تصعدها الجمال بأحمالها، وقد طلعتها، إذا جُزْت نساحاً كانت عليّه على شمالك، وإذا بلغت رأس هذه العقبة فأنت في ظهر علية، وإذا هبطت إلى الوادي الذي يبلغك الحريق فعليه على شمالك فإذا رأيت نخيل الحريق اجتمعت الطرق طريق مرقان وطريق حنيظلة الماء المعروف في أعلى وادي الحريق، والماء المذكور هو أعلى الوادي، وقد ذكر حنيظلة ياقوت في معجمه(١) وحددها وأصاب في تحديدها برواية أبي حفصة اليمامي.

* * *

٨٠ ــ وقال امرؤ القيس:

أَلَا إِلّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصِيُّ
وَجَادَ لَهَا الرَّبِيْعُ بِوَاقِصَاتٍ فَآرَامٍ وَجَادَ لَهَا الْوَلِيُّ

أما واقصة: فهي موضع قريب النباج ينزلها حاج البصرة، ولا أعرفها بهذا الاسم اليوم، إذا كنت سائراً من البصرة جاعلاً ذا طلوح الذي يقال له اليوم «الطليحي» وكثبان عالج التي يقال لها اليوم «العروق» عن يمينك، والنباج التي يقال لها اليوم «الأسياح» عن يسارك وأجزت الأكثبة فواقصاتٌ هناك، ولعل اسمها اليوم قد تغير، معروفة بجودة الصلابيخ، وعند أهل نجد إذا أعجبهم الرجل بشجاعته، أو فصاحته، أو كرمه، قالوا: هذا يتقد كأنه من صلابيخ(٢) واقصة. واقصة

(١) المعجم ٣ /٣٥٣.
(٢) الصلابيخ : جمع صلبوخ، وهو حجيرة صغيرة بين السواد والبياض وكانت العرب تستعمله لاشعال النار، تضرب به الزناد، والزناد : حديدة صغيرة معكوفة الطرفين تجعل =

وهناك موضع آخر يقال له «واقصة» لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد يكون هو الذي عناه امرؤ القيس، وهو واقع بين الحجر والحفيرة في مساكن عنزة الأيدى وقومه، وهو ماء في جبل أسود، يقال للجبل «واقصة»، إذا كنت في تيماء السموأل ونظرتَ إلى نجم سهيل نظرته يتقد على جبل واقصة.

آرام — وأما آرام فهي هضبة سوداء منقطعة من ابلى، لا تزال بهذا الاسم إلى اليوم، وهي مجاورة لأروم، وشابة: واقعة من أبلى في الجهة الجنوبية الشرقية، قال الشاعر:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّر بَعْدَنَا ... أروم وَآرَامُ وَشَابَةُ فَالْحَضْرُ
وهل تَرَكَتْ أَبْلَىٰ سَوَادَ جِبَالِهَا ... وهَلَ زَالَ بَعْدِى عن قَنِينَتِه الْحَجْرُ

وهى في بلاد غطفان، معروفة بهذا الاسم.
انتهى ما أمكن من توضيح الأماكن الواردة في شعر امريء القيس والله ـــ سبحانه: ـــ ولى التوفيق والمعونة[1].

* * *

= بينهما خرفة فيها بارود، فإذا ضرب بالصلبوخ على الزناد اشتعلت الخرفة ناراً، وهو الذي شبه به عنترة بن شداد العبسي الذباب في معلقته حين قال :

هزجاً يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الأجذم

وقبل أن تخرج صناديق الكبريت كان أغلب إشعال الناس في نجد بالصلبوخ والزناد، وهو المستعمل عند العرب إلى نصف القرن الثالث عشر فلما كثر الكبريت تركه العرب إلا شذاذاً من العرب لاسيما الأعراب فإنَّهم لايزالون يستعملونه إلى يومنا هذا قلت : كان ذلك قبل أربعين عاماً وقد انتهى.

(١) قلت : وأكثر الأسماء الجغرافية وروداًفي شعر امرىء القيس سيمر بنا في بقية القصائد، ولكن المؤلف رحمه الله كان يحيل إلى ماثبت ومرّ تحرّزاً من الوقوع في التكرار، وهذا أمر طيب منه عليه رحمة الله.

٢

زُهَيرُ بنُ أَبِي سُلْمَى المُزَنِيّ

زهير بن أبى سلمى المزني[1]
مات سنة ١٤ قبل الهجرة (سنة ٦٠٨ الميلادية) تقريباً

نذكر أولاً المواضع الواردة في معلقته :

١ـ أمِنْ أُمِّ أوْفَىٰ دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ بِحَوْمانَــةِ الــدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

وَدَارٍ لَهَـا بالرَّقْمَتَيْـنِ كَأنَّهَـا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

حومانة الدراج

الحومانة: المضافَةَ إلى الدرّاج لم أرها إلا في شعر زهير، قال في معجم البلدان[2]: هي على طريق البصرة قريب القيصومة، أما القيصومة: فهي واقعة في الشمال من قُرَىَ النباج وأبعد قرى النباج من جهة الشمال: حنيظب، وأبو الدود، والقيصومة، ويظهر لي أن حومانة الدراج قريب القرى التي ذكرنا، ولكني لم أعثر عليها بهذا الاسم في هذا العهد، وهناك موضع

---

(١) : زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي : (كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة).

ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)واستمر بنوه فيه بعد الإسلام.

قيل : كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى «الحوليات» قلت : لعل الصحيح أنه كان ينظمها في أربعة وينقحها في اربعة ثم يعرضها على العارفين بالشعر في اربعة وهذا حول، أشهر شعره معلقته، التي سندرس المواضع الواردة فيها أولاً. انظر : الأعلام ج ٣ /٨٧.

(٢) المعجم ٣ /٣٧١.

في الدهناء متاخم لهذه الناحية من النباج يقال لها اليوم «حومة النقيان» على الطريق من البصرة إلى النباج، وفي عالية نجد مواضع بين وادي خنثل الذي مر ذكره في أشعار امريء القيس على ذكر الأنيعم[1]، وبين ماء البقرة المشهورة قريب الحمار، والبقرة والحمار باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ولها ذكر في أشعار العرب، وهي هضبات يقال لها الحوميات، وربما قالوا لها «الحوم» وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة، قال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر هذه المواضع:

وَأضْحَىٰ يَقْتِرِى الْحَوْمَان فَرْدَاً   كَنَصْل السَّيْفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ

وقال عامر بن الطفيل:

أَلَا لَيْتَ شِعْري هَلْ تَغَيّر بَعْدَنَا   صرائم جَنْبَىْ مَحُيط وَجَنَائِبُهْ
وَهَل تَرَكَ الحَوْمَانُ بعدى مَكَانَهُ   وَهَل زَالَ من بَطْنِ الُجَوىِّ تَنَاضِبُهْ
فَوَاللهِ مَا أدْرِى أَيَغْلِبُنِى الهوىٰ   إلىٰ أهْل تِلْكَ الدّار أمْ أنَا غَالِبُهْ

فَإن أستطع أغْلِبْ، وَإنْ يَغْلِب الْهَوَىٰ
فَمِثْلُ الذّي لاقيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

ومن عبارات معجم البلدان أن حومانة الدراج في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالَحزْن من بلاد بني أسد، عن يسار من خرج يريد[2] مكة، واستدل ببيت زهير هذا، وهذا التحديد قريب القيصومة التي مر ذكرها من قرى النباج، قرية عامرة إلى هذا العهد، وهي غير القيصومة الماء المعروف في القطعة الشمالية من الدو، وتكون حومانة الدراج غرباً عن العروق التي تعرف في الزمن القديم برمل عالج.

(١) انظر ص ٢١١ — ٢١٢ من هذا الكتاب

(٢) المعجم ٣ /٣٧٢.

قلت: وعبارة معجم البلدان، هي: «حومانة الدراج ماءة قريبة من القيصومة في طريق البصرة إلى مكة قريبة من الْوَقْبَا. وقال أبو منصور[1]: وردت ركبة واسعة في جو واسع يلي طرفاً من الدو يقال له الحومانة. وقال خرشي بن عبد الخالق بن رقيبة بن مشيب بن عقبة بن كعب بن زهير: إن حومانة الدراج في منقطع رمل الثعلبة، متصلة بالحزن من بلاد بنى أسد، عن يسار من خرج يريد مكة.

وهذه الأقوال، وإن اختلفت عباراتها فهي متقاربة» معجم البلدان ٣٧٠/٢ و٥٦١ ومما يؤسف له أن أغلب كتب اللغة لا تحدد موضعه، كما أن كتب المعلقات اكتفت بذكره على أنه موضع وربما ذكرت أنه في العالية.

ففي شرح المعلقات السبع[2]. «حومانة الدّراجِ والمتثلّم موضعان». وفي شرح القصائد العشر صنعة التبريزى[3]:
«الحومانة: القطعة من الرمل، وجمعها الحومان والحوامين. والدراج بفتح الدال وضمها. وحومانة الدراج، والمتثلم: موضعان بالعالية منقادان».

وفي شرح القصائد التسع صنعة أبي جعفر النحاس تحقيق أحمد خطاب: «موضعان»[4].

ويكاد المحققون من الخلف يجمعون على ماذكره السلف باقتضاب

---

(١) قلت : هو أبو منصور الأزهري، والركية التي وردها ليست حومانة الدراج، وذلك لأنه يجعلها أو يذكرها بقرب الدَّوِّ، والدو (الدِّبْدِبَة) بعيدة عن طريق البصرة المؤدي إلى مكة.

(٢) : تصحيح لجنة من العلماء، القاهرة، ١٣٦٧ ــ ١٩٤٨ /ص ٩١.

(٣) : تحقيق د. فخرالدين قباوة ــ حلب. دار الأصمعي، ١٣٩٣ ص /١٦٣.

(٤) : القسم الأول، طبع وزارة الأعلام العراقية ص ٣٠٠.

ودون تحقيق ويكتفون بالقول، بأنها والمتثلم موضعان. ولكن عبارة ياقوت، تحددها تقريباً، فهي على ماذكر في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن من بلاد بني أسد.

قلت: وقد تحدث عنه الأستاذ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي في شمال المملكة، ذكره في القسم الأول، ثم ذكره في القسم الثالث في الاستدراكات. قال في القسم الأول (ص ٤٧٣) ــ:

حومانة الدراج: بفتح الحاء المهملة وإسكان الواو، وفتح الميم بعدها ألف فنون فهاء، بالإضافة إلى الدراج بفتح الدال والراء بعدها ألف فجيم. قال في كتاب المناسك، بعد أن ذكر الوقبا: ثم يؤخذ في الحزن على مياه يقال لها القيصومة وقنه وحومانة الدراج ... ثم يستشهد بكلام ياقوت. ويلخص الأقوال التي ذكرها وأنها في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن من بلاد بني أسد .. وفي القسم الثالث ص (١٤١٤) يستشهد على ذكره بما جاء في النقائض في شرح قول جرير:

فَلَيْتَ رِكَابَ الحيّ يَوْمَ تَحمّلوا　　بحومانةِ الدّرّاجِ أصْبَحْنَ ظلّعا

الحومانة: موضع غليظ منقاد، والجمع حوامين. والدراج: قنفذ رمل من قنافذ الدهناء، وهي القطعة منه ... ثم قال: تقدم ذكر حومانة الدراج والنص المتقدم يدل على كون الموضع في الدهناء فهو يوضح النصوص التي تقدم ذكرها.

وقلت: وعاد البليهد ــ رحمه الله ــ فذكر حومانة الدراج مرة أخرى في كتابه صحيح الأخبار جـ ٢٦٥/٣، وقال في معرض رده على بعض النقاد: (ونحن نقول: أن المواضع التي تسمى بالقيصومة ثلاثة أمكنة منها القرية التي شمال النباج، والثانية: التي أشار إليها الناقد ويظن أننا لا نعرفها،

والثالثة موقعها عن منهل لينة شمالاً مسافة يوم، وهي منهل ماء ترده الأعراب، واختيارنا للقيصومة التي قريب النباج دون غيرها لأن الشاعر عطف حومانة الدراج على المتثلم، وهو موجود إلى هذا العهد في أعلى الجوا.

قلت: وليت القاريء الكريم يرجع إلى كل ما كتبه البليهد رحمه الله حول كتاب صحيح الأخبار في الجزء الثالث ص/٢٦٠ ففيه رد على كل نقد وجه إليه.

وعطف على حومانة الدراج المتثلم. والمتثلم: معروف اليوم بما يقرب من هذا الاسم، يبعد عن الموضع الذي حسبناه حومانة الدراج مسافة يومين ونصف يوم، وذلك أني ــ كما أسلفت ــ لا أعلم اليوم موضعاً يقال له حومانة الدراج، إلا ماذكرنا عن حومة النقيان الواقعة في الدهناء أو الحوم أو الحوميات الواقعين في عالية نجد. المتثلم

أما المتثلم فهو جبل في رأسه ثلوم كأسنان المشط، يسمى اليوم «أبو ثلوم» مطل على الجواء مما يلى صارة المعروفة من أجبلة الجواء .. وقد غلط من قال أن المتثلم الذي ذكره زهير بالصمان واستدل بقول عنترة:

* **بِالْحَزْنِ فالصَّمّانِ فالمُتَثَلّم** *

فان هذا الذي ذكره عنترة ملزم ماء في الصمان قد تثلم من السيل، وليس بجبل، قال الراجز:

* **تَرَبَّعَتْ جَوَّ جُوَىٍّ فَالثَّلَمِ** *

وفي الصمان مواضع يقال لها اليوم «جويات الهمل» وأنت ترى الراجز عطف الثلم على جويات، وهذا الثلم هو الذي ذكره عنترة في الصمان، وهناك في جهة وادى الخرج ماءة كان يقال لها قديماً «الثلماء» ويقال

لها في عهدنا هذا «الثليماء» قال في معجم[1] البلدان الثلماء من نواحي اليمامة، وقيل: الثلماء حفرة يحيى بن أبى حفصة باليمامة، وقال يحيي في ذلك:

حيُّوا المنازِلَ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بَيْنَ المراخ إلىٰ نَقَا ثَلْمَائِهَا

وأما الذي ذكره عدي بن الرقاع العاملى في قوله:

فنكبوا الصوة اليسرى ومال بهم على الفراض فراض الحامل الثلم

فهو الذي ذكره زهير في شعره، قال ابن الأعرابي[2] في نوادره: المتثلم جبل في بلاد بني مرة. وقد أصاب، هو جبل في بلاد بني مرة لايزال اسمه باقياً إلى يومنا هذا، إلا أنه حرف تحريفاً قليلاً فقد صار يقال له اليوم «أبو ثلوم» وأنا أعرفه وقد رأيته.

الرقمتان

وأما الرقمتان فهما في جنوبي النباج المتصل بأرض الزلفي، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم، ولا يكونان إلا أكمتين أو قريتين أو روضتين، وهما لا يعرفان بهذا الاسم اليوم، ولكن ذكر زهير اياهما مقرونتين بحومانة الدراج والمتثلم يفيد أنهما قريب النباج، وهما اللتان عناهما مالك بن الريب المازني، وكان من قطاع الطريق في صدر الإسلام، ثم صحب سعيد بن عثمان بن عفان حين استعمله معاوية على خراسان، ذكرهما في قصيدته التي رثى فيها نفسه، وذلك أن منيته جاءته فجأة، فانه خلع خفيه لوضوء صلاة الصبح، فجاءت حية فدخلت في أحد خفيه، فلما فرغ من صلاته ورجع إلى خفيه ليلبسهما أدخل رجله فنهشته الحية، وكانت فيها منيته، وقد أطال أبو الفرج الأصفهانى في كتابه[3] الأغاني، وذكر جملة من

(١) المعجم ٣ /٢١.
(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٣٨١.
(٣) انظر كتاب الأغاني ١٩ /١٦٣.

القصيدة التي فيها ذكر الرقمتين، وهو من سكان تلك الناحية من سكان بلاد الزلفى، والنباج والزلفى بينهما أقل من مسافة يوم، قال مالك بن الريب:

وَلله دَرّي حِيْنَ أُتْرَكُ طَائِعَاً بَنِيَّ بِأعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا

وقال في قصيدته:

وَإنَّ بَأطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ يشق عليهنَّ العشيَّةَ مابِيَا

والسمينة: قرية من قرى الزلفى، معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا اليوم، يقال لها «سمنان» ولا تكون الرقمتان إلا في تلك الناحية، والأمكنة الذي ذكرنا أن حومانة الدراج والمتثلم والرقمتين بها لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ونصف.

* * *

٢ ـــ وقال زهير[١]:

تَبَصَّرْ خَلِيْلي هَلْ تَرى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْق جُرْثُمِ
عَلَوْنَ بِأنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وِرَادا حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةُ الدمِ

أما جرثم: فهو باق بهذا الاسم لم يتغير، إلا أنهم أضافوا إليه ألفاً ولاما جرثم
وياء النسبة فقالوا: «الجرثمي» وهو واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد في طرف الجواء الشمالي الغربي، بين سلمى الجبل الثاني من جبلي طيء وبين جبل قطن.

* * *

(١) في هذه الأبيات والتي بعدها تقديم وتأخير عما ورد في رواية التبريزي والزوزني للمعلقات.

قلت: وفي رواية الخطيب التبريزي (شرح القصائد العشر)، قوله:

جَعَلْنَ القنانَ، عن يَميْنٍ، وحزْنَهُ
وكم بالقَنانِ، من مُحلٍّ ومُحُرِمِ

٣ ــ وقال زهير:

بَكَرْنَ بُكُوراً واَسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فهُنَّ لِوَادي الرَّسِّ كَالْيَدِ للْفَمِ
جَعَلْنَ الْقَنَانَ عن يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بَالْقَنَان مِن مُحلٍّ وَمُحْرِمِ
ظَهَرْنَ مِنْ السُّوبَانِ ثم جَزَعْنَهُ عَلَى كلِّ قَيْنيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ
فَلَمّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقَاً جِمَامَهُ وَضعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيَّمِ

قلت: قال الخطيب التبريزى في شرح القصائد العشر ص/١٦٩: ظهرن معناه: خرجن منه. وجزعنه: قطعنه، وقينى: منسوب إلى بني القين، وقشيب: جديد، ومفأم: واسع. وأراد غبيطاً، والغبيط يكون تحت الرحل، والقتب تحت المتاع. وبعده في رواية الخطيب التبريزي المذكورة، قوله:

ووَرَّكْنَ، في السُّوبَان، يعلون متنه عليهنَّ دَلُّ النَّاعِمِ، المتنعّم
كأن فتات العهن، في كل منزل نزلن به، حب الفنا، لم يحطم
بكرن بكوراً، واستحرن بسحرةٍ فهنّ، ووادى الرس، كاليد في الفم

قلت ثم قوله:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقَاً جِمَامَهُ وَضَعْنَ عِصِيّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

وادي الرس

أما وادي الرس: فهو البلد المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد في أعلى القصيم على ضفة وادي الرمة الجنوبية، وقد أكثر الشعراء من ذكره زهير وغيره، وبقاؤه بهذا الاسم يغني عن ذكر الشواهد، وهو بلد عامر كثير النخل والقصور والمزارع، قالت ابنة مالك بن بدر الفزاري ترثي أباها لما قتله بنو عبس بمالك بن زهير العبسي(١):

فلّله عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَ مَالِك عَقيْرَةَ قَوْمٍ أنْ جَرَى فَرَسَانِ
فليتهما لم يشربا قطُّ شربَةً وَلَيْتَهُمَــــا لم يرسلَا لرهَـــانِ

(١) انظر معجم البلدان ٤ /٢٥٠.

أحَل به أمس جنيدبُ نذرَهُ ... فَأيْنَ قتيلٌ كانَ في غطَفَانِ
إذا سَجَعَتْ بالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ ... أو الرسِّ تَبْكِي فارس الكتفَانِ

انظر إلى الرقمتين اللتين تقدم ذكرهما أوردتهما هذه المرأة وقرنتهما بالرس، فكلها متقاربة كما تقدم.

القنان والقنان: الذي ذكره زهير واقع في بلاد بني أسد، مجاور لبلاد غطفان بالقرب من سميراء ويقال له اليوم «القنينات» وهو جبل لبني فقعس بطن من بني أسد قطاع طريق، كانوا إذا جنوا جناية تحصنوا فيه خوفاً من الولاة، وفي ذلك يقول شاعر العرب:

ضَمِنَ القنانُ لِفَقْعَسٍ سَوْآتِها ... إنّ القنـانَ لِفَقْعَسٍ لمعمَّـرُ[1]

وهو غير الذي ذكره امرؤ القيس بقوله[2]:

* وَمرّ علىٰ القنانِ من نفيَانِهِ *

وهو معروف بالقرب من سميراء، وهو أيضاً غير الذي ذكره لبيد في شعره وثناه حين قال[3]:

ووَلّىَ كنصل السَّيْف يبرقُ مَتْنُه ... عَلَى كُلّ أَجْرِيًا يشقُ الحَمَائِلَا
فنكَّب حوضى مَا يَهُمُّ بِورْدِهَا ... يمرّ بصحراء القَنَائيْنِ خَاذلَا

القنانان: في عالية نجد الجنوبية، معروفان بهذا الاسم إلى اليوم، والقنان الذي ذكره زهير لا يبعد عن سميراء أكثر من نصف يوم.

السوبان أما السوبان فإنا نعرف موضعاً قريباً من الصمان مما يلي حفر أبي

(١) معمر في هذا البيت معناه حصن وملجأ.
(٢) انظر مامر ذكره في ص ٦٣ من هذا الكتاب.
(٣) انظر معجم البلدان ٧ /١٦٥.

موسي الأشعري، لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى اليوم، وليس هو السوبان الذي عناه زهير في شعره، وهذا السوبان يقع قريب وادي الرمة في جهته الشمالية، وكانت به معركة بين بني عبس وبني حنظلة، قال أوس بن حجر:

كأنهمُ بَيْـنَ الشّميـط وَصَارَة وجرثم والسُّوبان خُشْبٌ مُصَرَّعُ

والشميط وصارة وجرثم: كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وهي واقعة من وادى الرمة في شماليه، والسوبان معروف اليوم بموضع يقال له السايبية أو السايبة في طرف الموشم من جهته الشمالية الشرقية إذا كنت فيه ترى جبال صارة وجبال الجرثمي التي كان يقال لها في الزمن القديم جرثم.

* * *

٤ ـــ وقال زهير:

رَعَوْاما رَعَوا من ظَمَئِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَاراً تَسِيْلُ بالرّمَـاحِ وَبالـدَّمِ[١]
فَقَضَّوا منَايَاَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أصْدَرُوا إلـى كَلأٍ مُسْتَوْبـِلٍ مُتَوَخَّـــمِ

غمار — غمار الذي ذكره زهير واقع في بلاد غطفان وهذا الاسم يطلق على موضعين: أحدهما: جبل محاذٍ بلد سميراء من الجهة الجنوبية على حدود بلاد بني أسد، ويقال له اليوم «الغيمار» وهو جبل أحمر شاهق إلى السماء، وتصطاد منه الصقور، وبه مياه كثيرة، وهناك ماءة يقال لها «غمرة» وظني أنها التي عناها زهير في هذين البيتين، وهي واقعة في بلاد غطفان شمالي النقرة، على مسافة يوم، وقد أغزى رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن[٢] حتى وصل غمرة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد،

(١) رواية التبريزي «غمارا تفري بالسلاح وبالدم».
(٢) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم (.. ـــ ١٢ هـ)، صحابي من أمراء السرايا. يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلهامع النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل في حرب الردة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وانظر =

وهي التي عناها الحارث بن ظالم المري[1] بقوله:

وَإِنّى يَوْم غَمْرَةَ غيرَ فَخْرٍ تَرَكْتُ النَّهْبَ وَالْأَسْرى الرِّغَابَا

وهناك موضع يقال له «غمرة» في الجهة الشرقية من نجد وهي التي عناها الشمردل بن شريك[2] بقوله :

سقىٰ جَدَثاً أعرافُ غَمْرَة دُونه ببيْشَة ديمانُ الرَّبيْعِ هَواطِلُهْ
وَمَا بِيَ حبُّ الأَرْضِ إلا جوارها صَدَاهُ وقولٌ ظنَّ أنّي قائله

وهي التي عناها عمرو بن قياس المرادي في قصيدته التي أولها:

أَلَا يابَــيْتُ بِالْعَلْيَــاء بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أهْلِكَ مَا أَتَيْتُ

إلى أن يقول:

وَحيّ نَازِلِيّنَ وهـم جميعٌ حذار الشَّرِّ يوما قد دَهَيْتُ
وَقَدْ عَلم الْمَعَاشِرُ غَيْرَ فَخْرٍ بِأنّي يوم غَمْرَة قد مَضَيْتُ
فوارسَ من بَنِى حُجْر بن عَمْروٍ وأخرىٰ من بَنِي وَهْبٍ حَمَيْتُ
مَتَى مَا يَأْتِنِي يَوْمِى تَجِدْنِي شَبِعْتُ من اللَّذاذة واسْتَقَيْتُ

= الاصابة، والروض الأنف وانظر الاعلام ج ٥ /٤٢.

(١) : الحارث بن ظالم بن غيط المرى، أبو ليلى نحو (٠٠ — ٢٢ ق . هـ) أشهر فتاك العرب في الجاهلية. نشأ يتيما .. وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة. قتل قاتل أبيه عند النعمان ملك الحيرة، فطلبه بنو عامر ، والموتور هو جعفر بن خالد سيد بني عامر وشاع خبره في القبائل، فتحامت العرب شره، ونشبت من أجله معارك كثيرة، انطلق فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران .. انظر الأعلام ج ٢ /١٥٧.

(٢) : الشمردل بن شريك بن عبدالملك، (نحو .. — ٨٠ هـ) من بني ثعلبة بن يربوع، من تميم: شاعر هجاء يجيد القصيد والرجز، قال المرزباني : له في الصيد والطراد وأراجيز، ويقال له : «ابن الخريطة». والشعراء المعروفون باسم (الشمردل) خمسة هذا أشهرهم. انظر الأعلام ج ٣ /٢٥٥.

وهناك موضع رابع يقال له «غمرة» يقع في جهة خيبر في الجهة الشمالية الشرقية منها على مسافة يوم أو أكثر، والاسم لجبل أسود يقال له غمرة، وفيها ماءة قد وردتها يقال لها «عقيلة غمرة» واقعة في بلاد هتيم وعنزة، وأما التي ذكرها زهير في قصيدته فهي واقعة في بلاد غطفان كما ذكرنا وهي بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥ ـــ وقال زهير:

صَحَا الْقَلْبُ عن سَلْمَى وَقَد كَادَ لَا يَسْلُو
وَأقْفَر مِنْ سَلْمىٰ التَّعَانِيْقُ فالثِّقْلُ

وَقَدْ كُنْتُ من سَلْمىٰ سِنِيْنَ ثَمَانِيَاً
على صِيرِ أمْرٍ ما يمرُّ وَمَا يَحْلُو[1]

التعانيق والثقل

أما التعانيق والثقل فقد ذكر صاحب معجم البلدان[2] التعانيق وذكر أنها بالقرب من خيبر، وعند خيبر موضع يقال له «التعانق» وعطف زهير الثقل عليه ولا يكون إلا قريباً منه وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، والتعانيق أيضاً: جبال حمراء واقعة في كثيب جو اليمامة، تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٦ ـــ وقال زهير:

تَأوَّبَنِى ذِكْرُ ألْأحِبَّة بَعْدَمَا هَجَعْتُ وَدُوْنى قُلَّةُ الحزْنِ فالرَّمْلُ
فَأقْسَمْتُ جَهْداً بِالْمَنَازِلِ من مِنًى وَمَا سُحِقَتْ فِيهِ الْمَقَادِيْمُ والقَمْلُ[3]

(١) على صير أمر : أي كنت على شرف أمر، ما يمر فأيأس، وما يحلو فأرجوه.

(٢) انظر معجم البلدان ٢ /٣٩٣ وعبارة ياقوت «التعانيق موضع في شق العالية» وأنشد بيت زهير، وذكر الثقل في ٣ /١٩ ولم يبين موقعه، بل لم يزد عن قوله «موضع من قول زهير» وأنشد البيت، ثم قال «ويروي الثجل» وذكر في رسم الثجل ٣ /٩ «الثجل اسم موضع في شق العالية.

(٣) سحفت ـــ بالبناء للمجهول ـــ يروي بالفاء وبالقاف، . ومعناهما جميعاً حلقت، تقول: =

أما الحزن فهو موجود إلى هذا العهد بهذا الاسم، وهو واقع شرقي العروق يقال له «الحزل» غيرت نونه لاماً. الحزن

قلت: والحزل ــ بكسر الحاء وإسكان الزاي وآخره لام ــ اسم منهل في طريق الجوف من مدينة حايل.

والرمل: هو رمل عالج المشهور الذي تداول ذكره الشعراء، وفيه موضع يقال له «رمل مسهل» وهو قريب من تلك الناحية، قال طفيل الغنوي والشاهد فيها على الرمل(١): الرمل

تَظَلُّ المَدَارَى في ضَفَائرها العُلىٰ إِذَا أَرْسلت أَوْ هَكَذا غير مُرْسَلِ
كأنّ الرِّعاث والسُّلوسَ تَصَلصلت على خُشَشَاوى جأبة الْقَرْن مِغزَلِ
أملّت شهورَ الصّيفِ بَيْنَ إقامة دلولا لها الوَادِى ورمل مَسْهَلِ

قال في معجم البلدان(٢): حزن هكذا غير مضاف طريق بين المدينة وخيبر، ذكره في مغازى الواقدي في غزوة خيبر، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم في ذلك الموضع الذي ذكره ياقوت(٣).

* * *

٧ ــ وقال زهير:

تربَّصْ فَإنْ تُقْوِ المروراة مِنْهم وداراتها لا تقو منهم إذاً نَخْلُ
فَإنْ تُقْوِياَ مِنْهُمْ فَإنَّ مُحجِّراً وجزعَ الْحِسَا مِنْهُم إذا قلَّما يَخْلُو

= سحف فلان رأسه، وسحقه، وسبته، وجلطه وجلمطه، تريد حلقه، والمقاديم: أراد بها مقدم الرؤوس، والقمل: هو هذه الحشرة المؤذية، وأراد الشعر الذي فيه القمل. ويريد بهذه العبارة منى التي هي من مشاعر الحج وفيها يحلق الحاج أو يقصر.

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٤ /٢٨٦.
(٢) المعجم ٣ /٢٦٩.
(٣) قلت: وانظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة القسم الأول /٤١٩ حمد الجاسر.

المروراة المروراة: موارد لبني عبد الله بن غطفان ماؤها: مر، والمرة والمرير، ومريران: متوالية واقعة شرقي اللعباء، وهي قريب منها في بلاد غطفان، فسميت المروراة بذلك لأن المياه المحيطة بها كلها مرة المذاق، منها: فج، وفجيج، وثرب، والبدنة، وأبو مغير، والهميج، وبلغة، والماوية فجميع هذه المياه ماؤها مر المذاق، وأسماؤها المذكورة كلها أسماء جاهلية، وقد تقدم الكلام على المرير في بيان المواضع الورادة في شعر امريء القيس.

الدارات وأما الدارات فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريب ماء الهميج في شماليه الغربي، وهي جبال حمر ملتحم بعضها ببعض كأنها حائط مبني، ولا تدخل إلا مع مسالكها، وقد أجزت تلك الدارات مراراً كثيرة، قطعتها في سنة ١٣٣٧ هـ ست مرات ذهاباً واياباً، وفي سنة ١٣٤١ هـ قطعتها مرتين ذهاباً واياباً، وكانت هذه المرة آخر عهدي بتلك الناحية، إذا سرت قاصداً المدنية تركت الماوية على يمينك وماء الهميج على شمالك، فهناك ترى الدارات قريب الهميج، وقد كنت آتيها من بلغة وأبيت بها ثم أنشر منها، وأمر في نهاري على بئر الزعفرانة، وهي بئر حديثة عذبة الماء، إذا سرت منها قاصداً الغرب وتركت جبل رحرحان على شمالك فهناك ترى وادي الحناكية كأن الدوم فيه السفين المرسى في سواحل البحر، والدارات المذكورة يقال لها في عهدنا اليوم «الديّر» ثم أضافوا إلى الهميج فقالوا «دير الهميج» والهميج من مياه المروراة وهي التي عناها زهير في قوله «المروراة وداراتها».

نخل ونخل: باق على اسمه إلى هذا العهد، إذا سلكت الطريق الذي ذكرنا، وطلعت على وادي الحناكية، وتركت رحرحان عن شمالك فعرج على يمينك وسر أقل من ساعة تصل إلى وادي نخل، وفيهم من يصغره فيسميه «النخيل» وهو يصب في وادي الحناكية، يقع منها في الجهة الشرقية. وقال زهير بن أبي سُلْمىٰ في هذا الموضع:

وإنّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي مِدْحَةً إلى ماجدٍ تُبْغَى لَدَيْهِ الفَوَاضِلُ
أُحَابِي به مَيْتَا بِنَخْلٍ، وَأَبْتَغِي إِخاءَك بَالْقِيْلِ الذي أنا قَائِلُ

أما محجر فقد مضى الكلام عليه في أشعار امريء القيس[1] محجر

والحِسَا: باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو ماء جاهلي قريب من مياه المروراة، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، قال لبيد[2]: الحسا

ويَوم أجازت قُلَّةَ الحزنِ منهمُ مناكبُ تَعْلوُ ذَا حِساً وَقَنَابِلُ
على الصُّرْصَرَانِيَّاتِ في كلِّ رِحْلَةٍ وسُوقٌ عِدَال ليس فيهنَّ مائِلُ

وهو معروف عند عامة أهل نجد، ويقال له اليوم «الحسو» وقد تقدم الكلام عليه[3] على ذكر المرير والمريرة وذكرنا هذين البيتين على المريرة.

أيَا نَخْلَتَى حسْى المريرة هَلْ لَنَا سَبِيْلُ إلى ظِلَّيْكُمَا أَوْ جَناكُمَا
أيَا نَخْلَتَى حسْى المِريرةِ لَيْتَنِى أكونُ طَوَالَ الدَّهْرِ حَيْثُ أرَاكُمَا

وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «حسو عليا» وهو الذي ذكره زهير حين قال:

* وَجَزْعُ الحَسَا منهمُ إذاً قَلّمَا يَخْلُو *

* * *

٨ ــ وقال زهير:

لِمَنْ طَلَلُ كَالْوَحىْ عَافٍ مَنَازِلُهْ عَفَا الرَّسُّ منه فالرُّسَيْسُ فَعَاقلُهْ
فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فَأكْنَافُ مَنْعِجٍ فَشرَقِيُّ سَلْمَىٰ حَوْضُهُ فَأجَاوِلُهْ
فَوَادِى البَدِيِّ فالطَّوِيُّ فَثَادِقٌ فَوَادِى القَنَان جَزْعُهُ فَأفَاكِلُهْ

(١) انظر ص ١٣٧ من هذا الكتاب
(٢) انظر المعجم ٣/٢٧٥.
(٣) انظر ص ١٣٤ و ١٨١ من هذا الكتاب

الرس، والرسيس، وعاقل: ثلاثة أودية عظام تصب في وادي الرمة، وهن واقعات في جهته الجنوبية.

الرس

أما الرس: فقد مضى الكلام عليه[1] عند بيان قول زهير:

* فهن لوادى الرسِّ كاليد للفم *

وهو باق بهذا الاسم.

الرسيس

والرسيس: باق على اسمه إلى هذا العهد.

قلت: والرسيس: بضم الراء وفتح السين المهملة تصغير الرس: من مناطق القصيم، وهو معلوم معروف.

عاقل

وعاقل: يقال له اليوم «العاقلي» يقع من الرس مما يلي رامة في مطلع الشمس عنه، يبعد مسافة يوم عن الرس، والرسيس يقع من الرس تحت مطلع سهيل، يبعد عنه مسافة يومٍ ، قال القتال الكلابى[2]

نظرتُ وَقَد جَلّى الدُّجى طاسمَ الصُّوَى
بسِلْع وَقَرْنُ الشَّمسْ لَمْ يَتَرَجَّلِ

إلى ظُعُن بَيْنَ الرُّسَيْس فَعَاقِلِ
عوامد للشِّيقَيْنِ أَوْ بَطَنْ خَنْثَلِ

أَلَا حَبَّذَا تلك البلادُ وَأَهْلُهَا
لَوَ أَنَّ غَدَاً لِي بِالْمَدِيْنَةِ يَنْجَلِى

وقال الحطيئة:

كَأنّى كَسَوْتُ الرحلَ جَوْنَاً رَبَاعيا   شَنُوناً تَرَبَّتْهُ الرَّسيسُ فَعَاقِلُ

(١) انظر ص : ٢٦ و ٦٥ و ١١٢ و ٢٢٦.
(٢) انظر معجم البلدان ٤ /٢٥١.

والرس والرسيس وعاقل كلها عامرة اليوم، ولعاقل شواهد يجتمع فيها بالرس والرسيس وله شواهد خاصة، قال جرير[1] :

لَعَمْرُكَ لَأأنسَىٰ ليالىَ مَنْعِجٍ ولا عاقلٍ إذ مَنْزِلُ الحيِّ عَاقِلُ

وقال النابغة:

كَأنّي شَدَدْتُ الكَوْرَ حِيْنَ شددتُهُ عَلَى قارحٍ مِمّا تَضَّمن عَاقِلُ

وقال عميرة بن طارق اليربوعي:

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَجْدٍ هَوىً غيرِ أَنَّنِي
تُذَكِّرُنِي رِيْحُ الْجَنُوبِ ذُرَى الْهَضْبِ

وَأنِّي أحبُّ الرِّمْثَ من أرضٍ عَاقِلٍ
وصوتَ القَطَا في الطَّلِّ والمطر الضَّرْبِ

فَإنْ أكُ من نَجْدٍ سقَىٰ الله أهلَه
بمنانةٍ منه فقلبي على قُرْبِ

وقال عبد الرحمن بن دارة:

نظرتُ ودورٌ من نَصِيبِينَ دوننا كأن عَريات العيون بها رُمْدُ
لكيما أرى البرق الذي أومضت به ذرى المزن عُلْوِّياً وكيف لنا يَبْدُوُ
وَهَلْ أسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صَوْتَ حَمَامَةٍ يَمِيلُ بِهَا من عاقل غُصُنٌ مَأدُ
فَإنِّي وَنَجْداً كالقَرِيْنَيْنِ قَطَّعَا قُوىً من حِبَالٍ لم يُشَدَّ لها عَقْدُ
سَقَىٰ الله نَجْداً من خليل مُفَارِقٍ عَدَانَا العِدَى عنه وَمَا قَدُمَ الْعَهْدُ

---

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٦ /٩٧.

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر عاقل:

تمنّى ابْنَتَاىَ أنْ يَعِيْشَ أَبُوْهُمَا وَهَلْ أنَا إلا من رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ
وَنَائِحَتَـانِ تَنْدُبَـانِ بعَاقِـلٍ أخا ثقة لاعَيْنَ منه وَلَا أَثَرْ
وفي أَبْنَى نِزَار أسوةٌ إن جَزِعْتُمَا وإن تسألاهم تُخْبَرَا منهمُ الخَبَرْ

وَرقْد وصارات، وأكناف منعج، وشرقي سلمى، حَوْضُهُ وأجاوله، فأما صارات فقد سبق الكلام عليها في الكلام على معلقة امريء القيس[1]، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم، إذا أفردتها قلت: صارة، وإذا جمعتها قلت: صارات.

وصارة: اسم لهضبة سوداء، وصارات: هضاب صغار متصلة بها، وإليك بيتاً واحداً جمع ثلاثة مواضع، وهو دليل على أنها مجتمعة قريب بعضها من بعض، قال لبيد بن ربيعة[2]:

فأجماد ذي رَقْدٍ فَأَكْنَافِ ثادقٍ فصارة توفي فوقها فَالْأَعَابِـلَا

وقال محمد بن عبد الملك الفَقْعَسي :

سَقَى الله حَيّاً بَيْنَ صَارةَ والْحِمَىٰ حِمَى فَيْدَ صَوبَ المدْجنَات المواطِرِ
أمينَ، وردَّ اللهُ من كانَ منهُمُ إليهم، ووقّاهمُ صُرُوفَ المقادِرِ

وجميع هذه المواضع التي ذكرها زهير كلها متصل بعضها ببعض.

منعج

ومنعج: قد مضى الكلام عليه في معلقة امريء القيس[3] وخلاصته أن منعجا جبال دخنة، ودخنة: هجرة معروفة لبني سالم من حرب، وقد زال عنها اسم منعج، ولا تزال أشعار العرب تروى فيه، قال بعض الأعراب:

---

(١) انظر ص ٥٩ و ٦٠ من هذا الكتاب
(٢) انظر معجم البلدان ٥/٣٣١.
(٣) انظر ص ١١٠ من هذا الكتاب

أحبُّ بِلَاد الله ما بين مَنْعِجٍ   إليَّ وَسَلْمَى أن يصوّبَ سَحَابُهَا

رقد

وأما رقْد فاسمه قديم جاهلي، قال الشاعر:

أَحَقّاً عِبَادَ الله أن لَسْتُ سَائِراً   بصحراء شَرْجٍ في مَوَاكب أوْ فَرْدَا
وَهَل أرَيَنَّ الدَّهْر عبلاءَ عاقِرٍ   وَرَقْدا إذا ما الآلُ شَبَّ لَنَا وقدَا

وقال الصِّمَّة الأكبر[1]

جَلَبْنَا الْخَيْلَ من تَثْلِيْثَ حتَّىٰ   أصَبْنَـا أهْـل صَاراتٍ فَرَقْـدِ
وَلَم نَجْبُنْ وَلَم نَنْكل، ولكن   فَجَعْنَاهـم بكـلّ أشَمَّ جَعْـدِ

والشعراء يذكرون رقدا مع صارة، وثادق، وعاقل، ومنعج. وهذه المواضع كلها يُرىَ بعضها من بعض: صارة ورقد وثادق هذه الثلاثة على ضفة وادي الرمة في جهته الشمالية مما يلي أبانات، وأنا لا أعرف رقدا بهذا الاسم، إلا أنه في تلك الناحية، وهناك موضع يقال له «وقط» وأظن أنه رقد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واوا.

الحوض

والحوضُ الذّي ذكره زهير في قوله:

* فَشَرْقيُّ سَلْمىٰ حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهْ *

ما أظنه إلا ذلك الوادي الواقع شرقي سلمى بين قرى القصيم الشمالية وقرى الجبل الجنوبية ويقال له اليوم «الحويض».

البدى

والبدىّ: يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في معلقة لبيد، لأن البدى: اسم يقع على واديين: أحدهما: الذي ذكره زهير في قصيدته هذه، وهو في طرف القصيم الشرقي، والثاني: الذي ذكره لبيد في معلقته وبائيته، وهو واقع في بلاد بنى

(١) قلت : والصمة الأكبر هو الصمة القشيري، من بني عامر بن صعصعة ومن مضر توفى نحو ٩٥هـ، كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام، ومات في طبرستان.

عامر بن صعصعة قريب دمخ.

الطوى أما الطِّوى: فكل بئر مَطْوية يقال لها عند العرب «الطَّوي».

ثادق وثادق: ماء معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الآن عامر فيه نخيل ومزارع، عمره جماعة من حرب يقال لهم البيضان، ورئيسهم ابن غميض، يصبُّ واديه في وادي الرمة، يقع من أبان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية، قال الأصمعي: هو واد ضخم يفرغ في وادي الرمة، قال عقبة بن سوداء(١):

أَلَا يَا لِقَوْمى لِلْهُمُومِ الطَّوَارِق ... وربعٍ خَلَا بين السَّلِيلِ وَثَادِق

وقال الشاعر:

سَقَى الأربعَ الآطار من بَطْنِ ثَادِقٍ ... هزيمُ الكلى جَاشَتْ بِه الْعَيْنُ أمْلَحُ

وقال عبد الرحمن بن دارة:

قَضَىٰ مَالِكٌ مَا قَدْ قَضَىٰ ثم قَلَّصَتْ ... به في سوادِ اللَّيْلِ وَجْنَاءُ عِرْمِسُ
فَأَضْحَتْ بِأَعْلَى ثَادِقٍ فكأَنَّهَا ... مَحَالَةُ غَرْبٍ تستمرُّ وتمرِسُ

وثادق: كما ذكرنا غربي أبان الأسود.

ووادي القَنَان قد مضى الكلام عليه في معلقته(٢)

٩ ــ وقال زهير:

عَزِيْزٌ إِذَا حَلَّ الْحَلِيْفَانِ حَوْلَهُ ... بِذِي لَجَبٍ لجَّاتُـهُ وَصَوَاهِلُـهْ(٣)
يُهَدُّ لَهْ مَا دُوْنَ رَمْلَةٍ عَالِجٍ ... وَمَنْ أَهْلُهُ بالغَوْرِ زَالَتْ زَلَازِلُهْ

عالج عالج: رمال بين النباج الذي يقال له اليوم «الأسياح» وبين شرقي

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٣ /٣.
(٢) انظر ص ١٥٨ من هذا الكتاب
(٣) هذه رواية الأعلم ورواه ثعلب «إذا حل أحياء الأحاليف حوله».

حائل، جميع الأكْثِبَةِ المتصلة في تلك الناحية يقال لها: رمال عالج، إذا أجازها الحاج المتوجه من البصرة قاصداً المدينة يمر في طريقه على فيد الماء المعروف في شرقي سلمى، وهذه الرمال لا تعرف بهذا الاسم اليوم قال عبيد بن أيوب اللص[1]:

انْظرْ فَرنّخ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً رَأْدَ الضُّحَىٰ اليومَ هَلْ تَرْتَادُ أظْعَانَا
يَعْلُوْنَ من عَالِجٍ رَمْلاً وَيعْسفُه أخُو رِمَالٍ بها قَدْ طَالَ مَاكَانَا
إذا حَبَا عَقَدَ نكّبْنَ أصْعَبَهُ وَاجْتَبْنَ مِنْه جَمَاهِيرا وَغِيْطَانَا

وقال أعرابي:

أَلَا يا بُغَاثَ الوحشِ هَيَّجْتَ سَاكِنَاً
مِن الْوَجْدِ في قلبي أصمّكَ صَائِدُ

رَمَيْتَ سليمَ القَلْبِ بالحُزْنِ في الْحَشَا
وَمَا قلبُ من أشْجَيْتَ بالموتِ طَارِدُ

أفى كل نجدٍ من تلاد وعابرٍ
بُغَامُ مَهَاةِ الْوَحْشِ لِلْقَلبِ قَاصِدُ

أُتِيْحَت لَنَا مِنْ كُلّ مُنْعَرَجِ اللّوىٰ
وَمُتْنَا بِهَا يوم العذيبين نَاهِدُ

يُرَاشِقُ أكْبَادَ المحبّينَ باللّوىٰ
من الوَحْش مرتابُ الْمَذَانِبِ فَارِدُ

فَيَا رَاشقَاتِ العَيْنِ من رَمْلِ عَالِجٍ
مَتَىٰ منكمُ سِربٌ إلى الماءِ وَارِدُ

---

(١) انظر معجم البلدان ٦ /٩٩.

فَمَـا القَـلْبُ مِنْ ذِكْـرىٰ أميمـةَ نَازِعٌ
وَلَا الدَّمْعُ ممّـا أضْمَـر الْقَـلْبُ جَامِـدُ

الغور أما الغور: فهو مشهور في كتب التاريخ، واسمه باق إلى هذا العهد.

* * *

١٠ ـ وقال زهير في قصيدة مَدَح بها هَرِمَ بنَ سنان المرّي، ومطلعها:

إنَّ اَلخْلِيطَ أجَدَّ البين فَانْفَرَقَا وَعُلِّقَ الْقَلْبُ مِنْ أسْمَاء مَا عَلِقا

إلى أن قال:

بِجيدِ مُغْزِلَـةٍ أدْمَـاءَ خَاذِلَـةٍ من الظِّبَاءِ تُرَاعِي شَادِناً خَرِقَا
كَأنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الكَرَىٰ اَغْتَبَقَتْ من طيِّب الرَّاح لَمَّا يَعْدُ أن عَتَقَا
شَجَّ السُّقَاةُ علىٰ نَاجُوْدِهَا شَبِماً من ماءِ لِيْنَة لَا طَرْقاً وَلَا رَنَقا
مَازِلْتُ أرْمُقهُمْ حتّى إذا هَبَطَتْ أيْدي الرِّكابِ بِهِمْ من رَاكِسٍ فَلَقَا

لينة أما لينة: فهي آبار ماؤها عذب لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم، كانت في الزمن القديم المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط، وهي عامرة، وبها مركز وقصر منيع لحكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حفظه الله، وبعض من يتوجه منها يسلك حائلاً، قال الأشهب ابن رُمَيْلَة(١):

ولله دَرِّي أيُّ نَظْرةٍ ذِي هَوىً نظرتُ ودونى لِيْنَـةٌ وكِثْيْبُهَـا
إلى ظُعُنٍ قد يَمَّمَتْ نَحْوَ حائلٍ وقد عزَّ أرواحَ المصيفِ جنوبُهَا

وكانت في الزمن القديم من مياه طيء، وتخالطهم فيها بنو أسد، وهي صالحة للابل، قال مضرس الأسدي(٢).

(١) انظر المعجم ٧ /٣٤٧.
(٢) : مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدى، شاعر حسن التشبيه والوصف أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة منها حكمة. وقال «هو شاعر جاهلي».
=

لِمَنِ الدّيارُ غَشَيْتُهَا بالإِثمِدِ بصَفَاء لِيْنَةٍ كَالْحَمَامِ الرُّكَّدِ
أَمْسَتْ مساكِنُ كَلِّ بيضٍ راعةٍ عَجِلٍ تروُّحُها وَإِنْ لَمْ تُطْرَدِ
صفراءُ عارِيَةُ الأخادعَ رَأْسُهَا مِثْلُ المُدُقِّ وَأَنُفُهَا كَالْمِسْرَدِ
وسخال سَاجِيَةِ الْعُيُونَ خَوَاذل بجمادِ لينةٍ كالنَّصَارَىٰ السُّجَّدِ

وراكس: باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، يقع في شرقي بلغة جبل ممتد أسود ليس بالرفيع به أبْرُقٌ، على جنبه رمل وأحجار، وقد أضيف إليه هذا الأبرق فقيل «أبرق راكس» وهو يبعد عن بلغة أقل من مسافة يوم، ويقع عن الماوية مما يلي مطلع الشمس أكثر من مسافة يوم، وقد قيلت فيه أشعار كثيرة، وقد ذكرنا قسماً منها، قال عباس بن مرداس السلمي(١): راكس

لأسماءَ رَسْمٌ أصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِساً وَأَوْحَش إلا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

وقال داود بن عوف أخو عامر بن ربيعة:

وَأَنَا ذَمَمْنَا الْأَعْلَمَ بنَ خُوَيْلِدٍ وحلمَ عقالٍ إذ فَقَدْنَا أبَا حَرْبِ
إِذا ما حَلَلْتُمْ بِالْوَحِيْد وَرَاكِسٍ فذلكَ نَصْرٌ طَائِشٌ عن بنى وَهْبِ

ورحرحان الذي ذكره عباس بن مرداس السلمي يقع غربا عن راكس مسيرة يومين.

* * *

١١ ــ وقال زهير:

دَانِيَةً من شَرَوْرَى أَوْقَفَا أَدَمٍ يَسْعَى الحُدَاةُ على آثارِهِمْ حِزَقَا
كأنَّ عينيَّ في غَرْبَىْ مقتَّلةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تسقى جَنَّةً سُحُقَا

= واختار أبو تمام (في الحماسة) قطعتين من شعره. وروى له المرزباني عدة مقطوعات وانظر كتابنا الالتزام الإسلامي في الأدب) ص /٢٣٠.

(١) انظر المعجم ٤ /٢٠٩.

شرورى أما شَرورى فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على الهضب الذي يقال له هضب شرورى وأما أدم فيقال لها اليوم «أدمى» وهي تقع في الشمال الغربي من ضرغد بينهما مسافة يوم في مقطع الحرة، وهي حرة منيعة، قال القتال الكلابي وقد توعده مروان بن الحكم(١):

أدم

وأرسلَ مروانُ الأميرُ رسولَه   لآتِيَهُ، إنّي إذا لَمُضَلَّلُ
وَفِي سَاحةِ العَنْقَاء أو في عَمَاية   أو الأدَمىٰ من رَهْبَةِ المَوْتِ موئِلُ

وقال أبو سعيد السكري في قول جرير:

يَاحَبَّذَا الخَرْجُ بَيْنَ الدّامِ والأدَمىٰ   فَالرِّمْثُ من بُرْقَة الرَّوْحَان فَالْغُرَفُ

الدام والأدمى في بلاد بني سعد.

وقال أبو خراش الهذلي:

تَرَى طَالِبَ الحَاجَاتِ يَغْشَوْنَ بابَه   سِرَاعاً كَمَا تَهْوىٰ إلى أدَمىٰ النَّحْلُ

تنبيه ــ ونريد أن ننبه القارىء إلى أن الشاهد الذي أوردناه للقتَّال الكلابي، إنما عنى به أدمى التي ذكرها زهير، وذلك أنها حرة منيعة. وأما التي ذكرها جرير فهي واقعة في جبال اليمامة ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، وأما التي ذكرها أبو خراش الهذلي: فهى من جبال الطائف، ويقال لها اليوم «أدمة» إذا خرجت من بلد الطائف وأجزت قصر شبرا سالكاً طريق الحوية العائدة لسمو الأمير فيصل آل عبد العزيز وتركت بستان سمو الأمير عبد الله على شمالك، فإنها حينئذ على يمينك يحفها الطريق(٢).

(١) انظر معجم البلدان ١ /١٥٧ ومابعدها.

(٢) ثم انى بعد ماذكرت «أدم» وحددت المواضع التي يطلق عليها هذا الاسم وجدت رجلاً خبيراً عارفاً ببلاد غطفان ومياهها وجبالها، فسألته عن أدمى، فقال : هي هضبة =

١٢ ـــ وقال زهير:

رَدَّ الجِمَالَ قِيَانُ الحيِّ فاحتملوا إلى الظهيرةِ، أَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَبِكُ[١]
ضحَّوْا قِليلًا قَفَا كُثْبَانِ أَسْنُمَة ومنهم بالقسومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ[٢]

أما أسنمة: فقد أجمع أهل الأخبار أنها لم تسم أسنمة إلا الأن الكُثْبَان فيها كأنها أسْنِمَة الإبل، وهي واقعة على طريق الحاج بين البصرة والمدينة، وهي آخر العروق الغربية من جهة سَلْمىٰ، وهناك موضع في تلك الجهة يقال له في هذا العهد «أسنمة نواظر» وهي التي عناها زهير، ويدل على أنها في تلك الناحية البيت الذي سنورده بعد هذه العبارة وأسنمة هي التي عناها ربيعة بن مقروم[٣] بقوله: أسنمة

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأَنَّها لم تُحْلَلِ بَجنُوبِ أَسْنِمَةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ
دَرَسَت مَعَالِمُهَا فباقى رَسْمُهَا خَلَق كعنوان الكتاب المُحْوِلِ

دارٌ لِسُعْدىٰ إذ سُعَاد كَأَنَّهَا
رشأٌ غضيضُ الطَّرْفُ رَخْصُ المفصَلِ

وأما أسنمة الواقعة في بلاد بني تميم في رمالها الشرقية التي يقول فيها جرير:

= حمراء ململومة ليست بالرفيعة، تقع من جبل رخام في الشمال الغربي على مسافة يوم أو أقل، وهضب شرورى الذي يسمى اليوم هضب القتاد، يبعد عنها إلى الجنوب مسافة يوم، وهي التي ذكرها زهير، وهي واقعة في قلب بلاد غطفان، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، المؤلف.

(١) في الديوان «رد القيان جمال الحي»

(٢) هذه رواية الأصمعي، وروى ثعلب وياقوت «وعرسوا ساعة في كثب أسنمة».

(٣) انظر معجم البلدان ١ /٢٤٦.

قَالَ العواذلُ: هَلْ تَنْهَاكَ تَجرْبَةٌ   أَمَّا تَرىٰ الشَّيَّبَ والاخوان قد دَلَفُوا
أم ما تَلِمُّ على رَبْع بأسنمة   إلَّا لعينك جارٍ غَرْبُه يَكِفُ
مَا كَانَ إذ رَحَلُوا من أرضِ أسْنِمَة   إلّا الذَّمِيلُ لهاِ ورد ولا عَلَفُ

فأسنمة هذه غير التي ذكرها زهير.

القسوميات أما ماء القَسُوميات فأنا لا أعرفه اليوم بهذا الإسم، والمياه الواقعة بين أسنمة وسلمىٰ كثيرة قال ياقوت في معجمه[1] على القسوميات: أنها ثمد فيها ركَايا كثيرة، وبيت زهير هذا يدل على أنها مياه ألا ترى إلى قوله:

* ضَحّوْا قليلاً قَفَا كثبانِ أسنمةٍ *

فإن هذه العبارة تدل على أن أسنمة خالية من الماء، ثم قال وهو عجز البيت:

* ومنهم بالقَسُومِّيات معترك *

أراد اعتركوا على الماء وشرابه وسقى ابلهم منه، استعار هذه اللفظة من معركة القتال، ولما ذكر ياقوت القسوميات في معجمه لم يورد عليها من الشواهد إلا بيت زهير.

١٣ ـــ وقال زهير، وهو الذي بعد هذا البيت:

ثم اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا: إنَّ مَشْرَبَكُمْ   ماء بشرقيِّ سَلْمىٰ فَيْدُ أوركَكُ
يَغْشَى الحُدَاةُ بِهِمْ وَعْثَ الْكثيِبِ كَماَ   يُغشِي السَّفائنَ موجُ اللجَّةِ العَرَكُ[2]

فيد وفيد: بلد قديم جاهلي، وهو باق على اسمه هذا إلى هذا اليوم، يقع

(١) المعجم ٧ / ٩٠

(٢) في الديوان «يغشى الحداة بهم حر الكثيب» والعرك ـــ بفتحتين ـــ الملاحون، ويروي بكسر الراء وهو المتلاطم الذي يدفع بعضه بعضاً.

شرقي سَلْمىٰ مما يلي مطلع الشمس، منقطع من سلمى، فيه نخيل ومزارع، وقد ذكروا في تقسيم الطريق بين مكة والكوفة أنها في نصف المسافة بين مكة والكوفة، ويضع حاج العراق فيها أثقالهم حتى يرجعوا إليها، قال الزجاجي: سميت بفيد بن حام بن نوح، وأهلها في الجاهلية ثلاثه أثلاث: ثلث من العُمريين، وثلث لآل أبي سلامة من همدان وثلث لبني نبهان من طي، وهي من ملحقات جبلي طي، ولا يحتاج إلى شواهد على هذا الاسم، وينسب إلى هذا البلد محمد بن يحيىٰ ابن ضريس الفَيْدى، ومحمد بن جعفر بن أبي مواتية الفيدي، وأبو اسحاق عيسى بن إبراهيم الفَيْدى الكوفى وهو عالم جليل، سكن فيدا، يروى عنه موسى الجُهَني، روى عنه أبو عبد الله عامر بن فزارة الكوفي وغيره.

ورَكَك: واد عظيم باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، يصب من جبل سلمىٰ في جهته الشرقية مما يلي الشمال، كثير المياه، قال عبيد بن الأبرص الأسدي[1]: ركك

تَغَيَّرت الدّيارُ بذي الدَّفِينِ ... فأودية اللِّوى فرمالِ لِينِ
تَبَيَّنْ صاحبي أترى حَمُولا ... تشبه سيرها عَوْم السَّفينِ
جعلن الفَلَج من رَكَكٍ شَمَالا ... ونَكَّبْنَ الطَّوِىَّ عن اليمين

ورَكَك معروف عند أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا اليوم.

* * *

١٤ ــ وقال زهير يصف فرساً :

كَأَنَّهَا مِنْ قَطَا الْأَجْبَابِ حَلَّأَهَا ... وِرْدٌ وَأَفْرَدَ عَنْهاَ أُخْتَهَا الشَّرَكُ[2]

(١) انظر معجم البلدان ٤ /٢٧٩.
(٢) الأجباب : جمع جب بالضم ــ وأصله البئر لم تطو، وقال ثعلب : الأجباب مواضع فيها ركايا. والورد ــ بكسر ــ الابل الواردة، وحلأها منعها، وروى ثعلب «حان لها ورد» يقول : نظرت إلى الماء فرأت عليه ناساً كثيرين فلم ترده، والشرك : حبال الصياد، وروى ثعلب في مكانه «الشبك» والمعنى واحد.

جُوَنِيَّةٌ كحصاةِ اَلْقَسْمِ مَرْتَعُهَا بالسِّيِّ، ما تُنْبِتُ القفعاءُ والْحَسَكُ[١]

السى والسيِّ: واد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع بين معدن بني سليم الذي يقال له اليوم «المهد» وبين حَرة بني سليم وسيوله وسيول ساية، تصب إلى جهة الغرب وتنحدر إلى أعلى وادي فاطمة المسمى «مر» وساية الوادي المذكور: فيه نخيل ومزارع، وسكانه بنو سليم، وسى هذا هو الذي عناه زهير. وكلا الواديين باق بهذا الاسم إلى اليوم، قال خالد بن مالك الهذلي في ذكر[٢] ساية.

بودك أصحابى فلا تزدهيهمُ بسَايَةَ اذ دَمّتْ علينا الحلائبُ

وقال المعطل الهذلي في ذكر ساية

أَلَا أصْبَحَت ظمياءَ قَد نَزَحَتْ بِهَا نوىً خَيْتعورُ طَرْحُهَا وَشتَاتُهَا
وَقَالَتْ: تَعَلَّم أنَّ ما بَيْنَ ساية وَبَيْنَ دُفاقٍ رَوْحةَ وَغداتُها

وقال أبو عمرو الهذلي:

أسائِلُ عنهم كلما جاء راكبٌ مقيماً بأملاح إذا رُبِطَ الْيَعْرُ
وما كُنْتُ أخشى أن أعيش وراءهم بِستِةِّ أبيات كما نبت العِتْرُ[٣]
بما قد اَراهُمْ بين مَرَّ وسايةٍ بكل مسيل منهم أنسٌ غِبْرُ

مر ومر: هو مرّ الظهران الذي يقال له اليوم «وادى فاطمة» يصب سيله في البحر الأحمر، وفي أعلاه موضع يقال له «وادى مر» لا يزال يعرف

(١) جونية : أى فيها سواد، وحصاة القسم : المدرة التي يقدر بها الماء في القدح إذا تصافنوا، وانما يفعلون ذلك إذا نفذ ماؤهم، يتقاسمونه فيأخذ كل منهم مقدار ما يغطي حصاة، وأراد أنها مستوية لأن قسم الماء بالحصاة لايكون فيه حيد ولاغبن. والسي ــ بكسر السين ــ أصله مااستوى من الأرض، والقفعاء : بقلة من أحرار البقول.

(٢) معجم البلدان ٥ /٢٣.

(٣) العتر ــ بالكسر ــ نبت لايزيد ورقه عن ست ورقات ولاينقص عنها.

بهذا الاسم إلى هذا العهد، وساية داخلة في أودية الحجاز أما «وادي سِيٍّ» الذي ذكره الشاعر فإنه يقع في شرقيها على حدود جبال الحجاز وقال جرير في ذكر السّيَ:

إذا ما جعلْتُ السِّيَّ بيني وبينَهَا وحرَّةَ ليلى والعقيقَ اليمانيا
دعوتُ إلى ذي العرش ربِّ محمّدٍ ليجمع شعْباً أو يقرب نائيا
ويأمرني العُذَّالُ أن أترك الهوى وأن أُخفَي الوجْدَ الذي ليس خافيا
فيا حَسَراتِ القَلْبِ في إثْرِ من يُرَىٰ قريباً وَيُلْفىٰ خَيْرُه منك قَاصيَا
وإنّي لَعَفُّ الفقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَىٰ[1] سريعٌ إذا لم أرضَ دارِى انْتِقَالِيَا

وقال ابن راح بن قرة أخو بني الصَّمُوت يذكر السِّيِّ[2]:

وإن عمّــــادَ السّى قد حالَ دونهـــا
طَوى البطـن غَوّاص عَلَـى الهَـوْلِ شَيْظَـمُ

فكيــفُ رأيتُـم شيخَنَـا حِيْــنَ ضمَّــهُ
وإياكُـــم ألب الحـــوادث يَزْحَـــمُ

الأجباب

وأما الأجباب التي ذكرها زهير في قوله:

*** كأنها من قَطَا الأجباب الخ ***

فإني لما نظرت في شرح الأعلم[3] على هذا البيت رأيته قال:

(١) قلت : وهذا الشطر يروىٰ من بيتين ينسبان لحاتم الطائي، وهما قوله :

وإنّــي لعــف الفقــر مشتــرك الغنــىٰ
وتــارك شكــل لايوافقــه شكلــي

وشكلــي شكــل لايقــوم بمثلــه
إلاكــلُّ ذي ثقــةٍ مثلــي

(٢) انظر معجم البلدان ٥ /٢٠٤.
(٣) قلت : يريد الأعلم الشنتمري.

الأجباب: جمع جب، وهو كل بئر لم تطو، وحدثني الخبيرون ببلاد طي وبلاد بني أسد وبلاد غطفان أن في شرقي سلمى آباراً يقال لها «الأجباب» واقعة في موضع بين فيد[1] وركك، وهي للركك أقرب، ولم يَعْنِ زهير إلا تلك الآبار، وهي باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد.

* * *

١٥ ــ وقال زهير:

تَعَلَّمَنْ ها لَعَمْرُ اللهِ ذَا قَسَماً فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ وانْظُر أيْنَ تَنْسَلِكُ
لَئِنْ حَلَلْتَ بجوٍّ في بَنِي أسَدٍ في دين عَمْرو وَحالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ باقٍ كَمَا دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدكُ

وقد غلط (أخطأ) كثير من الشراح والطباع بسبب نقطة وضعوها تحت الحرف فصار «جوا» فلو وضعوها فوق لكانت «خوا» وهي الواقعة في بلاد بني أسد، والصحيح أن زهيراً قصدها وأن صواب الرواية.

*** لئن حللت بخو في بني أسد ــ البيت ***

وخو: ماء جاهلي يقع في شرقي سميراء الجنوبي في خشم الجبل المسمى «حبشى» وقد وردته تسميه العامة اليوم «الخوة» وعنده يوم من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع قَتَلَ فيه ذؤاب بن ربيعة عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، قال مالك بن نُوَيرة[2]: خو

وَهوَّن وجدى أن أصابتْ رِمَاحُنَا عَشيةَ خَو رَهْطَ قيس بنِ جابر
عميد بني كوز وأفناءَ مالكٍ وخَيْر بَني نصرٍ وخَيْرَ الغواضر

(١) وعبارة ثعلب «الأجباب مواضع فيها ركايا».
(٢) معجم البلدان ٣ /٤٩٢.

وقال بعثر بن لقيط الفقعسي، وهو أسدي :

ألَا حيِّ لي من ليلة القبر انه ... مآب، وان أكرهتُهُ، أنا آيبُهْ
وبارك خو ينسج الريح متنه ... إذا أطردت قريانه ومذانِبُهْ
إذا أفْأمَتْ فيه الجنوب كأنما ... يدق به قرنَ الْقَرَنْفُلِ ناشبُهْ
إذا نَوَّرت غراؤه ودماثُـــــهُ ... وزين بقُلح الأيهُقان أخاشَبُهْ
كأن لها عَيراً من المسك حَلَّها ... دَهاقينُ مَلْك تجتني ومَرَازِبُـهْ
وتارك ريعان الشبـاب لأهلـه ... تروح له أصحابه وصَوَاحِبُـهْ

وقال الراجز(١):

وَبَيْـنَ خويـن زقـــاقِ واسِعْ ... زقـاقُ بَيْـنَ التيـنِ والرَّبَائِـــعْ

والتين أعرفه، لا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، إذا كنت عند خو رأيته بعينك في الجهة الجنوبية منه، وفيها ــ أعني خوا المعروف اليوم بالخوة ــ قصر ومزارع تبعد عن سميراء أقل من نصف يوم مما يلي مطلع الشمس.

وأما فَدَك: فهو المعروف اليوم عند عامة العرب بالحائط والحُوَيط واقع في خَرَّة سوداء يحيط به حِرَار سود، وهو في أرض منخفضة في الحرة، فيه ثلاث عيون تصب من الحرة وتسقى نخيله، وهو كثير النخل، ويعرف باتصال الحمي، وقد أتيته ثلاث مرات للاتجار: الأولى أقمت فيه شهراً وذلك في سنة ١٣٤١هـ، ومرضت بالحمى وشفاني المولى منها، ولما افتتح رسول الله ﷺ أكثر حصون خَيْبر، ولم يبق إلا ثلثها واشتد الحصار بأهلها أرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجَلاء فأجابهم، فبلغ ذلك أهل فَدَك فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ وعرضوا عليه أن فدك

(١) قلت : يريد الراجز العماني.

يصالحهم على نصف ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يُوجِفْ عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ، وأخبار فدك طويلة، ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ضمها أبو بكر إلى بيت المال، فلما توفي رضي الله عنه ــ وكانت فاطمة قد توفيت ــ وولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنازع عليٌّ رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب، عليٌّ يقول: إن رسول الله ﷺ جعلها لفاطمة، فهي لنا، والعباس يأبىٰ ذلك ويقول: هي ملك رسول الله ﷺ وأنا وارثه، فكانا يختصمان إلى عمر رضي الله عنه، فيابىٰ أن يحكم بينهما، ويقول: أنتما أعرف بشأنكما أما أنا فقد أسلمتها إليكما، فاقصدا، فما يؤتي واحد منكما من قلة معرفة، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله في المدينة يأمره أن يرد فَدَك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها، فكانت في أيديهم أيام عمر بن عبد العزيز، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها منهم، فبقيت في أيدي بني أمية إلى خلافة بني العباس، فلما كان عهد المأمون جاء رسول بني علي ابن أبي طالب فطالب بها، وشكا إلى المأمون، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها سجل يكون بأيديهم، فلما قرىء السجل على المأمون ودعبل[1] الشاعر بين يديه، قام وأنشد القصيدة التي مطلعها:

أصْبَحَ وَجْهُ الزَّمان قد ضَحِكَا بردِّ مأمــونِ هاشمٍ فَدَكَــا

---

(١) قلت : هو دعبل الخزاعي (١٤٨ ــ ٢٤٦هـ) وهو، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي شاعر هجاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتاباً في (طبقات الشعراء). قال ابن خلكان في ترجمته : كان بذىء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجاء الخلفاء ــ الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق ــ فمن دونهم وطال عمره، فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفى ببلدة تدعىٰ الطيب بين وأسط وهو زرتاه) وكان طوالاً ضخماً أطروشاً. الأعلام ج ٣ /١٨.

والذي بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل فدك بالصلح مُحَيصة بن مسعود، ورئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودي.

وفدك الذي ذكره زهير هو المعروف بالحائط في هذا العهد، سكانه اليوم يقال لهم «الحوايطة» جلدتهم سوداء، وبلغني أن الحائط كان ملكاً لابن مجلاد من رؤساء عنزة، ثم جلا إلى العراق واستوطنها في أواخر القرن الثاني عشر، وبقى به عبيده وفلاحوه، وملكوا تلك الناحية شيئاً فشيئاً إلى هذا اليوم، وهم باقون فيه، وباديتهم هتيم، وهو واقع في القطعة التي يتجولون فيها ويقيظون فيها أيام صرِام التمر، وهي بين المدينة المنورة وبين حائل مدينة جبلى طي، في نصف المسافة بينهما تقريباً.

* * *

١٦ ــ وقال زهير في قصيدته التي مطلعها:

قِفْ بالدِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَاَ الأرواحُ والدِّيَمُ

وهذه القصيدة مدح بها هرم بن سنان المُرىَّ، وتوسع في المواضع فذكر السر والعتكين، وهما في شرقي نجد، وذكر قرقري وبرك وهما في جنوبي نجد الشرقي، وذكر صبحا وهي في جنوبي نجد، وذكر ظلما، وهي في جنوبي نجد الغربي، وقد توسع في المواضع كما توسع في مديح هرم ــ قال:

دَارٌ لأسماءَ بالغمَرْيـنِ مَاثَلةٌ كالوَحْى ليس بِهاَ من أهْلِهَا أرِمَ
وَقَدْ أرَاهَا حديثاً غَيْرَ مُقْوِيَةٍ السِّرُّ منها فوادِى الحَفْرِ فالهِدَمُ[1]

---

(١) في الديوان برواية ثعلب «بل قد أراها جميعاً غير مقوية» وفي رواية «الجفر» بالجيم مكان الحاء.

الغمران

الغمران: هما «غمرة» الماء المعروف بهذا الاسم الواقع في بلاد غطفان، وهي واقعة على ضفة وادي الرمة الشمالية، بين مصب الجريب في الرمة وبين الحاجر، وهي على هذا الاسم إلى هذا العهد وغمرة الثانية: واقعة في أعلى بلاد غطفان، وهي فاصلة بين نجد والحجاز مما يلي معدن بني سليم، وهاتان الغمرتان هما اللتان عناهما زهير، لأنهما واقعتان في بلاد قومه، وأما غمرة التي في بلاد بني أسد، فهي التي يقول فيها عبيد بن الأبرص:

تَبَصَّرْ خليلِي هل ترى من ظعائن سَلْكْنَ غميرا دونهنَّ غموض
وفوق الجمال الناعجات كواعبٌ محا بيض أبكار أوانسُ بِيْضُ

وهي التي يقول فيها ذو الرمة:

تَقَضَّيْنَ من أعراف لينٍ وَغَمْرَةٍ فلما تعرفن اليمامة عن عُفْر

والمقصود أن غمرتين الواقعتين في بلاد غطفان إحداهما في النصف منها، والثانية في أعلاها على أسمائها إلى هذا اليوم.

السر

وأما السر فإن في نجد مواضع كثيرة تقارب أسماءها هذا الاسم: السرة وسرير، وتسرير، وسرار، فأما على هذا الوزن الذي ذكره زهير فلا أعلم إلا الكثيب المرتكم بين خف ومرات وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضي الكلام عليه وحددنا قراه ومياهه، وهذا اسمه في الجاهلية، وقد مر ذكره في هذا الكتاب في مُسَاجلة امرىء القيس والحارث حيث قالا[1]:

فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السّر ظَبْياً وَلَـمْ يَتْـرُك بِجَلْهتهـا حِمَارَا

---

(١) انظر ص ١٤٤ و ١٤٥ من هذا الكتاب.

وادي الحفر

ووادي الحفر: يعرفه عامة أهل نجد وغيرهم، لأنه باق بهذا الاسم ويقال له «حفر بني حسين» وهو بلد قديم جاهلي، وعمر في صدر الإسلام، وبه آثار وآبار قريبة الماء يؤمل أن تجري على ظهر الأرض وآثار القصور والآطام[1] باقية إلى هذا العهد، وقد حدثني الشيخ العلامة عبد الله السليمان آل بليهد عن هذا الحفر وعماره، وفي سلسلة من حديثه قال: إن الخليفة المستعين العباسي أمر والى مكة في زمانه أن يحصى حملة القرآن عن ظهر الغيب من أهل الحَفْر من الذين قَصَدُوا مكة للحج فكتبوا أسماءهم: فلان بن فلان الحفرى، وفلان بن فلان الحفرى الخ، فوجدوهم احدى عشرة مائة رجل، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] وموقعه على حدود كشب الواقعة غرب منه وهو منهل، ترده الأعراب، إذا كنت على الحفر فجبل شعر منك أمام المصلى، وجبل كشب بينك وبين الشرق، وجبل شعر يبعد عن الحفر مسافة يوم للراكب البطيء.

الهدم

أما الهدم فهو باق بهذا الاسم لم يتغير إلا بحرف واحد، وضعوا في موضع الميم باء فقالوا: «الهدب» وواديه هو وادي الحفر، واقع شرقي ماء الحفر المذكور، وهو آبار قليلة الماء متهدمة ..

وانى بعد أن ذكرت السر الذي في بيت زهير[3] وذكرت السر الذي في طريق السيارات بين خف ومرات، اجتمعت برجل عارف خبير ببلاد غطفان وجميع أماكنها، فسألته عن السر، فقال: إنه موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم وهو الذي عناه زهير، لأنه واقع في بلاد غطفان بين كشب وبين صفينة والسوارقية القرى المعروفة في بلاد غطفان، وهو واد يأتي سيله من جهة الغرب، وينحدر إلى جهة الشرق الجنوبي مما يلي مطلع الشمس،

(١) الآطام: جمع اطم ــ بزنة عنق ــ وهو الحصن.

(٢) آيه ٨٨ سورة القصص.

(٣) انظر ص ١٤٩ من هذا الكتاب

ويقف في «صبخا» قريب كراع الحرة المجاورة لجبل كشب وجبل أكباد وجبل أنياب يقعان منه في الجهة الشمالية الغربية على أقل من مسافة نصف يوم.

١٧ ــ وقال زهير:

فَلَا لُكَانُ إلىٰ وَادِى الْغِمَار فَلَا شَرْقِيُّ سَلْمىٰ فلا فَيْدٌ فَلَا رِهَمُ[١]
شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرىٰ، بِرْكٌ بِأيْمُنِهِمْ وَالْعَالِيَاتُ، وَعَنْ أيْسَارِهِمْ خِيَمُ

لكان لُكَان: لا أعرفه، ولا أعرف له اسماً في عهدنا هذا، قال في معجم البلدان[٢]: هو موضع واستدل ببيت زهير.

وادي الغمار وادي الغمار: هو الوادى المجاور لبلد سميراء من جهة الجنوب شرقي سلمى وفيد، وقد تقدم الكلام عليه، وهو مثل الموضع الذي ذكره حين قال:

* **مَاءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمىٰ فَيْدٌ أوْرَكَكُ** *

وقد تقدم الكلام على فيد وركك .

رهم فأما رهم المذكور في هذا البيت فهو موضع شرقي سلمي، ولست أدري أباق هو بهذا الاسم أم قد تغير؟

قرقري أما قرقري: فهي واقعة في جهة اليمامة مُتَاخمة لوادي الأحيسي الذي يقال له اليوم «الحيسية»، وهي أرض عريضة منها «البرة» الموجودة إلى اليوم بهذا الاسم، ومنها «قرمى» المعروفة بهذا الاسم في الزمن القديم، واسمها اليوم «ضرمى» فهي والبرة وما بينهما يطلق عليها «قرقري»، وذكرها

---

(١) هذه رواية الأعلم. وروى أبو العباس ثعلب وياقوت «ولافيد ولارمم» براء فميمين.
(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٣٣٧.

صاحب الأغاني في ترجمة يحيى بن طالب الحنفى[1]، وأطال عليها الكلام، وقد قال يحيى بن طالب وهو في بغداد وقد أجلاه الدَّين إلى تلك الناحية:

أحقّاً عِبَادَ الله أنْ لَسْتُ نَاظِراً إلىٰ قَرْقَرىٰ يَوْماً وَأعْلَامهَا الغُبْرِ؟!
كَأنّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ جَناحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إلى وَكْرِ
أقُولُ لِمُوْسَى ، والدُّمُوعُ كَأنَّهَا جَدَاوِلُ فَاضَتْ من جَوَانِبِهَا تَجْرى
ألَا هَلْ لِشَيْخٍ وابْنِ ستّين حِجَّةً بَكَى طَرَباً نَحْوَ الْيمَامَة مِنْ عُذْرِ

قلت: وبعده:

وَزَهّدني في كُلّ خَيْرٍ صَنَعْتُه إلىٰ النَّاس ما جَرَّبْتُ من قلّة الشُّكْرِ
إذا ارْتَحلَتْ نَحْوَ اليَمَامَة رِفْقَةٌ دَعَاكَ الْهَوىٰ واهْتَاجَ قَلْبُكَ لِلذّكْرِ
فَوَاحَزَنِى مما أجنْ مِن الْأَسَىٰ ومنْ مُضْمَرِ الشَّوْقِ الدَّخِيلِ إلى حجْرِ[2]

قلت، وبعده:

تغرَّبْتُ عَنهَا كَارهاً وَهَجَرْتُهَا وَكَانَ فراقيها أمرَّ من الصَّبْرِ
فَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ أبتَ مسلّماً وَلَا زَلْتَ في رَيْبِ الْحَوَادِث في سِتْر
إذا مَا أَتَيْت اَلعِرْضَ فاهْتف بِأهْلِهِ سقيتَ عَلَى شَحَطِ النَّوىٰ مُسْبَل القَطْرِ
فَإنّكَ مِنْ وَادٍ إليَّ مُحَبَّبٍ وإن كُنْتَ لا تَزْدَادُ إلّا عَلَى عَقْرِى

فتوغل يحيي بن طالب في غربته وفراره من الدَّيْن قاصداً خراسان، فلما وصل إلى قومس، قال :

أقُولُ لَأصْحَابى وَنَحْنُ بِقُومسَ وَنحْنُ على أثْبَاجِ ساهمةٍ جُرْدِ
بَعُدْنَا وربِّ النّاسِ عن أرْضِ قَرْقَرىٰ وَعَن قاعِ موحوشٍ وزِدْنَا على البُعْدِ

---

(١) الأغاني ٢٠ /١٤٩ بولاق.
(٢) يريد حجر اليمامة وانظر معجم البلدان ٧ /٥٧.

فلما وصل إلى خراسان قال:

أيا أثَلاث القاعِ مِن بَطْنِ تُوْضِحَ ... حَنِيْنِي إلىٰ أطْلَالِكُنَّ طَوِيْلُ
وَيَا أثَلاثَ الْقَاع قَلْبِي مُوَكَّلٌ ... بِكُنَّ وَجَدْوى خَيْرِكُنَّ قَلِيْلُ
وَيَا أثَلَاثَ الْقَاعِ قَدْ مَلّ صُحْبَتِي ... مَسِيْرِى فَهَلْ في ظلّكُنَّ مَقِيْلُ
أَلَا هَلْ إلى شَمّ الخُزَامىٰ ونظرةٍ ... إلىٰ قَرْقَرى قَبْلَ المَماتِ سَبِيْلُ؟
فَأشْرَبُ من ماءِ الحجَيْلَاء شرْبَةً ... يُدَاوىٰ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلِيْلُ

قلت: وبعده:

أُحَدَثُ عَنْكَ النَّفس أنْ لَسْتُ رَاجعاً ... إليكِ، فَحُزْني في الفؤادِ دَخِيْلُ
أُرِيْدُ انْحِدَاراً نَحْوَها فيصدّني ... إذا رمتُه دَيْنٌ عليَّ ثَقِيْلُ

أما الحجيلاء: المذكورة في البيت الخامس فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، تقع عن بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين، ويحيى بن طالب بلده البرة في الجهة الشمالية من قرقرى، انظر إلى قوله وهو في غربته:

خَلِيْلَيّ عُوْجَا بارك الله فِيْكُمَا ... عَلَى البرّة الْعُلْيَا صدورَ الرّكَائِبِ
وَقُوْلَا إذا مَانَوّه الْقَوْمُ لِلْقُرَى ... أَلَا فِي سَبِيْلِ الله يحيي بنُ طَالِبِ

قلت: وقد تحدث ياقوت الحموي في معجمه عن قرقرى، فقال:

هي أرض بـ (اليمامة)، إذا خرج الخارج من (وشم اليمامة) وجعل (العارض) شمالاً، فإنه يعلو أرضاً تسمى (قرقرى)، فيها قرى وزروع ونخيل.. وفي (قرقرى) أربعة حصون: حصن لكندة، وحصن تميم، وحصنان لثقيف.. قال ذلك كله أبو عبيد الله السكوني رحمه الله تعالى ـــ فقد سرني بما أوضحه .. ثم قال: وحدث ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، حدثني محمد بن حفص بإسناده عن يزيد بن العلاء بن مرقش، قال: حدثني أخي موسى بن العلاء، قال:

كنا مع يحيى بن طالب الحنفي أحد بني ذهل بن الدول بن حنيفة، وكان مولى لقريش، وكان شيخاً ديِّناً يقرىء أهل (اليمامة)، وكانت له ضيعة بـ (اليمامة) يقال لها: (الْبَرَّةُ العُلْيا) وكان يشترى غلات السلطان بقرقري، وكان عظيم التجارة وكان سخياً .. فأصاب الناس جدب فجلا أهل البادية، فنزلوا (قرقري)، ففرق يحيى بن طالب فيهم الغلات، وكان معروفاً بالسخاء، فباع عامل السلطان أملاكه، وعزَّه الدين فهرب إلى (العراق)، وقد كان كتب ضيعة من ضياعه لقوم قرارا لهم بها لئلا يبيعها السلطان فيما يبيع، فكابره القوم عليها، فخرج من (اليمامة) هارباً من الدين يريد (خراسان)، فلما وصل إلى (بغداد) بعث رسولاً إلى (اليمامة) وكنا معه، فلما رآه في الزورق أغرورقت عيناه بالدموع، وكان معدوداً من الفصحاء، فأنشد يقول:

القصيدة التي مر ذكرها كما أثبتها المؤلف رحمه الله، وبالزيادة التي كانت في الأصل، ثم قال ياقوت:

وحدث أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال أخبرني أبو الحسن على بن محمد المدائني، قال: كان يحيى بن طالب الحنفي مولى لقريش بـ (اليمامة)، وكان شيخاً فصيحاً ديناً يقرىء الناس، وكان عظيم التجارة، وذكر مثل ما تقدم .. فخرج إلى (خراسان) هارباً من الدين، فلما وصل إلى (قُومس) قال: (البيتين).

فلما وصل إلى (خراسان قال: القصيدة أيا أثلات القاع ...) قال أبو بكر الأنبارى: وقد غُنِّي بهذه الأبيات عند الرشيد، فسأل عن قائلها، فأخبر، فأمر برده وقضاء دينه ... فسئل عنه، فقيل إنه مات قبل ذلك بشهر، وقد قال:

* **خليْلَيّ عُوْجَا** .. (البيتيــــن) *

قلت: هذا ما أورده ياقوت عن مأساة هذا الرجل الكريم، وقصائده تلك تصلح شواهد مثالية على أدب الشوق والحنين في أدبنا القديم.

قلت: وقد وهم البكري ــ غفر الله له ــ في قوله: (وقال مالك بن الريب):

بَعُدْتُ وبيتِ الله من أهْلِ قَرْقَرىٰ وَمَن أهْل مَوْسوجٍ وَزِدْتُ على الْبُعْدِ

فالبيت ليحيى بن طالب، وليس لمالك بن الريب، ونصه:

بَعُدْنا وَبَيْت الله عن أرْض قِرْقَرىٰ وَعَنْ قَاع موحوشٍ وَزدْنا عَلَى البعْدِ

قلت: وإذا تجاوزنا (قرقرى اليمامة) هذه التي تحدث عنها يحيى بن طاَلب الحنفى، فإننا نذكر بقرقرى أخرى نسبت إلى ديار بني عبس يقال لها (قرقرى عبس).

وقد هلك في بغداد هذا الشاعر الأديب، في سفرته هذه، رحمه الله.

وقرقرى: معروفة بهذا الاسم، ولكن ذكرها قليل في ألسن الناس[1] لم يبق في ألسن الناس إلا ضرمى والبرة، وكانت تلك البلدان عامرة فيها نخيل ومزارع وقصور، ولم يبق منها إلا الآثار الدارسة والأخبار القديمة، والذي يدل على أنها هي التي عناها زهير أنه قرنها ببرك والعاليات وخيم.

العاليات أما العاليات وبرك فهي مجاورة لها في الجهة الجنوبية منها.

وبرك وبرك قد مضى الكلام عليه، واد يصب من عارض اليمامة وينتهي سيله إلى الخرج.

(١) قلت : ذكر ابن خميس في معجم اليمامة ج ٢ /٢٨٠ قال : وهذا الاسم (قرقرى) لم تعد تسمى به هذه المنطقة .. ولولا شهرته الأولى لنُسِيَ كلياً وإنما يسمونها الآن (بطين) بفتح الباء، وكسر الطاء، وإسكان الياء، فنون .. مضافة وغير مضافة (بطن ضرما) وعند أمن اللبس لا يضيفونه.

والعاليات معروفة بهذا الاسم في عارض اليمامة، جبل رفيع منيع، وقد مضى الكلام عليه في بائية امرىء القيس حين قال:

أَقَبَّ رَبَاع من حمير عَمَايَة يَمُجُّ لَعَاعَ البَقْل في كُلّ مَشْرَبِ
عَظِيْمٌ طَوِيْلُ مُطْمَئِنٌ كَأنَّه بِأسْفَلِ ذِي مَأوانَ سرحة مَرْقَبِ

وقد مضى الكلام على هذا الجبل عند ذكر ماوان[1]. لأنه واد عظيم واقع في جبل علية.

وخيم: هي واد الحصاة التي يقال لها في الزمن القديم «الحصَّاء»، وبهذا الوادي ماء عذب يقال للوادي وللماء «خيم» وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليها في أشعار امريء القيس[2]: **خيم**

* * *

١٨ ــ وقال زهير:

عَوْمَ السَّفِيْنِ فلمَّا حَالَ دُوْنَهُم فَنْدُ الْقريَّاتِ فالعِتْكَانِ فَالْكَرَمُ

القريات: موجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم، واقعة قريب الحدود الشمالية من مملكة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، قال في معجم[3] البلدان: قال أبو عبيد الله السكوني: من وادى القرى إلى تَيْمَاء أربع ليال، ومن تَيْمَاء إلى القريات ثلاث أو أربع، قال: والقريات دومة وسكاكة والقارة، ولا أظن أن هذه العبارة صحيحة، والصحيح: أنها هي التي يقال لها اليوم «قريات الملح» وأنا أظن أن القريات التي ذكرها زهير هي القريتان الواقعتان شرقى القصيم جنوبى النباج وهي التي يقول فيها لبيد: **القريات**

(١) انظر ص ٨٥ و ٨٦ من هذا الكتاب
(٢) انظر ص ٤٧ و ١٤٧ من هذا الكتاب
(٣) انظر معجم البلدان ٦٩/٧.

جَعَلْنَ حِرَاجَ الْقَرْيَتَيْنِ وعالج يَمِيْنَاً ونكَّبْنَ البـدىَّ شمَائِـلا

وهي التي يقول فيها معن بن أوس[1]:

لَهَـا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْـنِ وَمَصْدَرٌ لِفَوْت فِلاةٍ لا تَزَالُ تُنَازِلُـهْ

قال في معجم البلدان[2]: القريتان قرية عبد الله بن عامر بن كريز، والقرية الأخرى بناها جعفر بن سليمان، وأهلها يستعذبون الماء من عنيزة، وهي منها على ميلين، وهي التي قال فيها جرير:

تَغْشَىٰ النِّبَاج بَنُو قَيْسٍ بنُ حَنْظَلَة وَالْقَرْيَتَيْـــنِ بِسُرَّاق وَنُـــزَّالِ

وقد أوردنا هذه الشواهد في غير هذا الموضع. ويوجد في تلك الناحية موضع فيه قصور ومزارع يقال له اليوم «القرية» تقع بين العوشزية وبين عنيزة ووادي الرمة، تقع من عنيزة مما يلي مطلع الشمس على مسافة ميلين، وهي التي عناها زهير.

العتكان

العتكان: باقيان على اسمهما إلى هذا العهد، أحدهما واقع بين قرى سدير وبين قرى المحمل التي عاصمتها «ثادق» يقال له «عتك البكرات» وهو يقسم عارض اليمامة نصفين، تسير القوافل فيه بين الشرق والغرب، فإذا خرجْتَ منه إلى جهة الشرق رأيت العتك الثانى الذي يقسم العرمة كما يقسم الأول جبل العارض، وكلا الطريقين سهل المنفذ ويقال للثاني «عتك العرمة» وهو الذي يضاف إليه الحفر الواقع في العرمة، فيقال له «حفر العتك» وكلاهما واقع في بلاد بني تميم، قال الزِّبْرِقَانُ بن بدر حين حمل صدقات قومه إلى أبي بكر رضي الله عنه:

(١) المعجم ٧ /٧٠.

(٢) انظر معجم البلدان ٦ /١١٧.

سَارُوا إلَيْنا بِنِصْفِ اللَّيْلِ فَاحْتَمَلوُا فَلَا رَهِيْنَة إلا سيِّدٌ صَمَـدُ
سِيْرُوا رُوَيْداً، وَإنَّا لَنْ نفوتكم وَإنّ ما بَيْننا سَهْل لَكُمْ جَدَدُ
انّ الغزالَ الذي ترجون عِزَّتَه جَمْعٌ تَضِيْقُ به العَتْكانُ أو أطَدُ
مُسْتَحْقِبُو حِلَقِ الْمَاذِى بِحُفْرَتِهِ ضرب طِلَحْفٌ وطعْن بينه خَضَدُ

والعتكان: باقيان بهذا الاسم إلى هذا اليوم.

الكرم

والكرم: موضع، قال صاحب معجم البلدان(١) واستشهد ببيت زهير وقال أيضاً: كرمة(٢) هي من نواحي اليمامة، واستشهد ببيت أبي خراش(٣) الهذلي:

وَأيْقَنْتُ أنَّ الجُوَد منك سَجِيَّةٌ وَمَا عِشْتُ عَيْشاً مثْلَ عَيْشِكَ بالْكَرَمِ

وأنا لا أعرف هذا الموضع بهذا الاسم، ويمكن أن يكون قد دَرَسَ وتغير.

★ ★ ★

١٩ ــ وقال زهير:

كأنَّ عَيْنِى وَقَد سَالَ السَّلِيْلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ ماهُمُ لَوْ أنَّهمُ أُمَـمُ
غَرْبٌ على بَكْرَةٍ أوْ لُؤْلُؤٌ قَلِقٌ في السِّلْك خَانَ بَه رِبَّاتِهَ النُّظُمُ
عَهْدِى بِهِمْ يَوْمَ بابِ الْقَرْيَتَيْنِ وَقَدْ زَالَ الهَمَالِيْجُ بالْفُرْسَانِ واللّجُمُ
فَاسْتَبْدَلَتْ بَعْدَنا دَاراً يَمَانِيَـةً تَرْعَى الْخَرِيف فَأدْنَى دَارِهَا ظَلِمُ
إنَّ الْبَخِيْلَ مَلُومٌ حَيْثُ كانَ ولَـ ـكِنَّ الجوادَ على عِلّاته هَرِمُ

(١، ٢)انظر المعجم ٧ /٢٤٥.

(٣) قلت : وهو خويلد بن مرة، من بني هذيل توفي نحو ١٥هـ، من مضر : شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور. أدرك الجاهلية والإسلام. واشتهر بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر الأعلام ج ٢ /٣٧٣.

السليل: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واد واقع في بلاد غطفان، أعلاه يقال له «السليلة» وفيه ماءة يقال لها «السليلة» أيضاً، ماؤها مر، وقد أكثر شعراء العرب من ذكر هذا الوادي وكذلك شعراء الأعراب المتأخرون[1].

السليل — والسليل والسليلة: باقيان على اسميهما من الجاهلية إلى هذا العهد، وسَيْلُ السليل ينصب من الشرق إلى الغرب، ويفترق عن ماء السليلة ثم يصب في وادي الشعبة جاعلاً ثربا وماءه وجباله جنوباً، والحناكية واللعباء شمالاً، وهو إلى الحَّناكية واللعباء أقرب، وتتجه سيول الشعبة إلى جهة الغرب حتى تصب في عقيق المدينة، ثم يصب في البحر الأحمر.

وقد اقتتلت عبس وأسد في السَّليل، وقال رجل من بني عَمْرو بن قعين[2]:

---

(١) قال رجل من بني عبدالله بن غطفان شعرا نبطيا منه هذا البيت :

الركـــــايب كنهـــــا الاقـــــواس تومـــــــي
سارحـــــة من عمـــــق ممساهـــــا السليلـــــة

وقال شاعر ثان من تلك القبيلة من أهل تلك الناحية من قصيدة له نبطية :

كبـــــدي عليلـــــة من شراب السليلـــــة
أشرب ولا ينحـــــي مع الحلـــــق ماهـــــا

وقال شاعر ثالث من أهل تلك الناحية، وهو قاطن على ماء «الموبرة» وهى عذبة الماء بين مروراة غطفان نبطية :

مقياضنـــــــــــا من فوق عد قراح
وأهـــــل السليـــــل مقيضيـــــن علـــــى ماء

يعني أهل ماء السليلة الواقعة في أسفل وادي السليل الذي عناه زهير.
قلت : وقد نقلت هذا النص من المتن إلى الحاشية.

(٢) قلت : هو عمرو بن قعين بن الحارث، من أسد بن خزيمة من عدنان : وعبدالله، ومن نسله طليحة بن خويلد المتنبىء الاعلام ج ٥ /٢٥٤.

لَئِن خَتَلَتْ بَنُو عَبس بَرِيّاً بغرّته فلم تَخْتِل سُوَيْدَا
قلعنا رأسَهُ بسقيَّ سُمٍّ كلَوْنِ الملح مَذْرُوبا جَدِيْدَا
فَأوْجَرْنَاهُم مِنْهُ فَرَاحُوا . وَهُمْ يَوْمَ السَّليل نعى شَهِيْدَا

وقال عُبَيْد الله بن قيس الرقَيّات:

ذَكَّرَتْني الدّيَارُ شَوْقاً قَدِيْمَاً بَيْنَ حرْضَىٰ وبَيْنَ أعْلَىٰ يَسومِىٰ
فالسَّلِيْلُ الذي بِمَدْفَع قَرْنٍ قد تعفّى إلّا ثَلاثاً جُثُوْمَا[١]

وحرضى ويسومى وقرن كلها واقعة في بلاد عبد الله بن غطفان، أما قرن وحرضى فهما قريبان من السليل، أما يسومي فهو جبل واقع في شمالي جبل كشب في حدود بلاد بني غطفان الجنوبية الغربية، والسليل وقرن وحوضىٰ ويسومي كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وقال أيضاً عبيد الله بن قيس الرقيات:

لا تحامى أن تَهْجُري ما بقينا أِنت بالودِّ والكرامة أحْرَىٰ
يا أبنَةَ المالكيِّ عزّ علينا انْ تُقْيمى بَعْدَ السلَّيْلِ بِبُصْرَىٰ
كم أجازت من مَهْمَهٍ يتركُ العيـ ـس بِهِ ظُلَّعاً قِيَاماً وَحَسْرَىٰ

أما السليلة: فاسمها جاهلي، وهو باق إلى هذا العهد، قال جرير:

أيَجْمَعُ قَلْبُهُ طَرَباً إلَيْكُمْ وَهَجْراً بيت أهلك واجْتِنَابَا
وَوَجْدا قد طويْتُ يكادُ منهُ ضميُر الْقَلْبِ يِلْتَهِبُ الْتِهَابَا
سَألْنَاهَا الشِّفَاءَ فَمَا شَفَتْنَا وَمَنَّتْنَا المواعِدَ وَالْخلاَبَا
لَشَتَّان المُجَاور دَيْرَ أرْوَىٰ وَمَنْ سكنَ السَّلِيْلَة والْجِنَابَا

وباب القريتين: قد مضى الكلام عليه[٢]:

(١) يريد بالثلاث الجاثمات أثافي القدر.
(٢) انظر ص ١٩٠ و ٢٥٩ من هذا الكتاب

ظلم

أما ظلم: فهو جبل معروف إلى اليوم بهذا الاسم، وهو واقع في جهة نجد في الجهة الجنوبية وقد أصاب الأصمعي في تحديد موقعه، حين قال[1]: هو جنوبي الدفينة، هذه رواية الأصمعي، وهي أصوب الروايات عن ظلم، لأنه ــ على ماعرفنا ــ واقع جنوبي الدفينة، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم، واقع بين أجبال الحمار وجُبَيل الأكموم الواقع من بلد المويه في الجهة الشرقية على مسافة يوم، وظلم: جبل أسود له قَرْن مرتفع، وبقية جباله متصلة به، يمتد من الشرق إلى الغرب، طوله من الشرق إلى الغرب مسافة ساعة للماشي المجدِّ على قدميه، وعرضه أقل من مسافة نصف ساعة، قال النابغة الجَعْدي يذكر هذا الجبل:

أَبْلغْ خَلِيْلَى الـذي تجهّمَنِـى ... مَا أنَا عَنْ وَصْلِهِ بِمُنْصَرِمِ
إن يَك قَدْ ضَاعَ ما حَمَلَتْ فَقَد ... حملْت إثْمَاً كالطَّوْدِ من ظَلِمِ
أمانَة الله وهي أعْظَـمُ من ... هضْبِ شَرَوْرَىٰ والرّكن مِنْ خِيَمِ

لما رأينا النابغة قد ذكر هضب شَرَوْرَي والركن من خيم مع ظلم وجب أن نقول: إن ظلماًواقع بين الموضعين اللذين ذكرهما النابغة، أما هضب شرورى: فهو الهَضْب الذي يقال له اليوم «هضب الشرار» عند عامة أهل نجد، وإذا كنت عند ظَلِم طلعت الشمس على جبل خيم أو عن يساره قليلاً، وإذا غربت تغرب على هضب شرورى أو عن يسار قليلاً، المسافة الواقعة بين ظلم وهضب شرورى تتراوح ما بين أربع ليال أو خمس والمسافة الواقعة بين ظلم وبين جبل خيم المسمى اليوم بالحصاة عند عامة أهل نجد تتراوح بين ست ليال أو سبع، وخيم باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وقد تقدم الكلام عليها في كتابنا هذا.

وأما قول زهير:

*** فاستبدلت بعدنا دارا يمانية ــ الخ ***

(١) انظر معجم البلدان ٦ /٨٩.

فإن من لسان أهل نجد قديماً وحديثاً أن المتكلم إذا ذكر موضعاً واقعاً في جنوبى بلدة قال «يمانٍ» وإن كان الموضع شمالي بلدة قال «شآم» وعلى هذا ورد قول زهير في هذا البيت، لأن ظَلماً واقع في جنوبى بلاد غطفان، وهو في عالية نجد، لا في اليمن.

* * *

٢٠ ــ وقال زهير يمدح هَرِمَ بن سنان الْمُرىّ وهذا مطلع قصيدته:

لِمَنِ الدِّيَارُ بُقنّةِ الحِجْـرِ أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ وَمن شَهْرِ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيَّرَهَـا بَعْدى سَوَافِى المُوْرَ والقطرِ
قَفْراً بِمُنْدفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ ضَفَوَى أُلاتِ الضّالِ وَالسِّدْرِ
دَعْ ذَا وَعَدِّ الْقَوْلَ فَى هَرِمٍ خَيْرِ الْبُدَاةِ وسَيِّدِ الْحَضَرِ

أما حجر: فقد غلط الأعلم[١] في شرحه حيث قال: حجر موضع بعينه، وهو حجر اليمامة، فلو أنه اكتفى بقوله «حجر موضع بعينه» لأغناه، ولم يقع بالزيادة في خطأ، لأن حجرا وقنته يقعان في بلاد غطفان، في أعلاها المجاور للحجاز، ولا يزال باقياً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو بين الفرع والمحاني غير أنه إلى الفرع أقرب قليلاً، وسيلُ وادي حجر وسيل وادي الفرع يصُبان في الحجاز، وسيول المحاني تندفع إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها، وحجر في هذا العهد تسكنه حرب، والفرع لحرب أيضاً، أما المحاني: فهي للعضيان ورئيسهم ابن ثعلى، وقد قال الشاعر: حجر

(١) قلت : الاعلم، وهو الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان /ابن عيسى الشنتمري الأندلسي متوفي سنة ٤٧٦هـ. معروف بالأعلم، ولد في شنتمرية العرب ورحل إلى قرطبة، ومات في اشبيلية. كان مشقوق الشفة العليا فاشتهر بالأعلم، له كتب كثيرة ــ انظر الأعلام ج ٩ /٣٠٨.

أَلَا لَيْتَ شِعْري هل تَغَيّر بَعْدَنا   أرومٌ وَآرَام فشابة فالـحَضْرُ؟
وَهَلْ تَرَكَتْ أبْلىٰ سوادَ جِبَالِها   وَهَلْ زَالَ بَعْدِى عَن قَنَيْنَتِهِ الحجْرُ؟

وتأمل في هذين البيتين تجده قد ذكر ستة مواضع مع ما يتبعها من المضاف وإن هذه الستة لباقية على أسمائها إلى هذا العهد لم يتغير منها اسم واحد، وهي: أروم، وآرام، وشابة، والحضر، وأبلى، والحجر الأسماء الخمسة الأولى يطيف بها الراكب في مسافة يومين، أما الحجر وقنانه: فهما واقعان من هذه المواضع في الجهة الغربية على مسافة يومين أو أقل، وفي الحجر قصور ونخيل ومزارع ومياه كثيرة، وقراه ثلاث يُرَى بعضُها من بعض، وكلها واقعة بين وادي الفرع ووادي المحاني.

النحائت

والنحائت: موضع معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، فيهم من يسميه «النحايت» وفيهم من يسميه «النحيتية» وهي آبار كثيرة واقعة من علم هيتم في الجهة الشرقية ومن النقرة المعروفه بمعدن النقرة في الجهة الشمالية، وهي معروفة عند جميع الناس إما باسم النحايت وإما باسم النحيتية على ما ذكرنا، وهي التي عناها زهير.

ضفوى

أما ضَفَوَى فلم أعثر على شيء بهذا الاسم في بلاد غطفان، وهناك ثلاثة مواضع واقعة في بلادهم أو قريباً منها، يقال لكل واحد منها «صُفَية» أما الأول(١) فإذا خرجت من عفيف قاصداً القاعية وجعلت النير على

---

(١) الموضع الذي في قول زهير هو «ضفوى» بالضاد المعجمة، ولايختلف في ذلك أحد، لكنهم يختلفون في ضبطه، وفي العبارة عن تحديده فبعضهم يرويه بسكون الفاء، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ألف مقصورة، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ياء ساكنة، ثم يختلف هؤلاء فمنهم من يقول : هو مقصور قلبت ألفه ياء وسكنت، ومنهم من يقول : هو مثنى ضفا، وضفا الوادي : جانبه. وفي تحديده يقول ياقوت (٥ /٤٣٥) مكان دون المدينة. ويقول الأعلم (ص ١٤٦ طبع ليدن) والنحائت وضفوي من بلاد غطفان وقال ثعلب (٨٧ دار الكتب) : كل هذه مواضع من أرض غطفان.

يمينك كان هو على شمالك، وأما الثاني فقريب «العسيبيات» في وادي الجريب وأما الثالث فواقع في شمالي الجثوم على مسافة ساعة، وظني أنه الذي عناه زهير لأنه واقع في بلاد غطفان، وصفوان ذكره تميم بن أبيِّ بن مقبل في قوله[1]:

وَطَبق إِيْوَانَ الْقَبَائِل بَعْدَمَا كسا الرَّزْنَ من صفوان صَفْواً وَأكْدَرَا

وقد يكون الذي ذكره زهير هو ماء الصفوية المشهور اليوم بهذا الاسم وهو في واد يصب سيله في وادي الرمة، وعنده جبل رفيع يقال له «صفو» واقع في غربي عريق الدسم.

* * *

٢١ ـــ وقال زهير:

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجِوَاءُ فَيُمْــنٌ فَالْقَــوَادِمُ فَالْــحِسَاءُ
فَذُوهَاشٍ فَمِــيثُ عُرَيْتِنَــاتٍ عَفَتْهَا الرِّيحُ بَعْدَك وَالسَّمَاءُ
فَذَرْوَةُ فَالْجَنَابُ كَأَنَّ خُنْسَ النِّعَاجِ الطَّاوِيَاتِ بِهَا الْمُلَاءُ

الجواء — الجِوَاء: معروف، وهو في أعلى القصيم، وقد تقدم الكلام عليه وعلى المعمور منه.[2]

يمن — وأما يمن: فهو ماء، قال في معجم البلدان[3]: هو على الطريق بين تيماء وفَيْد. وأنا أقول غير ذلك: لأني قد وردته في سنة ١٣٤٠ هـ، بعثني جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عاملاً إلى هتيم فوردته، وهو ماء واقع بين جبلين وبين خيبر وتَيْماء في بلاد عنزة مقابل للحفيرة التي

(١) انظر معجم البلدان ٥ /٣٦٩.
(٢) انظر ص ٣١ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٣ من هذا الكتاب.
(٣) انظر معجم البلدان ٨ /٥٢٤.

عمرها الأيدي العَنَزي في هذا العهد، وقد استشهد صاحب معجم البلدان عليه ببيت زهير الذي ذكرناه، وبشطر ببيت لم يُسَمِّ قائله وهو:

* ولَوَ حلّت بِيُمْنٍ أو جبار *

ويمن باق بهذا الاسم عند عامة أهل نجد.

قلت: وجبار ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال .... هو ماء لبنى جُمَيْس ابن عامر بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة بين المدينة وفيد .. أما

القوادم

القوادم: فإن جميع العرب من الزمن القديم إلى هذا العهد يطلقون هذا للفظ على أطراف الجبال، كما يطلقون على أطراف الكثبان لفظ «اللوى» فأطراف الجبال إذا انقطعت في السهل يقال لها «القوادم» وأهل نجد يقولون لوجه الجبل «القدمة» إذا أفردت وإذا جمعت قالوا: «قدام، وقوادم» وزهير ذكر القوادم التي بين يمن والحساء.

الحساء

أما الحساء في هذا البيت فهو حساء المدينة، وهو غير «الحسى» الواقع في بلاد غطفان، وحساء المدينة: هو الذي قال فيه عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه:

إذا بلّغتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسَافَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فشأنك والخلا وَخَلَاكِ ذَمٌّ فَلَا أَرْجع إِلىٰ أَهْلِي وَرَائِي

فقتل رحمه الله في تلك الغزوة، وهي غزوة مؤتة التي قُتل فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ذوهاش

أما ذو هاش فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا وادياً في بطن شُعَبىٰ الجبل المشهور في حِمَى ضرية يقال له اليوم: «مهاش» زادوا فيه ميما في أوله، ولم أر في كتب المعاجم لهذا الموضع ذكرا يشتمل على تحديده غير أن صاحب معجم البلدان[1] قال: هو موضع، واستدل ببيت زهير،

(١) المعجم ٨ /٤٣٩.

ورأيت في قول الشماخ شطر بيت:

* فَأَيْقَنَتْ أنَّ ذا هاشٍ مَنِيَّتُهَا *

وأما عريتنات: فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا موضعاً واحدا سقطت من اسمه التاء الأولى وهو واد في جبل النير يقال له: «أبو عرينات» يصب في وادي بحار، ويندفع سيلهما إلى الرشا، وأظن أن هذا الوادي غير الذي عناه زهير، وبعد أن رأيت الشواهد، والأخبار الواردة عن هذا الموضع جَزَمْتُ أنه واقع في عقيق المدينة أو قريباً منه. عريتنات

والميثاء في اللغة هي: الرملة أو البُرْقَة، وميث عريتنات: إما رملتها أو بُرْقَتُهَا، قال عليُّ بن أبى جحفل[1]: ميث عريتنات

أتزعم يَوْم الميثِ عمرة أنني لَدَىٰ الْبَيْنِ لم يَعْزِزْ على اجْتِنَابُهَا
وأقسم أنْسىٰ حبّ عمرة ما مَشَتْ وَمَا لَمْ تَرِمْ أجزاع ذِي المِيث لَأبُهَا

وقال بشر بن أبي خازم يذكر عريتنات:

وَإذْ صَفِرَتْ عَيَابُ الودّ مِنّا ولم يَكُ بَيْنَنَا فيها ذِمَامُ[2]
فَإنَّ الْجَزْعَ جَزْعُ عُرَيْتِنَاتِ وبرقة عيهم منكم حَرَامُ
سَنَمْنَعُهَا وَإن كانت بِلَاداً بِهَا تَرْبُو الخواصِرُ وَالسَّنَامُ

وهذا الشاعر قَرَنَ عريتنات ببرقة عيهم، وبرقة عيهم مشهورة، وهي الحد الفاصل بين بلاد غطفان ونواحي المدينة، وجبل عيهم: معروف اليوم عند أهل تلك الناحية، وهو واقع في أعلى بلاد غطفان، والجِوَاء واقع في شرقيها، قد قال جابر ابن حُنىَ التغلبى[3]:

---

(١) المعجم ٨ /٢٢٢.

(٢) العياب: جمع عيبة، وأصلها الوعاء يضع فيه المسافر متاعه، وفي المعجم «عتاب» محرفا.

(٣) المعجم ٦ /٢٥٩ ومابعدها.

أقامَتْ بها بالصّيف ثم تذكّرت منازِلَها بَيْـنَ الجِـواء فَعَيْهَـم

والجواء وَعَيْهَم: في بلاد غطفان.

نرجع إلى ذكر عريتنات ــ هذه عبارة معجم البلدان[1]: قال ابن أبى الزناد: كنا ليلة عند الحسن بن زيد العَلَوي نصف الليل جلوساً في القمر وكان الحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة، وكان معنا أبو السائب المخزومي، وكان مشغوفاً بالسماع، وبين أيدينا طبق فيه فريك ونحن نُصِيب منه، فأنشد الحسن بن زيد قول داود بن سلم، وجعل يمد به صوته ويطربه:

مُعَرَّسُنَـا ببطـن عُرَيْتِنـاَتٍ ليجمعنا وفاطمـةَ المسيـرُ
أتنسى أن تَعَرَّضَ وهو بادٍ مُقَلَّدُهَا كما برق الصبيـرُ
ومن يُطِع الهوى يُعْرَفْ هَوَاه وقـد يُنْبِيْكَ بالأمـر الخَبِيْرُ
ألا إنى زفَرْتُ غداةَ هَرْشَىٰ وكـان يريبهـم مني الزَّفِيْـرُ

قال: فأخذ أبو السائب الطبق فَوَحَشَ به إلى السماء، فوقع الفريك على رأس الحسن ابن زيد، فقال له: مالك؟ ويلك، أجننت؟ فقال له أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلا أعَدْتَ إنشاد هذا الشعر، ومددت كما فعلت، فضحك الحسن بن زيد وردَّدَ الأبيات، فلما خرج أبو السائب قال لي: يا أبا الزناد، أما سمعت مدّه حيث قال:

* وَمَن يُطِع الْهَوَىٰ يُعْرَفْ هَوَاه؟ *

قال: نعم
قال: لو أعلم أنه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الأبيات.

ذروة ذروة: هضبة حمراء فاصلة بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد وهي لبني

(١) المعجم ٦ /١٦١.

مرة بن عوف، قال صخر بن الَجْعد:

بَلِيْتُ كَمَا يُبْلَىٰ الرِّدَاءُ وَلَا أرَىٰ   جِنَاباً وَلَا أكناف ذِرْوَة تَخْلُقُ

وزهير قرن ذروة بالجناب، وهذا الشاعر قرنهما أيضاً، وقد غلط أناس في ذكر ذروة التي عناها زهير، فهي ــ كما قلنا ــ الواقعة بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد، وهناك ذروة جبل آخر في جبل عليّة من اليمامة قال الصمة بن عبد الله القُشَيري وهو من أهل تلك الناحية(١):

خَلِيْلِى قُوما أشْرِفَا الْقَصْرَ فَانْظُرَا   بِأعْيَانِكُم هَلْ تُؤْنِسَان لَنَا نَجْدَا
وَإِنّى لَأَخْشَىٰ إن عَلَوْنَا علوَّه   ونشرفُ أنْ نَزْدَادَ وَيحْكُمَا بُعْدَا
نَظَرْتُ وَأصْحَابى بذروةَ نَظْرَةً   فَلَوْ لَمْ تَفِضْ عَيْنَاى أبصرتَا نَجْدَا
إذا مرّ ركبُ المُصْعِدِيْنَ فَلَيْتَنِى   مع الرَّائِحِيْنَ المُصْعِدِيْنَ لهَمُ عَبْدَا

ولصليحى فرس يقال لها ذروة، قال من قصيدة له يصف خيله:

طَالَعْتُ ذَرْوَةَ مِنْهُنَّ عَادِيَةً   وَالْدسَاعَتِ الشيّعَةُ الشَّنْعَاءُ شُرَّادَا

أما الجناب فأنت ترى زهيراً قد عطفه على ذروة، ولا يكون إلا قريبا منها، وقال ابن هَرْمَةَ وهو شاعر مدني(٢): الجناب

فَاضَتْ عَلَىٰ إثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمعهُمَا   كما يَنَابِيْعُ يَجْرِى اللؤلؤ النَّسَقُ
فَاسْتَبق عَيْنَكَ لَا يؤذِ الْبُكَاءُ بهَا   وَاكْفُفْ بَوادِرَ دَمْعٍ منك تستبقُ
لَيْسَ الشؤون وَإنْ جَادَتْ بباقِيَةٍ   ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ
رَاعُوا فُؤَادَكَ إذ بَانُوا على عَجَلٍ   فاسْتَرْدفوه كما يُسْتَرْدَفُ النَّسَقُ
بَانُوا بِأدْمَاءَ من وَحْشِ الْجَنَابِ لَهَا   أحْوَىٰ أُخَيْنِسُ في أرطاته خَرِقُ

---

(١) المعجم ٤ /١٩٤.
(٢) انظر المعجم ٣ /١٤١.

هذا الجناب الذي ذكره إبراهيم بن هَرْمة هو الجناب الذي ذكره زهير بعينه، وهو غير الذي ذكره سُحَيم بن وَثِيل الرِّياحي، حيث قال:

تُذَكِّرُنِي قَيْسَاً أمورٌ كثيرةٌ وما اللَّيْلُ مالم ألقَ قَيْساً بِنَائِمِ
تَحَمَّلَ من وَادِى الجنَابِ فَنَاشَنِى بِأجْمادِ جَوٍّ من وراء الخضَارِمِ

وأنا أعرف الجناب الذي ذكره سُحَيْم وجوا والخضارم، وكلها باليمامة أما جو فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، والخضارم هي «الخضرمة» الواقعة في اليمامة، أما الجناب: فهو ماء في عرض جبل كأنه عين، يَرِدِه السالك من المزاحمية البلد الواقعةِ قريب جوّ إلى بلد الحريق، واقع في وادي نساح في جنوبيه الغربي، إذا سلكت الطريق قاصدا الحريق اتجهت إلى جهة الجنوب حتى آخر أودية نساح، فتنعرج إلى جهة الغرب، وتسير مسافة ساعة أو أكثر قليلاً ثم تلتفت على شمالك، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها حضرة كروم، أصولها شارعة في الماء، وأنا قد وردته، وهو باقٍ باسمه إلى هذا العهد، ولكنه صغر، يقال له «جنيب» فإذا وردت جنيباً وسرت قاصداً الغرب أو بينه وبين مطلع سهيل تسير ساعتين ثم تطلع العقبة التي تُفضْي إلى وادي بريك الذي فيه بلد الحريق، وهذه العقبة قد مضى الكلام عليها في أشعار امرئ القيس ، وهي التي يقال لها «مرقان» وذكرناها على بيت امرئ القيس في نونيته[(١)]:

وَمَا هَاجَ هذا الشَّوْقَ إلا مَنَازِلٌ دَوَارِسُ بَيْنَ يَذْبُلٍ فُرْقَانِ

وقلنا: أنه أبدلت فاؤه ميماً، وأعرف وادياً ينصب من غربي جبل كشب إلى شرقيه يقال له «جنب» به ملزم ماءِ ترده الأعراب يقال له «غدير الجنب» ينصب على ماء الريمة المنهل المشهور في شرقي كشب.

* * *

---

(١) انظر ص ٢١٤ من هذا الكتاب

٢٢ ـــ وقال زهير:

كَأَنَّ الرَّحلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ … من الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤه هَوَاءُ

أصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أجْنَى … له بالسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءُ

أما السّيّ فقد مضى الكلام عليه في بيت[1] زهير:

جُونية كحَصَاة القسم مَرْتَعُهَا … بالسّيّ ما تُنْبِتُ القَفْعَاءُ وَالْحَسَكُ

★ ★ ★

٢٣ ـــ وقال زهير:

تَرَبَّعَ صَارَةً حتّى إذا مَا … فَنَى الدُّحْلَانُ عنه والإِضَاءُ

تربَّع بالْقَنَانِ وكُلِّ فَجٍ … طَبَاهُ الرّعيُ مِنْهُ والْخَلَاءُ

فَأَوْرَدَهَا حِيَاضَ صُنَيْبِعَاتٍ … فَأَلْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ مَاءُ

فشجَّ بها الأمَاعِزَ فَهْيَ تَهْوِي … هُوِيَّ الدَّلْوِ أسْلَمَهَا الرِّشَاء

أما صارة: فهي هضبة من هضاب الجِواء، وقد مضى الكلام عليها[2]

الدحلان وأما الدُّحْلَان: فهي ملازم ماء يقال لها «الدحول» صدوعٌ تُمْسِكُ الماء إذا جاء السيل، وقليل أن لا يوجد فيها الماء، وهو اسم شامل لكل دحل، ولا توجد إلا في الجهات الشرقية من الدهناء.

الاضاء والإِضاء: يطلق على ملزم الماء الذي يسمى اليوم الغدير.

القنان والقَنَان: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس[3].

صنيبعات صنيبعات: موضع، ولا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وهو ـــ على ما قالوه ـــ واقع في بلاد غطفان: قال رجل من بني حنيفة:

*** هَيْهَاتَ حِجْرٌ مْن صُنَيْبِعَاتٍ ***

(١) انظر ص ص ٢٤٠ و٢٤٧ من هذا الكتاب

(٢) انظر ص ٥٩ و ٦٠ و ٢٢٨ من هذا الكتاب

(٣) انظر ص ٦٣ و ٢٣٣ و٢٣٨ من هذا الكتاب

فهذا الراجز الحنفي تذكر بلده حُجْر اليمامة وهو في صُنَيْبعات، قال في معجم البلدان: هو ماء نهشت عنده حية ابناً صغيراً للحارث بن عمرو الغساني، وكان مسترضعاً في بني تميم، وبنو تميم وبكر في مكان واحد يومئذ وظن الحارث أنهم قتلوا ابنه غِيلة، فأتاهم الحارث، فأتاه منهم قوم يعتذرون إليه، فقتلهم جميعاً، وأورد صاحب معجم البلدان ببيت زهير المذكور شاهداً عليها.

★ ★ ★

٢٤ — وقال زهير:

فَلَيْسَ لَحَاقُهُ كَلَحَاقِ إلْفٍ ... وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ
يغِّردُ بَيْنَ خُرْمٍ مُفَّضيَاتٍ ... صَوَافٍ لَمْ تُكَدِّرْهَا الدِّلَاءُ[1]
يُفَضِّلُه إِذَا اجْتَهَدا عَلَيْهِ ... تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ والذَّكَاءُ[2]

الخرم — الخرم: مواضع معلومة، اسمها هذا جاهلي مما يلي بلاد غطفان وتعرف في هذا العهد: الخرمي وخريمان، سميت بذلك لكثرة اجتماع السيل فيها وتخرمه، وهي مَجْمع سيل عالية نجد، جميعُ سيولها تصب في الرشا، وتندفع جميعاً متجهة إلى جهة الشمال الشرقي، ثم تجتمع في هذا الموضع الذي يقال له: الخرمي وخريمان. والرُّشَاء: واد عظيم من أعظم أودية نجد، واسمه هذا جاهلي قديم، قال عوف بن عطية:

يقودُ الجيادَ بِأَرْسَانِهَا ... يَضَعْنَ ببطن الرُّشاء الْمِهَارَا

وتسميه عامة أهل نجد اليوم «وادي الرشا» تصب فيه سيول جبل ثهلان بأجمعها، وأعظم تلك الأودية «وادي الشعرى» تنجذب سيوله من قريب مجيرات وحُذُنَّة، وفي هذا الموضع يوم من أيام العرب بين بني ضبة

---

(١) هذه رواية الأعلم، وروى ثعلب «يغرد بين خرم مقرطات».
(٢) رواية ثعلب «يفضله اذا اجتهدت».

وبني نُمَير، فكان لبني ضبة، وهو الذي يقول فيه المكعبر الضبي:

دَارَتْ رَحَانَا قَلِيْلاً ثُمَّ صَبَّحَهُم ضربٌ تصيحُ منه جلةُ الْهَامِ
ظَلّت ضِبَاعُ مُجِيَراتٍ يَلُذْنَ بهم وَأَلْحَمُوهُنَّ منهُـمْ أيّ إلْحَـامِ
حتى حُذُنَةٌ لم يترِكْ بِهَا ضُبُعَاً إلّا له جَزَرُ مِن شِلْو مِقْدَامِ

وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٢٦٩هـ بين عتيبة وقحطان، رئيس عتيبة تركي بن حميد ويعضده من رؤساء عتيبة رؤساء من الروقة وغيرهم، ورئيس قحطان محمد بن هادي بن قرملة فكانت الهزيمة على قَحْطَان، وانتصر العتبان.

وفي ذلك الموضع سناف يسمي اليوم «سناف الطِّراد» لعظم تطارد الخيل فيه، ولم يُسَمَّ بهذا الاسم إلا بعد تلك المعركة، ويصب في ذلك الوادي وادي دلعة البلد المعروفة لجماعة من الدعاجين، ورئيس هذه الجماعة ابن عقيل وهم يقال لهم «ذوو خيوط» ثم يندفع متجهاً جاعلاًجبل ثهلان عن يمينه، ثم يجتمع بالرشا مع أودية ثهلان، ثم تتجه كلها إلى الشمال الشرقي ثم تصب فيه أودية جبل النير، فما كان في جهة النير الشرقية من الأودية فإنه يصب في وادي بحار، وتتجه إلى الشمال الشرقي فتصب في وادي طينان وهو الوادي المعروف على طريق السيارات المتجهة من مكة إلى الرياض إذا خرج السالك من ماء القاعية وسار ثلث ساعة مرّ في هذا الوادي، إذا كان في سيارة، وإذا كثرت الأمطار وجرت الأودية يحجز الماشي على جنباته حتى يجف، وهو متجه بعدما يصب فيه وادي جفنى قاصداً خنوقة، وبها ملازم ماء، وتجتمع عليها البوادي، ثم يتجه بعدما تجتمع به أودية خنوقة وما حولها قاصداً الرشاء ويصب فيه بعدما يجتمع بالرشاء أودية ثهلان والشعرى والرمادية، وأودية النّير الشّرقيّة المجتمعة في وادي بحار، تأتيه سيول النير من جهته الشمالية: وادي

الرميثي وغيره ثم تجتمع تلك السيول في غثاة وتعرج إلى جهة خنوقة، ثم تجتمع بسيل النير الشرقي الذي مر ذكره، ويصب في وادي الرشاء قبل ماء الرشاوية، وعند هذا الماء التحمت عتيبة وحرب، وأمد حَرْباً مطيرٌ، وتقاتلوا في ضفة وادي الرشاء الشمالية، ودارت بينهم معارك في سنة ١٣٢٧هـ بعد معركة شق فيها بيت ابن هندي، وانتهت هذه المعارك بقتل رئيسين من عتيبة: أحدهما ولد جهجاه بن حميد، والثاني: عالي الفجري، وكلاهما من قبيلة المقطة، وقتل رئيسان من مطير: أحدهما أبو عبيد الدويش، والثاني طلال بن هدبا، وتفرق القوم بعد ذلك، وهذه الأودية المذكورة هي أحسن البلاد لمرعى الإبل، ثم بعد ماء الرشاويّة المتقدم ذكره يأتي سيل الوادي العظيم الذي يقال له «جهام» مع ما اجتمع إليه من جميع الأودية، وبعد اجتماع سيوله يصب في وادي الرشاء جنوبي النبوان الماء المعروف في الرشاء، وبعد اجتماع تلك السيول تتجه بمجرى وادي الرشاء، ثم تأتيها أودية مصدة بلد الروسان المعروفة شمالي الدوادمي، ووادي أفقرى، ثم تتجه جميعاً في مجرى هذا الوادي المذكور، ثم تأتيها سيول عرجى والنشاش، وتصب في ذلك الوادي.

ومن عجيب المصادفات أنه قد كان في مجيرة وحُذُنَة يَومٌ بين عرب الجاهلية ثم كان بين متأخري العرب في هذا المكان يوم أيضاً، وقد ذكرنا هذين اليومين، وهذا وادي عرجى والنشاش، كان فيهما يوم من أيام العرب في الجاهلية بين بني حنيفة وبني عقيل، انهزمت فيه بنو حنيفة فقال شاعر بنى عقيل:

فَلَو سُئِلَتْ عَنّا حنيفةُ أُخبِرَتْ ... بِمَا لَقِيت مِنّا بجمران صِيْدُهَا

وفي هذا الموضع بعينه كان يوم عظيم للعرب المتأخرين في سنه ١٣١٣ هجرية بين حرب وعتيبة رئيسا حرب من بني على صنيتان الفرم وعبد الله الفرم، ورئيس عتيبة محمد بن هندي بن حميد رئيس المقطة

ومعه رؤساء من قومه عتيبة، وكانت الهزيمة على (حرب) بعد معركة دارت من الصبح إلى بعد الظهر، وعدد حرب يومئذ على الأكثر ربع العتبان، فكان هذا مصداق قول العامة «الكثرة تغلب الشجاعة».

ثم تتجه تلك السيول وترفدها سيول جبلة، ثم تسير وقد جعلت في شمالها جبلة المشهورة في عالية نجد الشمالية، ثم تصب في الرشاء، ومن تلك الأودية شعْيب جَبَلة المشهور وكان فيه يوم عظيم بين بني عامر ومعهم أنصارهم من فزارة، وبين بني تميم ومعهم أنصارهم من ذبيان وبني أسد وهو من أعظم أيام العرب، انهزمت فيه بنو تميم ومَنْ والاها، وفي ذلك اليوم سيقت الإبل للقتال وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال، وسوقها على بني تميم برأي قيس بن زهير العبسي، وقُتل في ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بني تميم، واختلفوا في قاتله، ويقال: إنه شريح بن الأحوص العامري، وكان بنو عبس يضربونه وهو ميت، وقد استدلوا على قتله بقول ابنة لقيط حين[1] قالت:

يوم جبلة

أَلَا يَالهَا الْوَيْلَاتُ ويلَةَ من هوى يضَرْب بنى عَبْس لقيطاً، وَقَد قَضَىٰ
لقد عفَروا وجْهاً عليه مَهابَةٌ ولا تَحْفَل الصُّمُ الجَنَادِلُ مَنْ ثَوَىٰ
وَمَا ثأرُه فيكُم ولكنّ ثأرَهُ شريحٌ أرادتهُ الأسنَّةُ والْقَنَا

وهذه الوقعة العظيمة كانت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة، وقبل ميلاد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة، قال رجل من بني عامر:

لم أَرَ يَوْماً مِثْل يَوْم جبلَهْ لمّا أَتَتْنَا أسَدٌ وحنظلَهْ
وغَطَفَانُ والملوكُ أَزْفَلَهْ نَضْرِبُهُم بقُضُبٍ منتحلَهْ

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذلك اليوم، وهو مُخَضرم :

(١) انظر معجم البلدان ٣/٥٢.

مِنّا حماة الشِّعْبِ يَوْمَ تَوَاعَدَتْ ... أَسَدٌ وَذُبْيَانُ الصّفَا وَتَمِيْمُ
فارتْ جرحاهم عشية هزمهم ... حتّى بمنعرج المَسِيْلِ مُقِيْمُ
قَوْمي أُوْلَئِكَ إن سَأَلْتَ بِخِيمهم ... ولكل قَوْم في النّوائب خِيمُ
وإذَا تواكلت المَقَانِبُ لم يَزَلْ ... بالنَّفر مِنّا مُنْسِرٌ وَعَظِيْمُ

هذا اليوم المشهور في الجاهلية، وهنا يوم قريب العهد بين العرب في سنة ١٣٤٨هـ، بين قبيلة عتيبة برقا والروقة، رئيس برقا مقعد الدهينة النفيعي، ومعه جماعة من رؤساء برقا، ورئيس الروقة عمر بن ربيعان ومعه قوم من رؤساء الروقة، فدارت المعركة بين الفئتين، فانهزمت برقا بعد قتال، وانتصر الروقة في ذلك اليوم، وهؤلاء من بقايا بني عامر التي انتصرت على بني تميم في ذلك الموضع، وهذا الموضع المذكور في جبلة هو الذي كانت به الوقعة الأولى والوقعة الثانية.

عود إلى ذكر الخرم

ثم تتجه سيول الرشا جاعلة جبلة على شمالها، ثم يأتيها وادي نفى ووادي الهييشة من جهته الشمالية، ويأتي وادي جمران وما والاه من الأودية في الجهة الجنوبية، ثم تتجه السيول إلى جهة الخرمي وخريمان التي ذكرها زهير في بيته، وتمر بواردات، وتحفها السيول من جهتها الشرقية، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب في الجاهلية، قتل فيه بجير بن الحارث بن مرة، فقال مهلهل:

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيْرِى ... إذا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُورِى
فإن يكُ بالذَّنائِبِ طَالَ لَيْلِي ... فَقَدْ أَبْكِي من الليل الْقَصِيْرِ
فإنّي قَدْ تَرَكْتُ بِوارِدَاتٍ ... بُجَيْراً في دمٍ مثلِ الْعَبِيْرِ

وكان في هذا الموضع معركة في سنة ١٣٤٨هـ بين عرب مطير ــ وهم من بقايا بنى عبد الله ابن غطفان ــ ورئيسهم ابن ظمنه ومعه رؤساء من بطون مطير، وبين قبيلة الروقة، ورئيسهم عمر بن ربيعان، ومعه رؤساء من الروقة، وانتهت المعركة بهزيمة مطير وانتصار الروقة.

وهذا الجيش الذي فلّ مطيراً هو الذي فلّ جيش الدهينة في جبلة وليس بين المعركتين إلا ثلاث ليال تقريباً، وهذه الانتصارات بمساعدة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وهمته وتدبيره.

فإذا اجتمعت سيول الرشا في ذلك الموضع اتجهت إلى الخرمي وخريمان وهما أرض متسعة واسعة الجناب تجتمع فيها تلك السيول وتحير فيها.

الصوافي

أما الصوافي التي ذكرها زهير حين قال في شطر البيت:

*** صَوَافٍ لا تكدّرُها الدّلَاءُ ***

فهي مناهل معلومة واقعة في الخرمي وخريمان يقال لها دهيما والربقية وربيق والملقى، كلها آبار في تلك الناحية في الخرمي وخريمان، وهي واقعة جنوبي رامة المشهورة في جنوبي وادي الرمة، وغربي كثيب الشقيقة الذي يمتد شمالاً إلى بلد عنيزة، وهناك وادٍ يقال له المُخَرم يصب سيله في وادي الرمة في جهته الشمالية. وهذا الوادي ـــ والذي قبله ـــ واقع في بلاد غطفان، على حدودها الجنوبية، وهناك روضة شرقي العرمة يقال لها «روضة خريم» ينزل بها جلالة الملك عبد العزيز أيام الربيع، وليست التي عناها الشاعر، لم يقصد إلا أحد الموضعين: الخرمي، وخريمان. أو وادي المخرم، وكلا الموضعين في بلاد غطفان أو قريب منهما.

يعلم قارئ هذه الأحرف أن نجداً محبوبة عند أهلها، لما مررنا على بيت زهير الذي يقول فيه :

يغرِّدْ بَيْـنَ خُرّمٍ مُفْضِيَـاتٍ صوافٍ لا تُكَدِّرُهَـا الـدِّلَاءُ

وذكرنا السيول التي تصب في الرشا، ومررنا على أربعة مواضع لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين، ففي أربعة المواضع ثمانية أيام من

أيام العرب: أربعة في الجاهلية، وأربعة قريبة العهد الأول منها في القرن الثالث عشر وهو بين ابن هادي وبين تركي بن حميد، وهو الذي في مجيرة وحذنة. وأعرف ثلاثة سواه.

أحدهما الذي في عرجى والنشاش بين عتيبة وحرب والثاني: في جبلة بين عتيبة برقا والروقة، الثالث: في واردات ووضاخ بين مطير وعتيبة، وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها، وهي معلومة في نجد.

وأما الذي في القرن الثالث عشر بين ابن هادي وابن حميد فحدثني عنه والدي عبد الله بن بليهد، لأنه عَمَّرَ واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فكره شيء، ولا من حديثه، وثلاث سنين لا يدرى عن شيء حتى انتقل إلى رحمة الله. رحمة الله عليه.

ومواضع المعارك: الموضع الأول بين (تَيْمَا ومُجيَرات وحُذُنة)، وفيه معركتان، والثاني: في (وادي عرجىٰ والنّشَاش) وفيه معركتان أيضاً والثالث: في (جبلة)، وفيه معركتان، والرابع بين (وضاخ وواردات)، وفيه معركتان، فهذه ثمان معارك كلّها عظام، ونحن في مجرى وادي واحد من هذه المواضع، وهذه المعارك في نجد بين أهلها، فماذا يكون لو طمعت فيها الأعداء.



٢٥ ــ وقال زهير:

كأنَّ سَحِيْلَهُ في كلِّ فَجْرٍ على أحْسَاءِ يَمْؤُوْدٍ دُعَاءُ
فآضَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَلِيْبٌ على عَلْيَاءَ لَيْسَ لَهُ رِدَاءُ

يمؤود أما يمؤود: فلا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، ولكنه يحتمل أن يكون وادياً في بلاد غطفان، لأنه ذكره الشماخ في شعره، وهو من شعراء تلك الناحية، وذلك حين قال:

طَالَ الثَّواءُ على رَسْمٍ بِيَمْؤُد حيناً وكلُّ جَدِيْدٍ بعْده مُودِي
دارُ الفتاة التي كُنّا نقولُ لَهَا يا ظَبْيَة عُطُلاً حُسَّانَة الْجِيْدِ

★ ★ ★

٢٦ ــ وقال زهير يمدح هرم بن سنان المرّي:

لِمَنْ طَلَلٌ بِرامَـةَ لَا يَريْـمُ عَفَا وخَلَا له عَهْـدٌ قَدِيْـمُ
تَحَمَّـلَ أهْلُـهُ مِنْــهُ فَبَانُــوا وَفـي عَرَصَاتِـه مِنْهُــمْ رُسُومُ

رامة: أكثبة متراكمة ليست بالكثيرة، باقية بهذا الاسم، معروفة عند جميع أهل نجد، وهي منقطع أكثبة الشقيقة مما يلي الغرب، وشرقي الأكثبة متصل إلى بلد عنيزة، وغربيها يمتد إلى جهة الرسّ البلد المعروف في أعلى القصيم، وطرف الأكثبة الغربية المقابلة للرسّ هي التي تُسمَى بهذا الاسم، وهي قريب وادي عاقل الذي تقدم ذكره، وقد ذكرتْها شعراء العرب، قال جرير: رامة

حَيِّ الغداةَ برامَةَ الأطْلَالَا رَسْمـاً تقـادَمَ عهـدُهُ فَأحَـالَا
إنّ السّوارِيَ والغوادىَ غَادَرتْ للرّيـح مخترَقـاً به وَمَجَــالا
لم ألْقَ مِثْلَكَ بَعْدَ عَهْدكَ مَنْزِلا فَسُقِيْتَ من سُبُلِ السِّماكِ سِجَالا
أصْبَحْتَ بَعْدَ جَمِيْعِ أهلك دِمْنَةً قفـراً وَكُـنْتَ محلّـة مِحْـلَالا

وقال بشْرُ بنُ أبي خازم في ذكر رَامَةَ:

عَفَتْ من سليمى رَامَةٌ فَكَثِيْبُهَا وشطّت بِهَا عَنْكَ النّوىَ وشعُوبُهَا
وغَيَّرهَا ما غيَّر الناس قَبْلَهَا فَبَانَتْ وحاجاتُ النُفُوس تُصِيْبُهَا

٢٧ ــ وقال زهير:

يَلُحْـنَ كأنهــنَّ يَدَا فَتَــاةٍ تُرَجِّعُ في مَعَاصِمِهَـا الـوُشُومُ
عَفَا من آل لَيْلىٰ بطنُ سَاقٍ فأكْثِبَــةُ العَجَالِــزِ فَالْقَصِيْــمُ

تُطَالِعُنَا خَيَالاَتٌ لِسَلْمَى كما يَتَطَلّعُ الدّيْن الْغَرِيْمُ
لَعَمْر أبيك ما هَرِمُ ابْنُ سَلْمَى بِمَلْحِيٍّ إذا اللؤَماءُ لِيْمُوا

ساق

ساق: واقع في الجواء معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ومنهم من يسميه «ساق الجواء» وهو منفرد من جبال الجواء ومن جبال الموشم ومن صارات، وهو أسود، ليس بالكبير شاهق إلى السماء، في أرض متسعة، وأنا قد رأيته مراراً كثيرة في أسفاري، قال الحطيئة:

نَظَرْتُ إلى فَوْت ضَحْيَا وَعَبْرَتي لَهَا من وَكِيْفِ الرّأس شنٌ وَوَاشِلُ
إلى العير تُحْدَى بين قَوٍّ وضارج كما زال في الصُّبْح الأشاء الحَوَامِلُ
فأتْبعُتْهُمْ عينَيَّ حتى تفَرَّقَتْ مع الليل عن ساقِ الفَرِيْدِ الجَمَائِلُ

وقد غلط مَنْ قال أن ساق الفريد غير ساق الجواء وهذا هو الحطيئة قد ذكره باسم «ساق الفريد» لأنه منفرد، والدليل على أنه يعني ساق الجواء أنه ذكر معه موضعين — وهما قوّ وضارج — وهما واقعان في ناحيته.

العجالز

والعجالز: واقعة في جهة القصيم، وذكروا أنها قريب النباج وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، وهي أكثبة، قال ذو الرمة :

وَقُمْنَ على العَجَالِزِ نصفَ يَوْمٍ وَأَدَّيْنَ الأَوَاصِرَ وَالْخِلاَلاَ

القصيم

القصيم: هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع في القطعة الشمالية من نجد، عامر، كثير القرى والنخيل والمزارع، تبلغ قراه وخبوبه والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية، ومدنه: بريدة، وعنيزة، وبلد الرس. حده الجنوبي بلد المذنب، وحده الشمالي بلد القوارة، وحدوده الشرقية النباج الذي يسمى اليوم الأسياح، وحدود الأسياح الشمالية: حنيظل، وأبو الدود، والقيصومة، وحدود الأسياح الجنوبية:

الجعلة، والنبقية وحدوده الغربية شماليها: وثال، وعيون الجواء، والروض وجنوبيها: الرس وما حوله، قال أهل اللغة عن سبب تسميته القصيم: أنه أكثبة متقصمة تنبت الغضى، قال محمود شكري الآلوسي: سمى القصيم، لأنه قصيمات رمل متقطعة، ويشقه طريق الحاج من البصرة إلى مكة نصفين، وهو الفاصل بين جَبَلَيْ طي وحايل وقراها وبين عارض اليمامة وقراه، ووشم اليمامة الذي عاصمته بلد شقرى واقع في النصف من الطريق بين القصيم والعارض، أنشد ابن السكيت في ذكر القصيم:

ياريها الْيَوْمَ عَلَى مِبْيَنِ عَلَى مِبْيَنِ جَرْد الْقَصِيْمِ

وفيه معارك في الجاهلية والإسلام، قال زيد الخيل[1] الطائي:

وَنَحْنُ الْجَالِبُونَ نساءَ عَبْسٍ إلى الجبلين من أهْل الْقَصِيْمِ
فكان رَوَاحُهَا للحىّ كَعْبٍ وكَانَ غدوُّهَا لِبَنِي تَمِيْمِ

وتنتهي إليه سيول الرمة اذا حجزتها الأكثبة الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً، واذا حجزته تلك الأكثبة ينعرج على يمينه ويجتمع في روضة الزغيبية المشهورة شرقي عنيزة، وهي موضع القريتين المذكورتين في الزمن القديم قريب النباج، وذكروا أن أسفل وادي الرمة تحير فيه المياه ويكون به وباء من الحمى لكثرة المياه، قال أعرابي يذكر وَبَاء القصيم وكثرة القتال فيه:

إنّ القصيم بلدٌ محمَّهُ أنْكَدَ أفْنَى أمَّةً فأمَّة

وفي سنة ١٢٩٥هـ في رجب منها جاء آل عاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبد الرحمن بن حشر، فدخلوا في أكثبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلد عنيزة، وهي حِمَى لأهل عنيزة يرعون الإبل والأغنام ويمنعون الكلأ لسوانيهم التي تسقى الزرع، فدخلوا في ذلك الحمي،

---

(١) قلت: والأفضل أن نقول عنه زيد الخير كما فعله رسول الله ﷺ.

وأرسل إليهم أهل عنيزة أن أذهبوا عنا وعن بلادنا والفلاة واسعة، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بَغْيٌ وتجبّر على أهل القرى وتطاولٌ، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس البلد زامل بن سليم، وكان بها قاضٍ يقال له علي آل محمد متخرج على الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن أبي بطين[١] فجاءه أمير البلد وقال له: أيها القاضي، إن هؤلاء الأعراب قد طَغَوْا وتجبروا علينا يضربون مَنْ وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من الرعاة وغيرهم، وقد آذَوْنا، فهل يحل لنا أن نغزوهم؟ قال: نعم، فتأهبوا للغزو وخرجوا يوم الأربعاء، فلما خرجت الراية مع صاحبها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية، فأمر رئيس الجيش زامل بن سليم القوم أن ينزلوا، فرجع إلى القاضي فقال له: إنا خرجنا في هذا اليوم يوم الأربعاء وهو مكروه عند العرب، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت، فماذا ترى؟ أنقيم اليوم ونغزو غدا نهار الخميس؟ فقال الشيخ: خذوا رمحاً سالماً وأصلحوا رايتكم واغزوا على بركة الله، فإنه لا خير إلا خيره، ولا طير إلا طيره، وليس عند الأيام خبر، فمشوا من حينهم والعدو قريب مسافة يوم وكان في بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان المغَزُوِّين، فقال لابنته: اذهبي إلى قومنا في جوف الليل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريباً، وكانت ابنته ذاتَ جمالٍ، فلما وصلت إلى نادي آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقفت على النادي ثم قالت: إن أبي أرسلني إليكم يقول: إن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذركم فإني لم آتكم بنفسي خوفاً أن يغضب عليّ جيراني، وأرسلني لأخبركم، فضحكوا والتفت بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم: هذا النذير أحسن ما يفعل به أن ...[٢] فبينما هم في ضحكهم وتهكمهم بها إذ طَلَعت عليهم جيوش أهل

---

(١) وكان أبو بطين قاضيا في عنيزه فكان ينيبه في غيابه، فتولى قضاء عنيزة من سنة ١٢٦٩ هـ إلى أن توفي سنة ١٣٠٤هـ، وهو من قبيلة الأساعدة أهل الزلفى، وبلدة من قرى الزلفى، انتهى مصنف، وقحطان اذ ذاك يشربون ماءة دخنة الهجرة المعروفة اليوم لحرب.

(٢) عند قحطان وقسم من الأعراب أهل نجد وقراها هو كناية عن الجماع، وقد حدثني من =

عنيزة فقتلوهم قتله عظيمة أصابت من آل حَشْر الرؤساء أحدَ عَشَرَ قتيلاً، منهم الرئيس حزام بن حشر أبو فيصل بن حشر الرجل المشهور في معيةَّ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفيصل المذكور فارس من رُمَاة أهل نجد المشهورين، هلك سنة ١٣٥٨هـ تقريباً، فانهزم القحطانيون، ودفنوا قتلاهم، وحملوا أميرهم حزاماً حين أثخنته الجراحات، فلما وصلوا ماء نفى المشهور في عالية نجد مات في ذلك الوادي فدفنوه، وقال شاعر آل عاصم أبياتاً نَبَطية بعد دفنه وارتحالهم من نفى، وهي قصيدة طويلة قالها ابن مسعر.

لو أجملنا إلى يشيل الروايا   الياقربو للشيل وثنات الجمال
لو ان الربع من دفوفه دمايا   مهوب من كثر العلايق بملال
في جال فيحان عليه البنايا   خلوه في خرب الجبا مظلم الجال
شلنا وخلينا زبون الحفايا   على نفى شرقي عن القصر نزال

فيحان: اسم لوادي نفى عند جميع الأعراب، وقوله «خرب الجبا مظلم الجال» أراد به القبر، ومصلط بن ربيعان الروقي كان به تجبر على أهل القرى، فجاء إلى حمى أهل عنيزة[1] ففعل مثلما فعل من قبله مَنْ التضييق على أهل عنيزة، والرئيس هو الرئيس الأول، والوقعتان قريب بعضهما من بعض في أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة، فصبحوه وأخذوا ابله وأمتعته، وكانت ابله يسميها سبلا، فقال قصيدة نبطية منها في سنة ١٢٨٩هـ: **فيحان**

أثق به عن ابيه أنه حدثه ابن فتنان لما رجعت إليه ابنته وأخبرته بكلام قومه وتهكمهم بها، التهب قلبه التهاب النار من أجل تهكمهم بابنته، وفي غد أتاه الخبر بقتلهم وقتل أحد عشر رئيساً منهم وأخذ هم وطرد هم، فسكن عند ذاك اللهب، فنصر الله الشيخ وابنته كما نصر أهل عنيزة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾. آية ١٤ من سورة الفجر.

(١) وذلك في شوال سنة ١٢٨٩ هجرية، وهو اذ ذاك قاطن على ماءة الثامرية الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً. المصنف.

يليت سبلا يوم جاها بلاها مهيب عند مصرفه خضر ألَرْباع

خضر الأرباع: عملة يتعامل بها أهل القصيم.

وفي سنة ١٣٣٠هـ تقريباً جاء قوم من حرب يقال لهم «الفردة» رئيسهم ابن هديب، فدخلوا في ذلك الحَمِى حَمِى عنيزة، ورئيسها يومئذ ابن سليم، فأرسلوا إلى الأعراب، وحذروهم أن اذهبوا عن هذا الحمى، فلم تربع الأعراب إلى هذا الإنذار، فخرج أهل عنيزة عليهم، فقتلوا رئيس الفردة ابنَ هديب.

أما موقعها: فشرقيها قور[1] وجبال صغار، متصل بعضها ببعض، وغربيها كثيب أحمر، وهي بين الكثيب وبين القور، في أرض منخفضة عذبة الماء كثيرة النخيل، وشماليها وادي الرمة به لهم نخيل ومزارع، ويسُميه بعضُ أهل نجد «وادي عنيزة».

بريدة

أما بريدة: فهي بلد واسعة، جميع القصيم يُعَدُّ من ملحقاتها وهي أكبر من عنيزة في موضعها وإمارتها وملحقاتها، أدركت أمراءها آل أبي الخيل من عنزة، ثم استعمل عليها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عمالاً من أبناء عمه وغيرهم، وبها قصر منيع يسكنه الأمير وخَدَمُه، وأهلها أمّة مطيعة للولاة، وجميع الحدود التي حددناها سابقاً للقصيم تابعة لها.

القصيم

أما القصيم: فهو مواضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده، كالنباج الذي يسمى اليوم الأسياح، وقرى الجواء والقريتين موضع روضة الزغيبية اليوم، والرس والرسيس والعاقلي، وأكثر قرى القصيم مذكورة في أشعار العرب وتاريخهم. أما بريدة[2]: المدينة المشهورة في وسط

---

(١) القور: هي الجبيلات الصغار، مفردها قارة، وهي لغة قديمة، قال كعب بن زهير في لاميته:
* كما تلفع بالقور العساقيل *

(٢) ذكرها صاحب منجم العمران المستدرك على معجم البلدان.

القصيم، فالذي اكتشفها الدريبي من أهل ثرمدا من العناقر، اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً، وبقايا ذريته هم آل أبي عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة، هم رؤساؤها وأمراؤها، منهم حجيلان الذي له ذكر في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز ومنهم عبد العزيز آل محمد الذي له ذكر في زمن الإمام فيصل، ومنهم محمد آل علي بن عرفج، فكل هؤلاء من آل أبي عليان.

وآل عرفج منهم المرأة التي قتلت قاتل أبيها[١] وقصتها مشهورة عند عامة أهل نجد، وأعرف ثلاث نسوة من نساء أهل نجد قَتَلْنَ الرجال:

الأولى: العرفجية آنفة الذكر، قتلت قاتل أبيها، وبنت الأصقه العجمي، قتلت ابن حثلين شيخ العجمان قاتل أبيها، وبنت المطرودي راعي العوشزية أُخِذَتْ إبلهم يوم الجمعة وأهلها غائبون للصلاة، فأخذت البندقية وركبت الفرس وعليها ثياب أخيها ولحقت الأعداء وقتلت رئيسهم ورجعت بالإبل ولها حديث طويل في ذلك، وهي خالة عبد الله بن جلوي أمير الأحساء رحمه الله.

وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة، فهم من قبائل شتى، ولكن كلمتهم مجتمعة، يَتَّجِرُونَ بالإبل، وفي السنين الأخيرة اتجروا في جميع أنواع التجارة، وأميرهم في هذا العهد سنة ١٣٦٦ هجرية عبد الله بن فيصل آل فرحان من أقارب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود[٢].

---

(١) قال شاعر في قصيدة له نبطية:

عيسى يقـــول الحـــرب للمـــال نفـــاد
أنشد مسوى السيـــف هو كيـــف حانيـــة
ان كان ما نرويـــه من دم ألَضْداد
كزوه لم العرفجيـــة ترويـــه

(٢) وأمير بريدة وملحقاتها في هذا العهد عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك المعظم ووالده عبد العزيز بن مساعد امير على حائل وملحقاتها. قلت وقوله هذا العهد يقصد سنة (١٣٦٨هـ).

* تطالعنا خيالات لسلمى *

وقول زهير

لعله[1] يريد بسلمى في هذا البيت الجبل الثاني من جبلَيْ طيئ أجا وسَلْمَى وهو معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذلك أن سَلْمىٰ قريب من جهة القصيم، وفيه بطن من الأسلم من شمر، وأجبلتها بين الحمرة والسواد، وقد مضى الكلام عليها في مواضع من هذا الكتاب موقعها بين جبل رمان وجبل أجأ، شرقيها فيد وركك، وغربيها مُتَاخم لغربي جبل رمان.

★ ★ ★

٢٨ ــ وقال زهير يخاطب بني تميم لَمَّا بلغه أنهم يريدون غزو غَطَفَان:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ   وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظَّنُونُ[2]
بِأَنَّ بُيُوتَنَا بِمَحَلِّ حَجْرٍ   بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ
إِلَى قَلَهىٰ تَكُونُ الدَّارُ مِنَّا   إِلى أَكْنَافِ دُوْمَةَ فَالْحَجُوْنِ
بِأَوْدِيَةٍ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ   وَأَعْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ

حجر: قد مضى الكلام عليه في أشعار زهير في رائيته التي مطلعها:

* لمن الديار بِقُنة الحجْرِ *

قلهى   أما قلَهىٰ فقد قال عرام بن الأصبغ السلمى[3] في كتابه عن جبال

(١) أو لعله يريد بسلمى اسم أمراة ينتابه خيالها

(٢) روى ثعلب «وَقَدْ يَأْتِيْكَ بالنُّصْح الظَّنُونُ».

(٣) انظر معجم البلدان ١٥٤/٧.

الحجاز وتهامة وأوديتها: وبالمدينة واد يقال له «ذورَوْلَان» به قُرىً منها قَلَهىٰ، وهي قرية كبيرة. اهـ.

فأما الذي عناه زهير فهو ماء يقال له قَلَهىٰ واقع في بلاد غطفان، وهو الماء الذي نزلَتْه عبس وفزارة بعد حروبها وتصالحت عليه، وبعدما تواثقوا قامت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان وطالبوا بني عبس بدماء عبد العُزيَّ بن جداد، ومالك بن سبيع، ومنعوهم الماء حتى أعطوهم الدِّية، فقال معقل بن عوف بن سبيع الثعلبي:

لَنِعْمَ الحيُّ ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدٍ إذا ما القوم عَضَّهُمُ الحديدُ
هم رَدُّوا القبائلَ من بَغِيْضٍ بغيظهـمُ وقـد حَمِـىَ الوَقُـود
تَظَلُّ دماؤهـم والـفَضْلُ فِيْنَـا على قَلَهىٰ ونحكم ما نريدُ

دوْمَةُ: هي دَوُمَة الجندل، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والمواضع التي تُسمَى بدومة كثيرة، ولكن الشاعر لم يَعْن إلا دُوْمَة الجندلِ وهي ثلاث قرى عظام: دومة، والقارة، وسكاك، واسمها القديم سكاكة، بها عامل على تلك المقاطعة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، فنقلت دائرة الإمارة من بلدة دومة إلى بلد سكاك، وأميرها في سنة ١٣٦٦هـ عبد الرحمن آل أحمد السديري، وفي تلك الناحية حصن يقال له «مارد» وهو حصن أكيدر بن عبد الملك الذي ينتهى نسبه إلى أشرس بن ثور بن عُفَير، وهو من كندة، وهو الذي وَجَّهَ إليه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك وقال له: ستلقاه يصيد الوحش، وجاءت بقرة وحشية فحكت قرونها بحصنه، فنزل إليها ليلاً ليصيدها، فهجم عليه خالد بن الوليد، فأسره، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك، وافتتحها خالد عنوة، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة، ثم أن النبى ﷺ صالح أكيدر[1] على دوُمة، دومة

(١) قلت هو أكيدر بن عبد الملك الكندى متوفي نحو ١٢هـ ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية وجه إليه النبي ﷺ خالد بن الوليد في ٤٢٠ فارساً من المدينة، فأسره خالد، وفتح حصنه صلحا وعاد به إلى المدينة فقيل: أسلم، ورده الرسول إلى بلاده بعد أن كتب له كتابا.

وأمَّنه، وقرر عليه وعلى أهله الجِزْيَةَ، وكان نَصْرانياً، فأسلم أخوه حُرَيث، فأقره النبي ﷺ على ما في يده، ونَقَضَ أكيدر الصلح بعد وفاة النبي ﷺ، فأجلاه عمر رضي الله عنه من دُومَةَ فيمن أجلى من مُخَالفي دين الإسلام إلى الحيرة، فنزل في موضع منها قريب عين التمر وبنى به منزلاً وسماه دومة، وقيل: دوماء، باسم حصنه بوادي القرى، فهو قائم يعرف إلا أنه خراب، قال الشاعر في إجلاء عمر رضى الله عنه أكيدر:

يَامَنْ رَأىٰ ظُعُناً تحمّل غدوةً من آل أكّدَرَ شَجْوُهُ يُعْنِيِنى
قد بُدِّلَتْ ظَعَناً بدار إقامةٍ والسّير من حصن أشمُّ حَصِيْنِ

الحجون الْحَجُون: هو الواقع في أعلى مكة مما يلي مقابرها، وهو الذي عناه مُضَاض بن عمرو الجُرهُمي حين قال يتشوق إلى مكة المكرمة:

كأنْ لَمْ يَكُنْ بين الحَجُون إلى الصّفا أَنِيْسٌ، ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلى نَحْنُ كُنّا أَهْلَهَا فأزالنا صروفُ الليالي والجُدودُ العواثِرُ

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

ومعنى بيت زهير أن غطفان ملأت ما بين دومة الجندل إلى الحَجُون، ولكنه يكذب في آخر الأبيات حين يقول:

* **وأعلاها إِذَا خِفْنَا حُصُون** *

فيظهر من هذا الشطر أنهم لم يملأوا الذي بين دوُمَةَ فالحجون، ولم يملأوا بلاد غطفان.

★ ★ ★

٢٩ — وقال زهير:

على رسْلِكُمْ إنّا سَنُعْدِى وَرَاءَكُم فَتَمْنَعَكُمْ أَرْمَاحُنَا أو سَنُعْـذَرُ
وَإلّا فَإنّـا بالشَّرَبَّـةِ فَاللِّـــوَى نُعَقِّـرُ أَمّـاتِ الرِّبـاعِ وَنَـيْسِرُ

أما الشَّرَبَّة فقد مضى الكلام عليها على قصيدة امرئ القيس عند هذا البيت[1]: الشَّرَبَّة

تَخَطَّفُ خِزَّان الشَّرَبَّةِ بِالضُّحَىٰ ... وَقَدْ حجرت منها ثعالب أَوْرَالِ

★ ★ ★

٣٠ ــ وقال زهير:

إنَّ الرَّزِيَّـة لا رَزِّيَـةَ مِثْلُهـا ... مَا تَبْتَغِي غطَفَانُ يَوْمَ أضَلَّتِ

إنّ الرّكَابَ لَتَبْتَغِي ذا مِرَّةٍ ... بِجَنُوب نَخل إذا الشُّهور أَحَلَّتِ

أما نخل فقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير حين قال في لاميته[2]: نخل

تَرَبَّص فَإنْ تُقْوِ المروراةُ منهُمُ ... ودَارَتُها لا تُقْوِ منهمْ إذاً نَخْلُ

★ ★ ★

٣١ ــ وقال زهير:

غَشِيْتُ دِيَاراً بِالْبَقِيْعِ فَثَهمَـدَ ... دَوَارِسَ قَدْ أَقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبَدِ[3]

أَربَّتْ بها الأرواحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... فَلَمْ يَبْقَ إلّا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ[4]

أما البَقِيع: فقد مضى الكلام عليه في ذكر مياه الجواء على معلقة امرئ القيس على ذكر بقيعا، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد. البقيع

وأما ثَهْمَد: فسيأتي الكلام عليه ــ إن شاء الله ــ في معلقة طَرَفَةَ.

★ ★ ★

(١) انظر ص ١٠١ و ١٤٠ من هذا الجزء.
(٢) انظر ص ٢٦ و ٢٣٢ من هذا الجزء.
(٣) في رواية ثعلب «غشيت الديار بالبقيع» وأقوين : أقفرن.
(٤) أربت: أقامت والارباب: الاقامة وعدم البراح.

٣٢ ــ وقال زهير:

إلَىٰ هَرِمٍ سَارَت ثلاثاً من اللِّوَى فَنِعْم مَسيرِ الوَاثِقِ الْمُتَعَمِّدِ
سَوَاء عليه أيَّ حِينٍ أتَيْتَهُ أساعةَ نَحْسٍ تُتَّقىٰ أمْ بِأسْعُدِ

اللوى اللِّوىٰ: الواقع في بلاد غَطَفان لوى عريق الدسم الذي يقع طرفه بالقرب من أبان الأحمر الجنوبي الواقع على ضفة الرمة الجنوبية، ويمكن أن يكون زهير قد عَنَى منقطع هذا الكثيب في بلاد غطفان.

★ ★ ★

٣٣ ــ وقال زهير يمدح سِنَان بن أبي حارثة المُرّي :

أمِنْ آل لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُضٍ مَاثِلَاتٍ مُثُولَا
بَلِيــنَ وَتَــحْسَبُ آياتِهِــنَّ عن فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقاً مُحِيْلَا

حرض حُرُض: هذا الاسم يطلق على مواضع كثيرة، منها حرض في جهة المدينة عند قناة قريبَ أحُد، وهو الذي قال فيه حكيم[1] بن عكرمة الديلمي وهو يتشوق إلى المدينة :

لَعَمْــرُكَ لَلْبَــلَاطُ وَجَانِبَــاهُ وَحَـرّة واقِـمٍ ذات الْمَنَــارِ
فَجَمَّــاءُ الْعَقِيْــق فَعَرْصَتَــاهُ فَمَفْضَىٰ السّيل من تُلكَ الحِرَارِ
إلى أُحُدٍ فَذِى حُرُضٍ فِمَبْنَىٰ قِبَابِ الحيّ من كَنَفَيْ صِرَارِ
أَحَبُّ إلَيّ من فجٍ بِبُصْرَىٰ بِلا شَكّ هناك وَلَا ائْتِمَارِ
ومن قُرِيّاتِ حِمصَ وَبَعْلَبَكَ لو أنىّ كنتُ أُجْعَلُ بالْخِيَارِ

ولما استولى اليهود في الزمن القديم على المدينة وتغلبوا عليها كان لهم ملك يقال له: الفِطْيَونُ، وكان قد سن فيهم سنة أن لاتدخل امرأة على

(١) انظر معجم البلدان ٢٥٢/٣.

زوجها حتى يكون هو الذي يَفْتَضُّهَا قبله، فبلغ ذلك أبا جُبَيْلة أحدَ ملوك اليمن، فقصد المدينة، وأوقع باليهود بذي حُرُض، وقتلهم فقالت سارة القرظَية تذكر ذلك :

بأهْلِي رِمَّةً لم تُغْنِ شَيْئاً بِذِى حُرُضٍ تُعَفِّيها الرِّياحُ
كُهول من قريظة أتلفَتهم سيوفُ الَخزْرَجِيّة والرّمَاحُ
ولو أذنوا بحربهُم لحَالَتْ هنالك دُوْنَهُمْ حَرْبٌ رَدَاحُ

وقد قال كثيّر ذاكراً هذا الموضع الُمجَاور للمدينة.

أرْبَعْ فحيِّ معارفَ الأَطْلَالِ بِالْجَزْعِ من حُرُضٍ فَهُنَّ بَوَالِ

وهناك موضع آخر يقال له «حرض» في هذا العهد واقع بين الخَرْج ومقاطعة الأحساء، وهو في الزمن القديم يقال له «دحرض» وسيأتي الكلام عليه في معلقة عنترة إن شاء الله تعالى. وفي جهة الأفلاج موضع يقال له «حراضة» واقع في بلاد الأفلاج كثير النخل.

وهناك موضع فيه ماءة يقال لها «حراضة» واقع غربي حَضَنٍ الجبل المشهور الواقع جنوبي ركبة، وكان بخيت بن ماعز الروقى قد طرد قوماً من البقوم وقد أيقنوا بالهلاك فالتجئوا إلى طرف حَضَنٍ المطل على ماء حراضة المذكورة، فقال في ذلك قصيدة نبطية منها:

ربٍّ نَصفنِي من بَنِى عم عاضه بشلف تروى حدها والمسامير
ظلع البقوم إلى أمقاد حراضه أكسيه يالبقما ثياب مشاهير

ذكر للبقوم أنه يجب عليهم أن يَكسُوا هذا الجبلَ الذي مَنَعهم منه.

والذي عناه زهير في قصيدته وادٍ في بلاد غطفان فيه ماء قليل يقال لهذا الوادي حُرُض، واقع في جبل في العلم، وهو في حدود بلاد غطفان

الشمالية، يوجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، إذا خرجْتَ من ماء النقرة قاصداً الشمال وجعلْتَ جبل العَلَم على شمالك، وسلكت الطريق المسمى قعضب عند أهل تلك الناحية وخرجت منه، فماءُ النحائت التي تقدم ذكرها على يمينك، وماء حرض على شمالك.

انتهى ذكر الأماكن الواردة في شعر
زهير بن أبى سُلْمىٰ المزنّى

٣

طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيُّ

طرفة بن العبد البكرى[1]

(مات سنة ٧٠ قبل الهجرة ـــ ٥٥٠ للميلاد، تقريباً)

١ ـــ قال في مطلع معلقته :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ في ظَاهِرِ الْيَدِ
بِرَوْضَةِ دُعْمِيٍّ فأَكْنَافِ حَاجِرٍ ... ظَلِلْتُ بها أبكِي وَأبْكِي إِلَى الْغدِ[2]
وقُوفاً بهَا صَحْبى عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَاتَهْلِكْ أسىً وَتَجَلَّدِ
كأنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَة ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

أما ثهمد وبُرْقَةُ فإنا لما أمعنّا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه في كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة في ذلك، اهتدينا إلى موضعه الآن، لكنه قد تغير اسمه، حدده الهَمْداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال: هو واقع في حزيز وضاخ الذي يمتد منه إلى حليت؛ والموجود هناك سناف أسود يقال له اليوم «حيد الردامي» يتصل غرباً بحزوم وأبارق، وهي ثهمد

(١) انظر مصادر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء ١١٥، الشعر والشعراء ١٨٥، سمط اللآلى ٣١٩/١، شرح شواهد المغنى ٨٠٥، الخزانة ٤١٤/١ وفي رجال المعلقات ص ١١١ وفاته سنة ٧٠ قبل الهجرة.

(٢) ورواية هذا البيت كما جاء في شرح القصائد التسع المشهورات صنع ابي جعفر النحاس ت ٣٣٨ :

لخولـــــــة اطـــــــلال ببرقـــــــة ثهمـــــــــد
ظلـــلت بهـــا ابكـــــى وأبكـــــى إلـــــى الغـــــد

ويروى: وقفت بها ابكى.
تحقيق احمد خطاب القسم الأول ص/٢٠٧ بغداد ١٣٩٣ هـ ـــ ١٩٧٣م.

هذا البيت ساقط من رواية التبريزى والزوزنى، وقد رواه ياقوت (٣١٦/٤) وفيه عنده «فأكناف حائل».

البرقة التي ذكرها طَرَفة في قوله «ببرقة ثهمد» وثهمد: هو من حيد الردامي المسمى اليوم بهذا الاسم، قال الأعشى:

هَلْ تذكُرِين العهْدَ يابنة مالكٍ   أيـام نرتبـع السِّتـار فَثَهْمَـدَا

والستار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم، لايبعد عن أبارق ثهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم، والستار المذكور: واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته.

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعاً يطلق عليه اليوم اسم ثهمد، ولكنه على حسب تحديد الهمداني واقع عند حيد الردامي من غير إشكال.

والأبارق المضافة إليه واقعة في غربيه الجنوبى مما يلي الستار، الذي ذكره الأعشى، وهو غير الستار الذي ذكره امرؤ القيس؛ لأن الذي ذكره امرؤ القيس في حِمَى ضَرِيَة، والذي ذكره الأعشى واقع في شرقي طخفة شمالي غول قريباً من منية.

وفي جزيرة العرب خمسة جبال كلها تسمى بالستار، وكلها أسماء جاهلية باقية إلى هذا العهد.

روضة دعمى: لم أعرف في بلاد العرب روضة بهذا الإسم إلا روضة واحدة تقع بين قنيفذة وكثيب نفود السر، وقنيفذة: هي الأكثبة المتراكمة بين مراة وبين السر، وروضة دعمى واقعة بين قنيفذة والسر غربى مراة، وهي: روضة كبيرة كثيرة السِّدْر والسَّلَم والطلح، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، تسمى «روضة بن دعمان» يعرفها الكثيرون من أهل نجد، تقع في النصف بين كثيب السر وكثيب قنيفذة، وهي لكثيب قنيفذة روضة دعمى

أقرب، بين أبرق المتياهة وبين (خَلْ)[1] سعود وهي التي تسميها العامة «روضة سدران» وهذا الاسم حديث، سَبَبُه أن السيول كثرت فيها عاماً من الأعوام فخرج فيها ماء بين سِدْر فسميت هذه الماءة «سدران» ثم غلب هذا الإسم حتى قيل لها «روضة سدران» وهي بنفسها «روضة دعمان» وهذا الاسم الأخير قديم، وأنا أعرفها من مدة قديمة بهذا الاسم، وهي التي عناها الشاعر بقوله:

هَيْهَات مسكنَهُا من حيث مسكننا إذا تضمنها دعمان فالدور

ولست أعرف في بلاد العرب موضعاً بالاسم الذي ورد في شعر طرفة غير الذي ذكرنا.

وقول طرفة «أكناف حاجر» في لغة العرب قديماً وحديثاً أن الموضع الذي ينحجر فيه السيلُ من الأرض يسمى «حاجراً» فهو اسم جنس غير معين، فإن كان طرفة عنى بذلك ما حَجَر السيل من الأرض فهو قريب من «روضة دعمى»[2] من محاجر السيل التي هي مجاورة لها، وإن كان قصد موضعاً بعينه فلست أعلم موضعاً يقال له حاجر إلا موضعاً واحداً يقع عن وادي الرمة شمالاً، وهو قريب النقرة، يبعد عنها مسافةَ نصفِ يومٍ تقريباً، يقال له في هذا العهد «الحاجر» وهو منهل ترده الأعراب.

النواصف ودد

النواصف ودد: كلها واقعة في البحر الشرقي، لأن طرفة حين قال:

*** خلايا سفين بالنواصف من دد ***

أتبعها بقوله *** عَدَوْلِيَّة أو من سَفِين ابن يامن ***

---

(١) الخل: طريق نافذ بين كثيبين من الرمال.

(٢) قلت وهناك أكثر من وروضة في جزيرة العرب. منها:
ــ روضة أمِّ العَمْر، وروضة بُحْتر، وروضة بَرْغَش، وروضه الشبيكة، وروضة عُلَيَّان، وروضة قُراقِر، روضة مَرْحَب، وروضةالْوَكِيْع. انظر: المعجم الجغرافي شمال المملكة، بالقسم الثاني، حمد الجاسر ص/٦١٢ ــ ٦١٣.

وامرؤ القيس لما وصف الظَّعائن وقال:

فَشَبَّهتُهمْ في الآل لما تكمشوا حدائق دَوْم أو سفيناً مُقَيَّرا
من المكرعات من سَفِينِ ابن يامن دُوَيْنَ الصَّفَا اللائى يلين الْمُشَقَّرَا

والصَّفَا والُمشَقَّر في هَجَر بغير خلاف، وطرفة ذكر سفينَ ابن يامن، ودَد: اسم لوادٍ يصب في البحر الشرقي.

والنواصف: هي نواصف هذا الوادي، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وأما صاحب معجم البلدان فإنه قال[1] على ذكره: هو موضع، واستدل بقول طرفة في معلقته، ومنهم من قال : إنه وادٍ من أودية عمان يصب في البحر، والنواصف التي ذكرها طَرَفَة هي نواصف دد وقد ورد لها ذكر في أشعار كثيرة، قال ود بن منظور الأسدي:

الا حَيِّ رَبْعاً بالنواصف أو رَسْمَا خَلَا دمية الأرواح تطسمه طَسْما[2]

وقد دَرَسَ ذكر الناس للنواصف ولِدَدٍ، وظنى أن أحداً لا يعرفهما اليوم بهذين الاسمين، وقد أطَلْتُ البحث عن دَدٍ وموضعه، فقال لي بعضُ أهل الأدب: أنا أظن أن «ددا» هي المدينة الواقعة في عمان التي يقال لها اليوم «دبي» وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باءً، فرجعت إلى كتب المعاجم للاستقصاء عن دد، وعن دبى، فوجدت دبي هذا الاسم من عهد الجاهلية فقد كان يقال له في الزمن القديم «دبا» واتل أيها القارىء هذه العبارة التي أوردها ياقوت في معجمه عن الأصمعي حتى يزول عنك الشك، وتعلم أن ددا اسمُ قديم جاهلي ودبى أيضاً اسم قديم جاهلي.

(١) المعجم ٣١٩/٨.

(٢) وقع في معجم البلدان «نطمسه طمسا» بتقديم الميم على السين، وهو تحريف، وتقول «طمس الطريق» و«طسم» بمعنى واحد، ومعناهما درس، وانظر شواهد ذلك في اللسان (ط س م).

قال ياقوت[1] : وبعمان مدينة مشهورة قديمة يقال لها «دبا» وهي قصبة عمان، ولعل هذه السوقَ المشهورة التي فتحها المسلمون في أيام أبي بكر رضي الله عنه عنوة سنة إحدى عشرة وأميرهم حُذَيفة بن محصن فقتل وسبا، قال الواقدي: قدم وفد الأزد من «دبا» على رسول الله ﷺ، مقرين بالإسلام فبعث عليهم مُصَدقاً منهم يقال حذيفة بن محصن البارقي، ثم الأزدى من أهل «دبا» فكان يأخذ صدقة أغنيائهم وَيَرُدُّها إلى فقرائهم، وبعث إلى رسول الله ﷺ بفرائض لم يجد لها موضعاً، فلما مات رسول الله ﷺ ارتدُّوا، فدعاهم إلى النزوع، فأبوا وأسمعوه شتماً لرسول الله ﷺ وأبي بكر، فكتب حذيفة في ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل، وكان رسولُ الله ﷺ استعمله على صدقات عامر، فلما مات النبي ﷺ وسلم انحاز عكرمة إلى تبالة: أن سِرْ فيمن قِبَلك من المسلمين، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي، فجهز لقيطُ إليهم جيشاً، فالتقوا، فهزمهم الله، وقتل منهم نحو المائة حتى دخلوا مدينة «دبا» فتحصنوا بها فحاصرهم المسلمون شهراً أو نحوه، ولم يكونوا قد استعدوا للحصار، فأرسلوا إلى حُذَيفة يسألونه الصلح فقال: لا أصالح إلا على حكمي، فاضطروا إلى النزول على حكمه، فقال: اخْرُجُوا من مدينتكم عُزْلا لا سلاح معكم، فدخل المسلمون حصنهم، فقال: إنى حكمت فيكم أن أقتل أشرافكُم وأسبي ذراريكم، فقتل من أشرافهم مائَةَ رجلٍ، وسبى ذراريهم، وقدم بسبيهم المدينة، فاختلف المسلمون فيهم، وكان فيهم أبو صُفْرَةَ أبو المُهَلبَّ غلاماً لم يبلغ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتلَ مَنْ بقى من المقاتلة، فقال عمر رضي الله عنه: ياخليفةَ رسول الله، هم مسلمون، إنما شَحُّوا بأموالهم، والقوُم يقولون: مارجعنا عن الإسلام، فلم يزالوا موقوفين حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه، فأطلقهم عمر رضي الله عنه، فرجع بعضهم إلى بلاده،

---

(١) المعجم ٤/٣٠.

وخرج أبو المُهَلبَّ حتى نزل البصرة، وأقام عِكْرِمة بدَبَا عاملاً لأبي بكر، وآل المهلَّبِ استوطنوا البصرة، وكانوا قُوَّاداً وعمالاً لبني أمية حتى قَضَتْ عليهم تلك الدولة، وأحزم من تولى منهم قتال الخوارج المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرة، وله عليهم انتصارات عظيمة، وهو الذى فَلَّهم بعد الصبر والمُطَاولة.

★ ★ ★

٢ ــ وقال طرفة :

تُبارَى عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعتْ وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ
تَرَبَّعَت القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغيَدِ

القفان أما القفان فإن المواضع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة منها «قف» قريب حَفْر أبي موسي الأشعري في الصمَّان، و«قف» في جنوبى الصمَّان مما يلي طريق الأحساء السالك إلى نجد، و«قف» في جهة المدينة، و«قف» قريب الرس جنوبى وادي الرمة، و«قف الجواء» شماليَّ الرمة، ورد لها ذكر في أشعار العرب، فإذا قال الشاعر «القُفَّان» بالتثنية فهما في الصمان، وقد مر ذكرهما، وإذا أفرد فهو يقصد أحدهما، وإذا ثناهما شاعر غَطَفاني كزهير وغيره فهما الواقعان قريب الرمة، وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذي الرمة وهي تذكر القف القريب من المدينة، وقد رحل بها زوجهُا إلى تلك الناحية[1] :

نَظَرْتُ ودوني القفُّ ذو النخلِ هل أرَى
أجارعَ من آل الضُّحىٰ في ذرى الأمل

فيالك من شوق رَجِيعٍ ونظرة
ثناها عليَّ القفُّ خبلا من الخبل

(١) انظر معجم ياقوت ١٤٠/٧.

ألا حَبَّـــذَا مابيـــــن حُزْوَى وشارع
وأنقــاء حُزْوى من حزون ومـــن سَهْـــل

لعمـــرى لأصْوَاتُ الْمَكَاكـــيِّ بالضُّحـــىٰ
وصوتُ صباً في حائـط الـرِّمْثِ بالذحـــل

وصوتُ شمـــالِ زعـــزعت بعـــد هَدْأة
ألَاءَ وأسْبَاطـــاً وأرْطَـــىَ من الحبـــل

أحبُّ إلينـــا من صيـــاح دَجَاجـــة
وديكٍ وصوت الريـــح من سَعَـف النَّخْـلِ

فيالَــيْتَ شعـــري هل أبيتَـــن ليـــة
بجُمْهـــورِ حُزْوَى حيث رَبتنـــى أهلـــى

وقد قال زهير حين أفرد القف :

لمن طَلَل كالوحى عافٍ منازلُه عفا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقلهْ
فقفٌ فصاراتٌ فأكناف مَنْعَج فشرقيُّ سَلْمىٰ حَوْضُهُ فأجاوِلُهْ

هذا القف الذي يقع عن الرُّمة شمالاً مختلطاً بصارات، وقال أيضاً حين ثناه:

كم للمنازل من عامٍ ومن زمن لآل سَلْماء بالقُفَّيْن فالركُنِ

فهو حينئذ قد قصد القفين اللذين يقع أحدهما شمالي الرمة، والثاني جنوبيها، وهذا الذي قصده طرفة؛ لأنها من أصلح الأرض للإبل، وهن باقيات بهذا الإسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٣ ـــ وقال طرفة :

وَأَتْلَع نَهَّاضٌ إذَا صَعَدتْ بِهِ كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مصعِدِ[١]

دجلة

دَجْلة: نهر معروف يصبُّ في بحر الخليج العربـي، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال أبو العلاء المعري[٢] :

سَقْياً لدَجْلَة والدنيا مفرقَة حتى يعود اجتماع النَجم تشتيتا
وبعدها لا أحِبُّ الشرب من نَهَرٍ كأنما أنا من أصحاب طَالُوتَا
ذَمَّ الوليدُ ولم أذْمُمْ بلادكمُ إذ قال «ما أنصفت بغداد» حوشيتا

وقال ابن التمار الواسطى يصف ضوء القمر على دَجْلَة :

قم فاعتصم من صُرُوف الدهر والنُّوَب
واجمع بكأسك شَمْلَ اللهو والطَّرَبِ
أما تَرَى الليلَ قد وَلَّتْ عساكرُه
مهزومةً وجيوشُ الصبح في الطَّلَبِ
والبدر في الأُفُقِ الغربيِّ تحسَبُه
قد مَدَّ جسراً على الشَّطَّين من ذَهَب

ودجلة هي التي عناها طرفة بقوله «بدجلة مصعد» وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، عليها مُدُن وقُرّى عامرة كثيرة النخل والمزارع، تنحدر من الشمال متجهة إلى جهة الجنوب، وكذلك نهر الفُرَات على

(١) الأتلع: المشرف، وأراد عنقها الطويل، والسكان ـــ بضم السين وتشديد الكاف ـــ ذنب السفينة الذي تقوم وتسكن به (هو المسمى اليوم في لسان ملاحى مصر: الدفة) والبوصي: السفينة فارسى معرب، ويروى «كسكان نوتى» والنوتي: الملاح.

(٢) انظر معجم البلدان ٤١/٤.

هذا الاتجاه، ودجلة: موضع آخر في ديار العرب بالبادية، وهو قسم من الرُّمة، قال يزيد بن الطَّثْرية :

خلا الفَيْضُ ممن حَلَّه فالحمائلُ فدجلة ذو الأرطى فَقَرنُ الهوامل
وقد كان محتلا وفي العيش غرَّةٌ لأسماء مفضى ذو سليل وعاقل
فأصبح منها ذاك قَفْراً وما مَحَتْ لك النفس فانظر ما الذي أنت فاعل

هذه الشواهد على دجلة التي في البادية، وعليها شواهد كثيرة، وهي واقعة قريب الرُّمة، كانت تعرف بهذا الاسم في الزمن القديم، وقد انقطع ذكر هذا الاسم اليوم.

★ ★ ★

٤ ــ وقال طرفة يصف أذنى راحلته :

وَصَادِقتا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى لِهَجْسٍ خَفيٍّ أو لصَوْتٍ مُنَدَّدِ
مُؤَلَّلتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

حومل: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرىء القيس لما قَرَنه بالدَّخول، وهو قريب من ماء الدخول كما ذكرنا في كلامنا على معلقة امرىء القيس في تحديده[٢]. وحومل: قد أطال أهلُ المعاجم عليه، واختلفوا في تحديده، فحددته فيما مضى تحديداً شافياً مصيباً عن علم ويقين. حومل

٥ ــ وقال طرفة :

---

(١) قلت يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة شاعر مطبوع، من شعراء بني أمية ت ١٢٦ هـ.
ونسبته إلى امه من بني (طثر) من عنز بن وائل. انظر الأعلام ج ٢٣٦/٩.
(٢) انظر معلقة امريء القيس.

وَظُلْمُ ذَوِى الْقُرْبىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى المرء مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فَذَرْنِى وَخُلْقِي؛ إنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ ... وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتُ قَيس بْنَ خَالِدٍ ... وَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتُ عَمْرو بْنَ مَرْثَدِ

ضرغد أما «ضرغد» فأنا أعرفه يقيناً، يقال له اليوم «ضرغط» أبدلوا داله طاءَ، به قصر ومزارع، واقع في جبال حرة سوداء منيعة، يلتجىء إليها المُجْرم، يقع بين قرية المستجدة الواقعة جنوبيَّ جبل رمان، وشرقي بلد الحائط التي كانت تسمى في الزمن القديم «فدك»، وحرة ضرغد: تقع غربيه، وهي مَنْهَل ترده الأعراب، وبه قصر، فإذا أغير على أهله دخلوا في تلك الحرة فسَلِموا، وهي حرة عظيمة سوداء منيعة، تُسميها العامة اليوم «لَابَة ضرغط» وهو الذي ذكره طرفة في معلقته، لم يتغير من اسمه شيء إلا هذا الإبدال الذي أشرنا إليه، وموقعه بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان، وقد وردته، قال[١] عامر بن الطفيل العامري :

ولَتَسْأَلَنّ أسْمَاء ــ وَهْيَ حَفِيَّةٌ ... نُصَحاءَها : أطُرِدْتُ أم لم أطرد
قالوا لها : فَلَقَدْ طردْنا خيله ... قلح الكلاب وكُنْتُ غيرَ مطرَّدِ
فَلأَبْغِيَنَّكُــمُ قَنــاً وعــوارِضاً ... ولأُقْبِلَنَّ الخيَـلَ لَابَـة ضرغـدِ
بالخيل تعثر بالقصيد كأنها ... حِدَأ تتابع في الطريق الأقْصَدِ
ولَأثـأرَنَّ بمــالك، وبمــالك ... وأخي المروءاتِ الذي لم يسند[٢]
وقَتيــلِ مرة أثــأرنَّ فإنَّــهُ ... فرع، وإن أخاهمُ لم يقصد
ياسَلْمَ أخْتَ بنى فَزَارة، إننى ... فَانٍ، وإن المرء غير مُخَلّدِ[٣]
وأنا ابنُ حَرْب لا أزال أشُبُّهَا ... سمرا وأوقِدهُا إذا لم تُوقِدِ

انتهت معلقة هذا الشاعر الفحل، وهي من أطول المعلقات، ولكن لم يرد

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/٥٣٠.
(٢) في معجم ياقوت (٥/٥٣٠) «وأخى المرورات» وما أحسبه إلا محرفا عما ذكرت.
(٣) في المعجم «إننى غان» وما بعده من عجز البيت يؤيد صحة ما أثبتناه.

فيها من ذكر البقاع إلا القليل، وهو الذي أوردناه في كتابنا هذا، وطرفَةُ من أقدم شعراء المعلقات، وقد اختلفوا في عمره؛ فمنهم من قال: إنه هلك وعمره عشرون سنة[١]، ومنهم من قال: إنه عاش ستاً وعشرين سنة[٢]، وذكروا عنه نباهةً وحِدَّةَ ذهنٍ في صغره، قالوا: إنه كان في نادي قومه وهو ابنُ عشر سنين وخالُه المتلمسُ الشاعر يُلْقى قصيدة، فلما بلغ قوله :

وقد أنفينّ الهمَّ عند احْتِضَاره بناجٍ عليه الصَّيعرية عيهم

فقال طرفة : اسْتَنوَقَ الجملُ ياخال، فقال المتلمس : ادْنُ مني، فلما قرب منه مَسَح قمةَ رأسه وقال : ويل لهذه من تلك[٣].

انتهى ذكر الأماكن الواردة في معلقة

طرفة بن العبد البكرى

---

(١) والأدباء يسمون طرفة «ابن العشرين» وانظر المزهر (٢٤٣/١) والشريشى (١٩١/١) والخزانة (٤١٦/١).

(٢) وأخته لأمه، وهي الخرنق بنت بدر بن هفان تقول في رثائه:

عَدَدْنَا لَهُ خَمْساً وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّداً ضَخْمَا

فُجِعْنَا به لما استَمَّ تمامُه على خير حال لا وَليداً ولا قحما

ولاشك أن أخته أعرفه بسنه.

(٣) يريد ويل لرأسك من لسانك.

٤

لَبِيدُ بن رَبيعَةَ العَامِرِيُّ

لبيد بن ربيعة العامري[1]

ذكروا أنه بلغ من العمر ١٥٧ سنة، وهو أكثر أهل المعلقات في معلقته ذكراً لمواضع البلاد العربية، وهذا مطلع قصيدته المعلقة :

١ ــ عَفَتِ الدِّيَارُ مَحلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنَـىً تَأبَّـدَ غَوْلُهَـا فَرِجَامُهَـا
فَمَدَافِعُ الرَّيَّـانِ عُرِّىَ رَسْمُهَـا خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحىَّ سِلَامُهَا

ذكر لبيد أربعة مواضع في هذين البيتين : منىً، وغول، والرجام، والريان، وكلها متقاربة لايكون بين واحد منها وآخر أكثر من مسافة نصف يوم.

منى

فأما منى التي ذكرها لبيد فهي هضبة حمراء واقعة بين طخفة ونفى، فيها ماء عذب، وهي تسمى اليوم عند عامة أهل نجد «منية» لاتزال تذكر بهذا الاسم، وكثير من الناس قد ظن ــ غالطا ــ أن منى في هذا البيت الموضع الواقع قريب مكة، وقد أكثر الشعراء في ذكر منى على اختلاف مقصودهم، قال كُثَير عزة :

ولما قضينا من مِنىً كلَّ حاجةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالَتْ بأعْنَاقِ الْمَطِيِّ الأباطحُ
وجدتْ بها وَجْدَ المضِلِّ ركابه بمكـة والركبـانُ غادٍ ورائـحُ

وهذا الشاعر الخزاعي إنما عنى بمنىً البلدَ الذي يجتمع فيه الناسُ أيام

(١) قلت هو لبيد بن ربيعة العامري الجعفري الكلابي صحابي توفي سنة ٤١هـ وقيل ٦٠هـ انظر مصادر ترجمته في: الشعر والشعراء ١/٢٧٤ الأغاني ١٥/٢٩١ شرح شواهد المغني ١٥٢/ الخزانة ١/٣٣٧ رجال المعلقات ١٦٠.

الحج، وقال العَرْجى :

نَلْبَثُ حَوْلاً كُلَّـهُ كامــلاً لانَلْتَقِي إلا علــى منهــج
في الْحَجِّ إن حَجَّتْ، وماذا منى وأهله إن هِيَ لم تَحْجُجِ

وهذا الشاعر القُرَشى أراد منى الذي أراده كثير، وأما منى الذي ذكره لبيد فهو الذي ذكره شاعر من بني عامر حين قال :

أَتْبَعْتُهـم مقْلَـة إنسانُهَـا غرِق كالفص في رقرق بالدمع مغمور
حتَّى تواروا بشعف والجمال بهم عن هَضْب غولٍ وعن جنبي مِنىَ زورُ

والشواهد كثيرة في ذكر منى الواقعة في عالية نجد الشمالية.

غول وأما غول فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وهو جبل أحمر فيه ماء، يقع من منى تحت مطلع سهيل، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، ذكروا أنه كان في الجاهلية عامراً به نخيل وعيون، فأما في هذا العهد ففيه نخيل حديثة شارعة في الماء، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان به يوم من أيام العرب لضبة على بني كلاب، قال أوس ابن غَلْفَاء :

وقد قالت أمامةُ يوم غولٍ تقطـع يابـن غلفـاء الحبـال

وقال أعرابى من أهل تلك الناحية :

ألا ليت شعرى هَلْ تَغيَّرَ بعدنا معارفُ ما بين اللوى فأبانِ
وهل برح الريَّانُ بعدي مكانه وغول، ومن يبقى على الحدثان؟

إذا كنت متجهاً إلى جهة الشرقِ وأنت في غول، فإذا التفتَّ عن يمينك رأيت الكبشات والبكرات، كلها جبال، أما الكبشات فهى سود، والبكرات حمر، وهي من حدود حِمىَ أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي

الله عنه في شرقي الحمى، ثم اتَّسَع الحمى في خلافة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، ودخل فيه غول وطخفة والريان ومنى المذكورة ونفى، وهو حده الشرقي قف؛ وإذا التفتَّ على شمالك رأيت طخفة تبعدُ منك مسافةً أقلَّ من ساعتين، وهو جبل أحمر له شاهقة، وبه يوم من أيام العرب عظيم، وكان السبب فيه أن ردافة النعمان بن المنذر كانت في بني يَرْبُوع، فطلب حاجب بن زُرَارة من النعمان أن يجعلها في بنى مُجَاشع، فهمَّ النعمانُ بذلك، فأبىْ عليه بنو يَرْبوع، فقال له حاجب بن زرارة: أبعَثْ إليهم جيشاً، فإنهم لن يصبروا له، فبعث إليهم جيشاً برئاسة ابنه قابوس، ومعه حسان بن المنذر على المقدمة، فأتوا بني يربوع في طخفة وقد نُذِرُوا بهم، فالتقوا، وكانت معركة عظيمة، فضرب طارق بن عميرة اليربوعي فرسَ قابوس بن النعمان وأخذه ليجُزَّ ناصيته، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجَزُّ نواصيها، فقال: نُمنِّ عليك ونبعثك إلى أبيك، فمنّ عليه وبعثه إلى أبيه، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر بن عمرو الرياحي ثم منّ عليه وأرسله، فقال مالك بن نُوَيْرة اليربوعي في ذلك :

ونحن عَقَرْنا مهر قابوسَ بعدما ... رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دِلَاصٌ ذاتُ نسج وسيفُه ... جراز من الهنديِّ أبيض مقْضَبُ
طلبنا بها إنا مداريك قبلها ... إذا طلب الشاء البعيد المقرب

وقال جرير يعني هذا اليوم :

بطخفة جالَدْنا الملوك وخيلُنا ... جرين ببسطام بن قيس على نحب

وهذا الجبل ــ أعني طخفة ــ مشئوم، كثيرة فيه المعارك، وتلتجيء إليه اللصوص إذا أجرمت، وأنا أعرف في أوائل القرن الرابع عشر رجلاً يقال له «عمير البراق» نزل في أعلاها في موضع منيع، ومعه زوجته وابنان له : الكبير يقال له «غشام» قد حمل البندقية وأتقن الرمى، والثاني يقال له

«زبن» صغير السن في ذلك الوقت، وابنة له، وكان إذا طلع عليه الصبح تجهز هو وابنه غشام وأخذا بندقيتهما وذهبا يلتمسان الرزق، وكانت تلك السنة مجدبة، فكانا إذا وجدا بعيراً أخذاه، وإن وجدا غنماً أو بقراً ساقاه إلى تلك الهضبة، وشكا الناسِ أفعالهم وكان فيما شكوه منهم أنهم أكلوا الآدميين، فقد صح أنهم أكلو أربعةً، ثلاثةَ رجالٍ وامرأة[1]، فلما تم القضاء والقدر عليهما ذهبا كما كانا يذهبان، فاستاقا بقر أهل مسكة القريةِ الواقعة في الحمى في القرب من ضرية تبعد عنها مسافةً أقلَّ من يوم شماليَّ ضرية، فخرج أهلُ تلك القرية يطلبون البقر، فاقتصُّوا آثارها، حتى وجدوا الآثار تلج في طخفة، فعلموا أن الذي أخذها عمير وابنه غشام، وهم يعلمون طرق تلك الهضبة الشامخة في السماء، فولَجوا الطرقَ ليلاً، وأخذوا عليهم المسالك المؤدية إلى محلهم فقبل بزوغ الشمس أحسَّ بهم عمير، فأخذ بندقيته، فلما علموا أنه علم بهم ثارت البنادق بين الطرفين فقُتل عمير في حينه، وقَتَلَ ابنه غشام رجلاً من أهل مسكة يقال له الهاجري، فأسر أهلُ مسكة غشامَ بن عمير، وذهبوا به إلى بلادهمْ فقال مشاري الهاجري أخو الرجل المقتول: أن الذي قتل أخى هو غشام، وأسرَّ في نفسه أن يقتله من غير أن يستأمر قومه، فلما جن عليه الليل قتل غشاما، فثار رجال القرية فقالوا: تقتل رجلاً أسيراً بين أيدينا، قال: قتلت قاتل أخى، وأما عمير فسوقوا دِيَتَه، فانتهى بهم الأمر على أن ساقوا دية عمير، فدفعوها لابنه الصغير وقبيلته.

وفي تلك الهضبة جرت معارك كثيرة في الإسلام، فالأكثر من المواضع التي نمر عليها في كتابنا هذا إذا وجدنا موضعاً فيه يوم من أيام العرب في الجاهلية وجدنا به يوماً في الإسلام في الموضع نفسه.

---

(١) لم نسمع بمثل ذلك، فلعلها ـــ المبالغات التي يقحمها رواة الخبر أو لعلها من الشواذ، والله أعلم.

وأما الرجام فهي واقعة بين غول ومنى وطخفة، وهي هضبات صغار على رءوسها حجارة متصل بعضُها ببعض، وفيها أبارق، وهي بين السواد والحمرة، ولاتزال باقيةً بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد، فقد وقع في اسمها تغيير حيث أبدلوا الراء لاماً فسميت اللجام، وسألت شيخاً من أهل تلك الناحية فقلت: أن هذه الهضبات الصغار كانت تسمى في الجاهلية الرجام وذلك لأنها فيما يرى الناظر رجوم مبنية في رؤوس الهضاب، وهي تسمى الآن «اللجام» فما السبب؟ قال: إن هذا صحيح فإن مشايخنا يعرفون أنها الرجام، ولكن في هذا العهد جاء رجل منا وقال: مَنْ سمى هذه الهضاب الرجام فقد أخطأ، لو أنه سماها اللجام، فقد سدت الطريق النافذ بين طخفة وغول كما يسد اللجام فم الفرس، فتغلب هذا الاسم، وبقي إلى هذا العهد، وفي هذا الموضع نزل جيش لأبى بكر أيام الردة قاصداً عمان، وشربوا من ماء غول، وبه يوم من أيام العرب في الجاهلية، وبه يوم بين حرب وعتيبة في القرن الرابع عشر قريب النصف منه، وفيه انهزم العتبان، قال شاعر من بني عامر: الرجام

وطخفة ذلت والرجام تواضعت وأدعقن حتى مالهن جنان

أدعقن(١) : وطئن قال الضبابي عن الأصمعي:

وغول والرجام وكان قلبي يحب الراكزين إلى الرجام

وقال الراجز:

كأن فوق المتن من سَنَامها عنقاء من طخفة أو رجامها

*** مشرفة النِّيقِ على أعلامها ***

---

(١) اختلف علماء اللغة في «أدعقن» فقال الأصمعي: لايقال أدعقن ــ بالهمز ــ وإنما يقال دعقن ــ بغير همز، وقال غيره: دعقن وأدعقن، لغتان.

النيق: هي أعلى الشواهق من الجبال، وقد عرفت أن هذا الموضع يسمى في هذا العهد اللجام.

الريان أما الريان: فهو وادٍ بين طخفة وغول، يتجه إلى جهة الشرق جاعلاً الرجام على شماله حتى يصب في وادي الرمادية، وهذا الوادي غير وادي الرمادية الواقع في طريق السيارات بين وادي طينان ووادي الرشا.

ووادي الريان معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، لم يتغير منه حرف واحد، أما الأودية[1] المسماة بهذا الاسم فهي كثيرة: منها واد يصب من جبل ثهلان ويجتمع بوادي الشعراء، وهو الذي قال فيه جرير:

ياحَبّذَا جبلُ الريان من جبل   وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا
وحبـذا نفحـاتٌ من يمانيـةٍ   تأتيك من قِبَلِ الريَّانِ أحيانا

ووادي الريان أيضاً: يصب من جبل قريب معدن بنى سليم، كان الرشيد ينزله إذا حج، وبه قصور، وقال الشريف الرضي في ذلك:

أيا جَبَلَ الريَّان أن تَعْرَ منهمُ   فإنى سأكسُوكَ الدموعَ الجواريَا
وياقُرْبَ ما أنكرتمُ العهدَ بيننا   نسيتُمْ فما استودعتم السرَّ ناسيا
فياليتنى لم أعْلُ نَشْزا إليكمُ   حَراما، ولم أهبط من الأرض واديا

والريان: اسم لأطُمٍ من آطام المدينة، وهو الذي قال فيه شاعر مدني:

لعل ضرارا أن يعيش يسـاره   وتسمع بالريان تبنى مشاربـه

وهناك وادٍ بالقرب من ضَرِية في نفس الحِمىٰ يقال له الريان، وهو الذي عنته الشاعرة بقولها:

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٦.

ألا قَاتَل الله اللِّوى من محلة ... وقَاتَل دنيانا بها كيف وَلَّتِ
غَنِينَا زمانا بالحِمىٰ ثم أصبحت ... بُرَاق الحمى من أهله قد تَخَلَّتِ
ألا مالعينى لاترى قُلَلَ الحِمىٰ ... ولا جَبَلَ الريان إلا استهلَّتِ

وأما الذي عناه لبيد فهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد بين طخفة وغول ومنية، وهو الذي قال فيه الراجز:

خليـــة ألوانهـــا كالطيقـــان ... أحمى لها الملك جنوب الريان
وكـــبشات فجنوبـــى انسان

وكبشات: قريب هذا الوادى المذكور.

★ ★ ★

٢ ـــ وقال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا ... وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا
مِنْ كل سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ ... وَعَشِيَّةٍ مُتَجَـاوِبٍ إِرْزَامُهَـــا
فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ ... بِالْجَلْهَتَيْـن ظِبَاؤُهَـــا وَنَعَامُهَـــا

الأيهقان : نوع من النبات، وقد غلط من قال: إنه موضع[1].

الجلهتان: جنباتُ كل وادٍ يقال لها: جلهتان، وما ارتفع من الأرض ارتفاعاً ليس بالكبير يقال له: جلهة، ولا أعلم موضعاً يقال لها الجلهتان، قال في معجم[2] البلدان: إن أبا زياد الكلابي قال: الجلهتان مكانان بالحمى حمى ضرية، وأورد بيت لبيد شاهداً، وأنا لاأعرف موضعاً في **الجلهتان**

(١) ومما يؤيد أن «الأيهقان» نبت كما قلنا أنه يروى «فاعتم نور الأيهقان» واعتم: ارتفع والنور ـــ بفتح النون وسكون الواو ـــ النوار، و«فروع الأيهقان» في روايتنا يروى مرفوعاً ويروى منصوباً على معنى علا السيل فروع الأيهقان، والرفع أجود، ومعناه ارتفعت فروع الأيهقان وطالت.

(٢) انظر المعجم ١٣٠/٣.

حمى ضرية يقال له: الجلهتان، والذي أعرفه بما يقرب من هذا الاسم موضع يقال له «الجلوه» معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، ولايزال إلى هذا العهد يعرف بالجلوه، واقع بين نفود السر ونفود قنيفذة، إذا خرج السالك على طريق السيارات من مكة إلى الرياض من نفود السر .. فهو على يمينه، حتى يجيز كثيب قنيفذة، حدودهُ الجنوبية ماء الأنجل، وهو ماء كثير بين أكْثبة مرتكمة، ماؤه مر، واسمه في الجاهلية النجيلة، قال في معجم[1] البلدان: إن النجيلة وادٍ بين اليمامة وحمى ضَرِية، وهذا واقع بين اليمامة وحمى ضرية، ولكنه تحديد بعيد الأطراف، ويلي ماء الأنجل في جهة الجلوه الجنوبية جبيلٌ صغير يقال له المضباعة يعرفه جميعُ أهل نجد، ولها ذكر في كلام العرب، قال الشاعر:

فالجزع بين ضباعة فرصافة   فعوارض جو البسابس مقفرا

ومياهه الجنوبية: دلقان، وسديرة، ماءة قديمة جاهلية، وهي لبني قشير في الزمن القديم،.

قال شاعر منهم :

تسائلني كم ذا كسبت ولم أكَد   بنفسيَ من يوم السديرة أفْلِتُ

والمياه الواقعة في حدوده الغربية: حلوان، والطويلة، والعجرمي، أما حلوان: فله ذكر في أشعار العرب غير أنه غلب عليه ذكرُ حلوانِ العراق، فاضمحل ذكر هذا.

ومياه الجلوه الشرقية : تبراك، وهو ماء قديم جاهلي، موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الذي ذكره جرير في شعره حين قال[2]:

إذا جلست نساء بني نُمَيْرٍ   على تبراك خبثن الترابا[3]

(١) انظر المعجم ٨/٢٧٠.

(٢) معجم البلدان ٢/٣٦٠.

(٣) في المعجم «نساء بني عمير».

وهو الذي قال فيه ابنُ مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة وحيًّا بِهَبُّود جزى الله أسعُدَا
وحيًّا على تبراك لم أر مثلهم رجاً قطعت منه الحبائل مفردا
بكيت بخُصْمَىْ شَنَّةٍ يوم فارقوا على ظهر عجاج العَشِيَّاتِ أجردا

وهو الذي قال فيه أبو كدراء رزين بن ظالم العجلي :

أرى الله نَجَّاني وصَدَّق بعدما خشيت على تبراك أنْ لا أصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لاغب سُرَى طيلسان الليل حتى تمزقا

وقال شاعر من بني نُمَير :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبراك فَشَسَّىْ عَبْقَرِ

والأباتر التي ذكرها ابنُ مقبل: أُكثبةٌ واقعة شماليَّ قنيفذة على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم يقال لها البتر إلى هذا العهد ويلي تبراك ماءة حديثة يقال لها «مشاش الرخمان».

ومياه الجلوة الشمالية كلها قديمة قد دَرَست، ولكن عُثِر عليها فبُعِثت في صدر القرن الرابع عشر، فإذا هي آبارُ منحوتة في الصفا طولُها من ثلاثين باعاً إلى خمسة وعشرين باعاً كأنها من النحائت العادية، ملؤها عذب، وحدها الجنوبي بئر يقال له «سامودة» ويليها بئر يقال لها «البديعة» وحدودُها الشمالية آبار كثيرة يقال لها «البعائث» واقعة في روضة كبيرة، وهذه الآبار حماها صاحبُ الجلالة الملك عبدُ العزيز آل سعود لخيله، وهي الآن معروفة في تلك الناحية باسم «الحمى» وجميعُ الجلوه التي ذكرنا واقعة بين كثيب السر وكثيب قنيفذة، إذا خرجت من نفود السر قاصداً مراة فهي على يمينك، فإذا قطعت قنيفذة خَلَّفْتها، ومعظَمُها جنوبي طرف قنيفذة الشمالي.

★ ★ ★

٣ ــ وقال لبيد :

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا   فَتَكَنَّسُوا قُطُنـاً تَصِرُّ خِيَامُهَـا
زُجَلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا   وَظِبَـاءَ وَجْـرَةَ عُطَّفـاً آرامُهَـا
حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كأَنَّهَا   أجْزَاعُ بِيشَةَ أثْلُهَا وَرِضَامُهَـا

توضح: قد مضى الكلام عليها في معلقة[١] امريء القيس .
ووَجْرَة: قد مضى الكلام عليها في أشعار[٢] امريء القيس في كتابنا هذا.

بيشة أما بيشة فقد ذكرناها في مواضع كثيرة من كتابنا هذا عند ذكر تبالة وهي وادٍ عظيم كثير النخل والزروع والكروم يصب من الحجاز متجهاً إلى جهة الشرق، به مأسَدَة لها ذكر في أشعار العرب؛ وكان يسكنها في الجاهلية من العرب: خثعم، وهلال، وسواءة بن عامر بن صَعْصَعة، وسلول، وعقيل، والضباب، وقريش، وفي هذا العهد يقيم فيها قبيلتان، وهما: بنو سلول، وبنو معاوية، ولهما فيها مدينتان: مدينة بني سلول يقال لها: الروشن، ومدينة بني معاوية يقال لها: نمران، وقُرَاها كثيرة، وبها سوق عظيمة يجتمعون فيها في آخر يومِ الأربعاء، ثم يبتدئون صبح يوم الخميس ويستمرون إلى منتهى ذلك اليوم، وهذا الموضع باقٍ إلى هذا العهد، ووادي بيشة يُقَارِع وادي بيش، فوادي بيش يصب في تهامة مغرباً، ووادي بيشة مشرقاً، وأعرابُ أهل تلك الناحية يسألون الرعاة: أين رعيتم؟ فيقولون: ضحينا في وادي بُيُشْ، وعشينا في وادي بيشة، تجتمع سيولها أعنى بيشة بسيل وادي رنية، وتنتهى في موضع يقال له «رغوة» غربي الهضب، وقد أكثر الشعراء من ذكر بيشة بَلْهَ لبيد، قال السمهري:

(١) انظر ص ٤٣ من هذا الكتاب
(٢) انظر ص ٤٨.

وأنبئت ليلى بالغريين سلّمت عليّ ودوني طخفَةٌ ورجامُهَا
فإن التي أهْدَتْ على نأي دارها سلاما لَمَرْدُودٌ عليها سَلَامُهَا
عديد الحصى والأثل من بَطْن بيشةٍ وطَرفائها مادام فيها حمامها

وهي من أكبر أودية الحجاز الجنوبية، ويجاورها من الجهة الشمالية: وادي تَبَالة، ثم وادي رنية، ثم وادي تربة، كل هذه الأودية عظام واقعة بين الحجاز واليمن، ويليها من الجهة الجنوبية مقاطعة «أبها» وما حولها، وهي مساكن أزْدِ السَّراة في الجاهلية، وبقايا عسير اليوم من بقايا الأزد، وجميعُ الجهات اليمانية لها أسواق معروفة، كلُّ مقاطعةٍ تنتقل من مكان إلى مكان وهذه الأسواق تبتدىء بالسبت وتنتهى بالجمعة، وفي كل يوم سوق في جهة من تلك المقاطعة للاتجار والبيع والشراء، فإن مرّ موضع من تلك المواضع في شعر وضَّحنا جهته وسكانه، فإن من شروط كتابنا ألا نذكر من المواضع إلا ماورد ذكره في شعر، فلولا ذكر بيشة في شعر لبيد لما ذكرنا شيئاً من ذلك، وبيشة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٤ ــ وقال لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوار وَقَدْ نَأتْ وَتَقَطَّعَتْ أسْبَابُهَا، وَرِمَامُهَا[١]
مُرِّيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدَ، وَجَاوَرَتْ أهْلَ الْحِجَازِ فَأيْنَ، مِنْكَ، مَرَامُهَا؟

---

(١) قلت، قال النحاس: نوار هنا اسم امرأة، والنوّار: النفور من الوحش. والرمام جمع رُمَّة، وهي القطعة من الحبل الْمُخلِقَة. والمعنى: ماتذكَّرُ من نوارَ، وقد تقطع جديد وصلها وقديمه.
ومُرِّيّة منسوبة إلى مُرّة بن عوف من ذبيان. انظر: شرح القصائد العشر، صنعة الخطيب التبريزي/ص ٢١٢ تحقيق د/فخر الدين قباوة. دار الأصمعي، ط ١٣٩٣/٢هـ.

وقد غلط أناس كثير في هذا البيت في الشطر الأخير منه، والصحيح روايته هكذا:[١]

مُرِّيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا؟
بمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّرٍ فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا
فَصُوَائِقٌ إنْ أَيْمَنَتْ فَمظِنّةٌ مِنْهَا وِحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا

الجبال — الجبالُ: أراد بها جبال طيىء، والمشهور منها أجأ وسلمىٰ، وقد مضى ذكرهما.

فيد — وأما فَيْدُ: فقد مضى ذكره في شعر زهير[٢]، وهو واقع بمشارق جبلى طيىء أجأ وسلمى، وقد تحرينا تحديده في شرح قول زهير:

ثم استمرُّوا وقالوا: إن مَشْرَبكم ماء بشرقِّي سلمىٰ فَيْدُ أو رَكَكُ

محجر — وأما محجر: فهو موضع مشهور، وقد تقدم الكلام عليه في أشعار امريء القيس[٣]، وأشعار زهير، وهو واقع بين شُعَبىٰ وعريق الدسم، تنحجر فيه سيول شعبى، ويسمى اليوم «الحجرة» هذا هو المعروف عند عامة أهل نجد.

فردة — وأما فردة التي عناها لبيد فهي باقية على هذا الاسم إلى هذا العهد، وأنا أعرف بهذا الاسم ثلاثة جبال صغار، كلّ واحد منها يسمى فردة، وهي باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما أحدها فواقع في بلاد طي منفرد من الجبلين أجأ وسلمىٰ، ويروى أن زيد الخيل لما قَفَل من عند رسول الله ﷺ بعد أن أسلم ووصلها أخذته الحمى، فأقام ثلاثة أيام، عند حى من جرم، فلما أحسّ بالموت قال :

أَمُطّلِعٍ صَحْبِى المشارقَ غدوةً وأُتْرَكُ في بيت بفَرْدَةَ منجد
سَقَى الله ما بين القفيل فطابةٍ فما دون أرمام فما فوق منشد

(١) ذكر التبريزي في شرح المعلقات ــ بعد أن روى البيت بالرواية الأولى ــ انه يروى على ماذكرنا أنه الصواب.

(٢) انظر ص ١٦١ و ٢٠١ من هذا الكتاب

(٣) انظر ص ١٣٧ من هذا الكتاب

هنالك إني لو مرضتُ لعادَني عوائد من لم يشف منهنَّ يجهد
فليت اللواتي عُدْنَنى لم يَعُدْنَنِى وليت اللواتي غِبْنَ عنيِ عُوّدى

والمشارق التي ذكرها زيد الخيل هي مشارق الجبلين التي ذكرها لبيد.

وفردة الثانية مما أعرفه هي التي عناها لبيد، وهي واقعة على ضفة الجريب الجنوبية الشرقية في معراجه إلى جهة الرمة تاركاً جبال المضيَّح على يمينه، فإذا أنت قطعت جبال المضيّح فانظر فردة فهي هضبة حمراء شاهقة إلى السماء عن يمين الجريب، وسميت فردة لانفرادها من جبال المضيح، وهي التي عناها الراعي بقوله:

عجبت من السارين والريح قُرَّةٌ إلى ضوء نارٍ بين فردة فالرحا
إلى ضوء نارٍ يَشْتَوِي القد أهْلُهَا وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى

وفردة الثالثة: هضبة صغيرة بين جبلى ذقانين، وهي في عالية نجد الجنوبية.

وفردة التي مَرَّ ذكرها، والتي عناها لبيد، واقعة في عالية نجد الشمالية، وفردة الأولى: واقعة بالقرب من جبلي طيىء، هذا الذي أعلمه بهذا الإسم في نجد.

وأما تهامة: ففيها جبال كثيرة بهذا الاسم ذُكِرَتْ في غَزَوَات رسول الله ﷺ وسراياه، ولها ذكر في أشعار شعراء تهامة. تهامة

ثم إني بعد أن انتهيت من ذكر فردة وتحديد أماكن ثلاثة أجبل يسمى كل واحد منها فردة عثرت على جبلين آخرين يسمى كل واحد منهما فردة؛ الأول : جبل منقطع من جبلة المعروفة في عالية نجد يقال له «فردة جبلة» الثاني: جبل منقطع من جبل اليمامة مما يلي الأفلاج قريب «الجويفا» الطريقِ السالكِ إلى وادي الحمر ثم السالك إلى الأفلاج، ويقال له «فردة الجويفا».

وأما الجبال التي يقال لها «الفريدة» فهي كثيرة في عالية نجد: منها فريدة دمخ، وهو الجبل المشهور الذي قد مرّ ذكره في أشعار امريء القيس عند ذكر غرور، ومنها فريدة شعر، وهي التي إذا توجَّهْتَ من عفيف قاصداً الرياض، وسرت ربع ساعة على ظهر سيارة، ثم انعرج بك طريق القصيم فإنك تجد شعرا على شمالك، يمر به ذلك الطريق، وهو جبل أسود به ماءة يقال لها «الأشعرية» تقف السيارات عندها أو قريباً منها، وهذه الفريدة هي التي ذكرها فيحان بن ثمر الرقاص من الروقة في قصيدة له نبطية، وقد أغار جلالة الملك عبد العزيز على الحفاة الذين منهم هذا الشاعر وأخذ إبلهم وهم قاطنون على «سجا» الماء المعروف في عالية نجد، وكسرت رجلُ ذلك الشاعر عند إبله وحُمِل إلى بلد الشعرا، وبقي بها ينتظر برأه، فتذكر أهلَه وأوطان قومه، فقال قصيدة نبطية مشهورة منها:

ترحّلوا من ديرة المُدْ والصَّاعْ ... دار بَخِيله مير أهلها مشاكيل
تقللن الصبح والْفَيْ قد راع ... والعصر يم الخنفسية مخاليل
عدوا فريدة شعر حيث أنه أسناع ... وإن كان ماشفتوا فمد واد رابيل

ومنها فريدة الانكير، وفريدة مجيرة، وفريدة أبو دخن، ولكن هذين الموضعين يفردان ويجمعان فيقال: فرايد، وفريدة أبو دخن، وفريدة مجيرة. قال رجل من أهل القويعية، وقد حل في بلد الشعراء مريضاً، ولم يكن يحب أن يموت في بلد الشعراء ويقبر فيها، وإنما كان يحب أن يموت في بلد القويعية ويقبر بها:

إن مت مروا بى فرايد مجيره ... وتنحروا بى دار وضاح الأنياب
ثم اقبروني في منازل منيره ... شرق عن البركة وغرب عن الباب

وفي الحمادة جبل يقال له «الفريدة» بين بلد القصب وبلد الْحُرَيّقْ، بين نفود الوشم وجبل طويق شمالي اليمامة، وهناك جبل منقطع من جبل الأكموم يقال له «الفريدة، فريدة الأكموم» وقد قال مصنف هذا الكتاب

قصيدة نبطية لما استعاضت العرب ركوب السيارات من ركوب الإبل، قال فيها:

أثر ركب البكس في الدار البعيدة عندى أحسن من ركوب الموجفات

إلى أن قال :

ينشرون الصبّح من خشم الفريدة حقت الأكموم والممسى مرات

ورخام: جبل أحمر، وكأن أعلاه مطلي برخام، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، واقع في بلاد غطفان في جهة أبلى الشمالية الشرقية، على ضفة وادٍ يقال له «الركو» وهذا الوادى يَتَّجه سيله مُغَرِّباً حتى يصب في الشعبة، وسيلُ الشعبة يتجه إلى عقيق المدينة فيصب فيه، ثم تتجه سيول تلك الأودية وتصب في وادي الحمض حتى تصب في البحر الغربي، إذا كنتَ في طرف كشب الشمالي الشرقي منه فانظر جبل رخام هنالك يطلع عليه القطب الشمالي، وجميع الجبال المحيطة به سود إلا جبل رخام فإن أعلاه أبيض يقع غربيَّ هضب «شَرَوْرَى» الذي يسميه الناسُ اليوم «هضب الشرار» والذي يقع بين جبل كشب وأبلىٰ وحرة بنى عبد الله بن غطَفَان التي في شرقيها صفينة والسويرقية القُرَى المعروفة بهذه الأسماء في عهدنا هذا، وأغلب أسمائها جاهلى، ورُخام: يُعَدُّ من الجبال الواقعة في أعالي بلاد غطفان، وهو ــ كما قلنا ــ لايزال باقياً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا. رخام

وصُوَائق: جبال حجازية واقعة بين بلاد هُذَيل وبلاد بني سليم وبلاد الرُّوقة، تقع شماليَّ وادي نخلة الشامية، وقد يُظَن أن صوائق التي حددناها غيرُ التي عناها لبيد، وذلك لأن لبيدا يقول: صوائق

فصُوائق إن أيْمَنَتْ فمظنة منها وحافُ القهر أو طِلْخامُهَا

والمعروف أن وحاف القهر واقع في اليمن، وصوائق التي حَدَّدناها حجازية باقية إلى اليوم على هذا الاسم تعرف به، ولكن ياقوتاً الرومي يذكر في معجم البلدان[1] عن أبي زياد : أن القهر في أسافل الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف. وقد أكثر الشعراء من ذكر صوائق هذه، وهذا لبيد يقول في قصيدة أخرى:

أقْوَى فُعرِّى واسط فبــــرام من أهله فصُوَائـق فحـــرامُ

وصوائق في هذا البيت هي صوائق الحجازية بغير شك، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكرها قال أبو جندب الهذلي :

وقد عصبت أهل العَرْج منهم بأهـل صُوَائـق إذ عصبونـــي

ويقع كثيراً في أشعار العرب أن أحدهم إذا ذكر صوائق ذكر معها برام، وبرام جبل به مياه مشهورة بهذا الاسم عند أهل المدينة وباديتهم، يقع قريب النقيع، ذكروا أنه جنوبى المدينة على مسافة عشرين فرسخاً، وقد ذكر الزبير بن بكار أودية العقيق، وقال في كلامه: ثم قلعة برام، وفيها يقول المحرق المزنى، وهو ابن أخت مَعْن بن أوس المزنى المشهور[2]:

وإني لأهوى من هوى بعض أهله براما وأجزاعـــا بهـــنَّ برامُ

وذكروا أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي قد أغار على هوازن وهم في وادي برام فسَبَى منهم سَبْياً، فقصده أبو بَرَاء عامر بن مالك مُلَاعب الأسنة، فطلبهم منه، فأطلقهم له وكساهم، فقال أبو براء:

إلم ترني رحلت العيس يوماً إلى أوس بن حارثة بن لام
إلى ضخم الدسيعة مَذْحِجِيّ نَمَاه من جديلة خيرُ نَامِ

---

(١) المعجم (١٩٠/٧).

(٢) انظر معجم البلدان ١٠١/٢.

وفي أسرى هوازِن أدرَكْتهُمْ فوارسُ طيىء بلوَى برام
تَقَرَّبَ ما استطاع أبو بجيرٍ وفَكَّ القوم من قبل الكلام
فما أوس بن حارثة بن لام بغمر في الحروب ولا كَهَامِ

وذكروا أن عبد الله بن الزبير لما تغلب على الحجاز نفى من المدينة مَنْ كان بها من بني أمية، وكان فيهم أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة ابن أبي مُعَيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فلحق بالشام، فحنّ إلى أوطانه، فقال أشعارا يتشوق إلى تلك الأوطان منها:

ليت شعرى وأين منى ليت أعَلَى العهد يَلْبن فبرام؟
أم كعهدي العقيقُ أم غَيَّرَتْهُ بَعْدِىَ الحادثاتُ والأيام؟
وبقومى بُدِّلْتُ لَخْماً وعكًّا وجُذَاما، وأين مني جُذَامُ؟
وتبدلْتُ من مساكن قومى والقصور التي بها الآطامُ
كل قصر مشيد ذي أواس يتَغَنَّى على ذَرَاهُ الحَمَامُ
اقر منّى السلامَ إن جئت قومى وقليل لهم لَدَىَّ السَّلَامُ
أقْطَعُ الليل كلَّه باكتئابٍ وزفير فما أكادُ أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا ر وحادثْ عن قصْدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عَنَتُ الدهـ ـر وحربٌ يشيب فيها الغلام
ولقد حان أن يكون لهذا الـ ـبعد عنَّا تباعُد وانصِرَامُ

فبلغت هذه الأبيات وغيرها من شعره عبدَ الله بن الزبير فقال: حن أبو قطيفة إلى وطنه، مَنْ رآه فَلْيُبْلغه عنى أني قد أمنته، فليرجع ثم رجع فمات قبل أن يبلغ المدينة.

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي على ذكر برام وقد آجاد حين قال.

لقد أحميت ذات الروض حتى تَرَبَّعَهَا أدَاحِىُّ النعام
يسيّر بين خطم اللوذ عمرو فلوذ القارتين إلى برام
فصفح حبونن فخليف صبح فنخل إلى رنين إلى بشام

وَبِرَام الذي قَرنَه الشعراء بصُوَائق قد قرنوه بمواضع أخر موجودة إلى هذا العهد على أسمائها منها «خليف صبح» وقد غلط فيه كثير من أهل المعاجم بقولهم إن صبحا موضع «أما الخليف» المذكور فهو مخلاف على واد لقبيلة يقال لها صبح في نواحي المدينة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهم بطن من حرب يقال لهم صبح، وصبح: تتفرع إلى بطون كثيرة.

وأما نخل فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على أشعار زهير، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد حددنا مكانه على قول زهير.

تَرَبَّصْ فإن تُقْوِ المروراة منهم وداراتها لاتقو منهم إذا نخل

ورنين، وبشام: باقيان على اسميهما هذين إلى هذا العهد، وهما واقعان جنوبيَّ المدينة، وإنما أطلنا في ذكر برام لأن الشعراء يذكرونه مع صوائق في مواضع كثيرة، وصوائق التي ذكرها لبيد في قوله :

أقوى فَعُرِّىَ واسط فبرام من أهله فصوائق فحرام

حجازية كما قلنا: برام، وصوائق، وحرام، جميعُ تلك المواضع حجازية معروفة بهذه الأسماء إلى هذا العهد، كلها جبال، صوائقُ بين حدود هُذَيل وسليم، وحرام وبرام مما يلى المدينة قريب وادي النقيع.

وقد تكون صوائق التى ذكرها لبيد في معلقته حيث يقول:

فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القهر أو طلخامها

هي صوائق الحجاز، إن صح كلام ياقوت الذي ذكرناه، وقد تكون موضعاً آخر غير صوائق الحجاز، ولكني لم أعثر عليه بهذا الاسم إلى هذا العهد ووجْهُ هذا أنه قرنَهَا بالقهر وبطلخام.

القهر

فأما القهر المشهور فهو معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهي جبال في بلاد عبيدة بطنٍ من قَحْطان بها معدن بارود، وأهل نجد كلهم يعرفونه، وشعراء بني عامر بن صعصعة يذكرونه، قال مزاحم العقيلي[1] :

أتاني بقرطاس الأمير مغلس ... فأفزع قرطاسُ الأمير فؤاديا
فقلت له: لامرحبا بك مُرْسَلا ... إليّ ولا لَبَّى أميرك داعيا
أليست جبال القهر قعسا مكانها ... وعروى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبى أن تُعَدَّ ببابه ... وما قد أزلَّ الكاشحون أمامِيَا
ولا أستريم عُقْبَة الأمر بعدما ... تورط في يهماء كعبي وساقيا

وقال خِداش بن زُهَير في ذكر القهر :

فيا أخوينا من أبينا وأمنا ... إليكم إليكم، لا سبيلَ إلى جسر
دَعُوا جانبى إنى سأنزل جانبا ... لكم واسعا بين اليمامة والقَهْرِ
أبى فارس الضَّحياء عَمْرو بن عامر ... أبىٰ الذمَّ واختار الوفاء على الغدر

وربما دلَّ على أن القهر الذي ذكره لبيد واقع في بلاد قَحْطان، في الجهة اليمانية، قولُ لبيد «إن أيمنت» فقد جعل القهر يمانيا، وهو واقع في بلاد قحطان والقهر معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومعدن البارود الذي بها: معروف بقوة انتزاعه من البندقية وإصابته للفريسة، وفي ذلك يقول شاعر أعرابى في أبيات له نبطية، وهو شاعر معروف عند عامة أهل

---

(١) مزاحم العقيلي، قلت: هو مزاحم بن الحارث، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث (نحو ١٢٠هـ).. من عامر بن صعصعة شاعر غزل بدوي. وهو شاعر ممتاز لم يأخذ نصيبه من الدرس لدىٰ المعاصرين. كان في زمن جرير والفرزدق، وسئل كل منهما أتعرف أحداً أشعر منك، فقال الفرزدق: لا، إلّا ان غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل: وينعت الفلوات فيجيد. وأجاب جرير. بما يشبه ذلك. وقيل لذي الرمة. أنت أشعر الناس، فقال لا، ولكنْ غلام من بنى عقيل يقال له مزاحم، يسكن الروضا يقول وحشياً من الشعر لايقدر أحد أن يقول مثله: الاعلام ج ٨/١٠٠.

نجد يقال له: مخلد القثامي من قبيلة القثمة:

يالايمى يضرب على حَدّ الْبَهُرْ يأخذ إلى حوْله صوابه مجيفي
بمثومْنن حاديه خفان وأغْشَرْ وملح القهر وابواردى ظرِيف

المثومن : نوع من البندقيات كان مستعملاً في زمن ذلك الشاعر، والخفان : نوع من الكبريت الذي يخلط به البارود، والعشر : الفحم من العشر وهو الذي يصير البارود أسوداً، والملح: هو أصل البارود.

والقهر: يقرن في أشعار العرب في كثير منها بعروى. وعروى: موضع معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، وقد تقدم في الشواهد التي ذكرنا على القهر بيت شعر لمزاحم العقيلي ذكر فيه القهر وعروى وهو قوله:

أليست جبال القهر قعسا مكانها وعروى وأجبال الوِحاف كما هيا

وعروى: منقطعة من عرض ابني شمام غرباً قريباً منه، وهو واد عظيم كثير المياه، جاهلي، استنبطه قوم من عتيبة من المقطة والنفعة يرأسهم ابن حميد المقاطي، وهي اليوم بلد بها نخل وزرع وعليها جبل مطل على بطن هذا الوادي شاهق إلى السماء، يقال له «عروان» يتصل به في جهته جبيلات صغار يقال لها «عريويات» ويشمل تلك الناحية واديَهَا وجبالَهَا اسْمُ عروى. وهذا الاسم يطلق على تلك الناحية، وهو اسم قديم جاهلي، وهو باقٍ إلى هذا العهد، وهي واقعة في بلاد بنى كلاب بن عامر بن صعصعة. وقال خديج بن العَوْجاء النصري[1]:

بمَلْمُومَةٍ عَمْياء لو قَذَفُوا بها شماريخ من عروى إذا عاد صفصفا

(١) انظر المعجم ١٦١/٦.

وقال ابن مقبل :

يادار كبشة تلك لم تتغير بجنوب ذي بقر فحزم عصنصر
فجنوب عروى فالقهاد غشيتها وَهْناً فهيج لي الدموع تذكري

أما ذو بقر الذي ذكره ابن مقبل فهو وادٍ معروفٌ بهذا الاسم قريبَ مُتَقْطَعِ جبلِ اليمامة في جهته الشمالية، والقهاد التي ذكرها مع عُرْوى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد جنوبي عروى، وبين بلد الرويضة وبلد الروضة هضبات يقال لها القهاد إلى هذا اليوم.

طلخام أما طلخام: فلا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم أويقاربه إلا موضعين: أحدهُما: جبلٌ في بلاد طي لبني شَمَجىٰ في الزمن القديم، وهم بطن من طي، يقال له «طخام» ليس به لام، وهو بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو غير الذي عناه لبيد، الثاني: يوجد على ضفة وادي الجريب الشمالية هضبة سوداء شاهقة إلى السماء، ويليها هضبة صغيرة، وحدثني شيخ من أعراب تلك الناحية يقال له فراج بن طويق من الحفاة، وهذا الشيخ وهو والد سويد بن طويق الرجل المعروف الذي لم يهلك إلا قريب النصف من القرن الرابع عشر، قال : إني أعرف أن هذه الهضبة الكبيرة السوداء كان يقال لها طلخام، والهضبة الصغيرة كان يقال لها طليخيم، تصغير طلخام، ثم إن القوم سمو الهضبتين معاً «طخفات» عوضاً عن طلخام، وهذه الهضبات الواقعة على ضفة الجريب الشمالية هي طلخام الذي ذكره لبيد، وهي اليوم تعرف عند عامة أهل نجد بطخفات، وأنا لم أجد في كتب المعاجم لطخفات ذكرا، وهذا دليل على أن هذا الاسم كما حدثني فرّاج بن طويق، وماءة الغثمة تقع جنوبي طخفات هذه على مسافة أقل من مسافة نصف يوم، والذنائب المعروفة من الدفينة تحت مطلع القطب الشمالي، وهي من طلخام المعروفة اليوم بطخفات تحت مظهر سهيل على مسافة يوم، وليس في عالية نجد جبل يسمى طخفة، وله ذكر في كتب المعاجم إلا طخفة المشهورة التي بين ضرية ونفى.

★ ★ ★

٥ ــ وقال لبيد يصف راحلته :

فَلَهَا هِبَابٌ في الزِّمَامِ كأنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجنُوبِ جَهَامُهَا
أوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاَحَهُ طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا
يَعْلُو بِها حَدَبَ الإكامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصيَانُهَا وَوِحَامُهَا
بِأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبأُ فَوْقَهَا قَفْرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

الثلبوت الثلبوت: واد يكنفُهُ آكام سود بين قطن وجبال الموشم والحاجر، سيل ذلك الوادي يصبُّ في الرمة، تسكنه بنو عَبْس من غطَفان، وهو واقع بين بلاد أسد وبلاد غطفان، قال الحطيئة[١]:

ألم تر أن ذبيانا وعَبْساً لباغى الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجربان ونحن حيٌّ بَنُو عَمٍّ تجمعنا صلاحا
منعنا مَدْفَعَ الثلبوت حتى نزلنا راكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا

وقال مرة بن عياش بن عم معاوية بن خليل النصري ينوح على بني جذيمة بن نصر:

ولقد أرى الثلبوت يألف بينه حتى كأنهمُ أولو سلطان
ولهم بلادٌ طالما عُرِفَتْ لهم صحنُ الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكُم أن الأجيفر قسمه شطران

انظر إلى هذه الأبيات الأخيرة فقد ذكر السبعان وذكر الأجيفر، والأجيفر تصغير الأجفر والسبعان والأجفر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد، وموقع السبعان من الثلبوت شمالاً على مسافة يومين، والأجفر من السبعان في جهته الشرقية على مسافة يوم ونصف، والسبعان موقعه قريب

---

(١) انظر معجم البلدان ٢١/٣.

سَلْمىٰ الجبلِ الثاني من جبلَيْ طي؛ ويلي الثلبوت موضع يقال لها الثُّلَيْبيت، وهما باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفهما بعضُ سكان قرى الجوى، وقد أخذ هذا الاسم يذهب عند أكثر أهل نجد، وهو كثير في أشعار العرب، وذكروه في معاجمهم.

★ ★ ★

٦ ــ وقال لبيد :

حَتَّى إذَا انْحسَرَ الظَّلَامُ وأسْفَرَتْ   بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثرَى أَزْلَامُهَا
عَلهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صُعَائِدٍ   سَبْعاً تُؤَامًا كَامِلًا أيامُهَا

صُعَائد: موضع معروف واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني سليم، من الفاصلات بين الحجاز ونجد، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال الشاعر[1] صعائد

وتطربت حاجات رب قافلٍ   أهواء حب في أناس مصعد
حضروا ظلال الأثل فوق صُعَائد   ورموا فراخ حمامه المتغرد

وأنا لاأعرف موضعاً بهذا الاسم في هذا العهد، وقد غلط كثير من أهل المعاجم بين صعائد وصعائق فأما صعائد: فهي على ماذكرت، وأما صعائق: فهي موضع بنجد في ديار بني أسد كانت فيه حرب، وموضعه ــ على ماذكروا ــ بين سميراء ورمان، وأنا لاأعرفه.

★ ★ ★

٧ ــ وقال لبيد :

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤهَا مَجْهُولَةٍ   تُرْجىٰ نَوَافِلُهَا وَيُخْشىٰ ذَامُهَا
غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأَنَّهَا   جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا
أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا   عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

---

(١) انظر معجم البلدان ٣٥٧/٥.

ذكره البدى يحتمل أنه قصد جنَّ البادية كما قال عنترة في شطر بيت:

* **إنسٌ إذا قَعَدُوا جِنٌّ إذَا ركبوا** *

البدى فأما البدي: الذي ذكرته الشعراء في أشعارها فيظهر لي أنه واديان كل واحد منهما يسمى البدي، أحدهما: يصب في الركاء، واقع في القطعة الجنوبية من نجد. والثاني: يقع في شرقي القَصيم، قال لبيد في بيت غير الذي تقدم:

جعلن حراج القريتين وعالجا يمينا ونكبن البـدىَّ شمائـلا

أما القريتان: فهما معروفتان، واقعتان شرقي عنيزة، بعثهما عبد الله بن عامر بن كريز، وقد تغيير اسمهما قليلاً، وهناك في روضة الزغيبية الواقعة من عنيزة في الجهة الشرقية موضع يقال له «القريّة» بهذا الاسم إلى هذا العهد.

وعالج الذي ذكره لبيد: رمالٌ مرتكمة تقع شمالي النباج الذي يسمى الأسياح اليوم، يقال له اليوم العروق.

والبدي: لاأعلم موضعاً في جهة القَصيم يقال له البدي، إلا موضعاً واحداً اسمه يقارب هذا الاسم يقال له «اللبيّد» يقع بين النباج وبلد بريدة، يحميه العامل على بريدة لمواشيه، وهو موضع خصب.

ومن الدلائل الواضحة على أن الذي يسمى البدى موضعان قول الراعي:

يطفن بِجَوْنٍ ذي عَثَانين لم تدع أشاقيص فيه والبديان مصنعا

فثناه الراعي في هذا البيت، وقال امرؤ القيس[1]:

(١) انظر ص ٢٣٣ من هذا الكتاب ومعجم البلدان ٢/٩٢.

أصَابَ قُطَيَّات فسال لها اللَّوى   فوادي البدى فانْتَحَى للأريض
قَعَدْتُ له وصحبتى بين ضارج   وبين تلاع يثلث فالعريض

هذا الوادى الذي ذكره امرؤ القيس هو الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقال الأعشى:

أتنسين أياما لنا بدحيضة   وأيامنا بين البدىِّ فثهمدا

وهذا الموضع الذي ذكره الأعشىٰ هو الواقع في شرقي القَصيم الذي ذكرنا أن «اللبيد» عنده أو قريب منه؛ لأن الأعشىٰ قرنه بدحيضة، ودحيضة ماءة لبني تميم، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم، ولكنها ــ فيما حَدَّده أهل المعاجم ــ واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد.

وأما وادي البديّ الذي يقع في القطعة الجنوبية من نجد فقد أوضحه لبيد نفسه، وذلك حيث يقول:

لاَقَى البديُّ الكُلَابَ فَاعْتَلَجَا   سيل أَتِيِّهمَا لِمَنْ غَلَبَا
فَدَعْدَعَا سرّة الركاءِ كَمَا   دَعْدَعَ ساقىٰ الأعاجمَ الغَرَبَا

ذكر لبيد أن سيل الكُلَاب والبديّ يجتمعان حتى يَصُبّان في السرة، ثم تتجه السيولُ إلى الركاء، أما الكلاب: فقد تقدم الكلام عليه في أشعار امريء القيس، وهو اليوم يسمى «وادي قحقح» على ما ذكرناه وأطلنا في الاستدلال لما ذكرناه، وليس يجتمع بسيل هذا الوادي ــ على ما بين لبيدٌ ــ إلا سيل وادي يقال له اليوم «الجلة» فهو إذن البديّ الذي وقع في معلقة لبيد، ودليلُنا على ذلك هذا الذي يقوله لبيد نفسه في البيتين اللذين أثرناهما لك، وشيء آخر يدل على أن هذا البديَّ هو «الجلة» وذلك أنهم عثروا في هذا الوادي على بئر قديمة كانت قد طمرت، فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب تلك الناحية من بني شيبان ــ وهم بطن من عتيبة ــ : إن هذه البئر كان يقال لها «البدية»؛ فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل

على أنهم أضافوها إلى وادي البدي الذي تقع هي فيه، وأن الوادي كان له هذا الاسم. وأكثر سيول نجد الجنوبية تصب في وادي الركاء، فأما الأودية التي تصب في وادي السرة قبل أن تجتمع بوادي الركاء فهي: وادي قحقح، ووادي الجلة، ووادي البييصفا، وجميعُ أودية جبل العلم وأودية جبل دمخ، كل هذه الأودية تصب في وادي السرة، وأما أودية شُريف نجد فهي:

وادي شبيكان، ووادي الشبكة، ووادي الشاة، ووادي الشواة، ووادي حلبان، ووادي عليان، ووادي عصيل، جميع تلك الأودية تصب في وادي السرة، وجميع أودية الحمرة المجاورة لبلد الرويضة رويضة العرض شماليها وادي عصيل، وجنوبيها أودية صبحا والأنكير، جميعُ هذه الأودية تصب في السرة، ثم تجتمع سيولُ تلك الناحية في بطن السرة، وتتجه جنوباً إلى وادي الركاء.

ووادي الركاء متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية، والقاسم بين وادي السرة ووادي الركاء جبل الحصاة المشهور في الجاهلية بالحصّاء، ووادي الحصاة يجعل ذلك الجبل على شماله، ووادي السرة يجعل ذلك الجبل على يمينه، فإذا خلفا ذلك الجبل اجتمعا، وانقطع ذكر السرة، وبقي وادي الركاء، ثم اتجه قاصداً مطلع الشمس، ثم يأتيه وادي لجع، ووادي العمق، ووادي بتران، ووادي قران، جميع تلك الأودية تصب في وادي الركاء، ووادي بتران ووادي عمق من أكبر تلك الأودية، وبتران واقع في طرف بلاد بني عامر الجنوبية، قال مجنون بني عامر صاحبُ ليلى:

وأشرفت من بتران أنظر هل أرى   خيالا لليلى رأية وترانيا
فلم يترك الإشراف في كل مرقب   ولا الدمع من عينيك إلا المآقيا

وقال عمرو بن معد يكرب يذكر عمقا :

لمن طَلَل بالعمق أصبح دارساً   تَبَدَّل آراماً وعِيناً كوانسا
بُمعْتَرك ضنك الحبَيًا ترى به   من القوم محدوساً وآخر حادسا
تَسَاقَت به الأبطالُ حتى كأنها   حنيّ براها السير شُعْثاً بوائسا

وقد غلط ناس كثير بين عمق والعُمَق، فأما العُمَق فواقع في بلاد بني عبد الله بن غطفان وعَمْق الذي أوردناه واقع في القطعة الجنوبية من نجد، والعمق ميمه مفتوحة، وهو الذي قال فيه الراجز:

كأنها بين شروري والعُمَق وقد كسون الجلد نظما من عرق

نوَّاحة تلوى بجلباب خلق

وبتران والعمق كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، فإذا اختلطت سيولُ تلك الأودية بوادي الركاء وهو متجه إلى جهة مطلع الشمس انعرج إلى جهة الشرق، ثم يأتيه وادي الرين وهو وادٍ عظيم به قصور ومزارع ونخيل لأهل بلد القويعية، ثم يتجه وادي الركاء وتأتيه أودية صغار بعد أن كمل سيله الذي يسير إليه من أودية الزيدي وأودية العريف وأودية جبال السوادة وجبال الحصاة وجبال صبحا، والأودية الصغار تأتيه من جبيلات صفيرى المضبة فتصب فيه، ثم يرده كثيب يقال له «نفود الدحى» ويتجه ذلك الوادي إلى الجهة الشرقية الشمالية، فإذا انقطع عنه ذلك الكثيب انعرج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى أعلى وادي برك الواقع في اليمامة، ثم يصب فيه، وتختلط سيول الركاء بسيل وادي برك، وتتجه إلى الجهة الشرقية الشمالية، فتصب في وادي الخرج بعدما تجوز بلد الحوطة وقراها، ويأتيها وادي ماوان، ووادي نساح، ووادي الأوسط، ووادي الحائر، ووادي حنيفة، ثم تجتمع تلك السيول العظيمة في موضع يقال له السهبى في جهة الخَرْج الشمالية الشرقية، وهذا الاسم اسم جاهلي قديم يقال لها السهبى، قال جرير:

كَلَّفْتُ صحبى أهوالاً على ثقة لله درهُمُ ركبا وما كلفوا
ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فَيْحَانُ فالَحزن فالصَّمَّان فالوكف
يُزْجُونَ نحوك أطلاحاً مُخَذَّمة قد مسها النكب والأنقاب والعجف

وقد كنت قبل أن أكتب هذه الكتابة عن سيل وادي الركاء ومَسِيره واتجاهه أشك في أنه يصب في وادي برك، وكنت أظن أنه يقف بين كثيب الدحى وجبل العارض، ولكني أخذت هذه الأخبار عن الثقات الواقفين على حقيقة أمره وسيره عند جريانه، وقد شاهدوه بأعينهم وهو يصب في وادي برك، وقالوا: إن وادي برك أطْمَنُ من وادي الركاء أكثر من مائة وخمسين مترا، وكنت أظن قبل ذلك أن وادي الركاء أطمن من وادي برك بمائتى متر، ولكني أخذت الخبر عن الثقات، وكتبت بعد التثبت، فهذا الوادي العظيم ـــ أعني وادي الركاء ـــ أعلاه تأتيه سيول من جهة ذقانين والدخول وتنتهي في أسفل وادي الخرج، وهذه المسافة قريب شهر لسير حاملات الأثقال من الإبل، وقد انتهينا من سيول الرشا وأوديته، وسيأتي الكلام على سيول الرمة في موضعها عند بيان موضع تلك الجهة.

* * *

٨ ـــ وقال لبيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لَحْتفَها ... بمغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَعْلَامُهَا
أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجيرَانِ الجَمْيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصباً أَهْضَامُهَا

تبالة

تبالة: وادٍ في جهة بيشة، وهو وادٍ عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليه في أشعار امرىء القيس[1].

انتهت معلقة لبيد، وهي المعلقة الرابعة من العشر.

---

(١) انظر ص ٢٩ و ٣٢١ من هذا الكتاب



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعتذر ٤٨٢٤٩٨٣ / ٤٨٢٤٨٦٥